الاعلام العربى
و قضايا العولمة

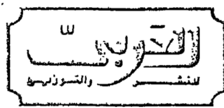
دراسات فى
الاعلام

د. عواطف عبد الرحمن



الإعلام العربي
وقضايا العولمة

د. عواطف عبد الرحمن



٦٠ شارع القصر العيني (١١٤٥١) القاهرة
ت : ٧٩٥٤٥٢٩ – ٧٩٢١٩٤٣ فاكس . ٧٩٤٧٥٦٦
٤٢ ميدان البحرة – أول شارع دجلة – المهندسين
تليفون : ٧٤٩٢١٤٥ – ٧٦١١٣٨١ فاكس ٧٦١١٨٣٠٩٠
E-Mail : alarabi5@link.net

العربى للنشر والتوزيع

٦٠ شارع القصر العينى (١١٤٥١) - القاهرة
تليفون : ٧٩٥٤٥٢٩ - ٧٩٢١٩٤٠ فاكس : ٧٩٤٧٥٦٦
٤٢ ميدان البصره - شارع دجله من شهاب - المهندسين
تليفون : ٧٤٩٢١٤٥ وفاكس : ٧٦١٨٣٨١
E-Mail:alarabi5@link.net

الطبعة الأولى
٢٠٠٣

الإعلام العربى وقضايا العولمة

المؤلف : د. عواطف عبدالرحمن
الغلاف للفنان : مصطفى رمزى
عدد الصفحات : ٢٤٦ صفحة

اهـــــداء

الى حفيداى ..... أحمد هشام . وعمر هشام

املا فى ان يكونا دوما صوت الحق

ورسل العطاء وسند المستضعفين

وان يواصلا السعى مع جيلهما

من أجل مصر وطنا للشرفاء

المنتمين القادرين على حمل الامانه .

د. عواطف عبد الرحمن

مقدمة

لاشك ان التداعيات الدوليه والأقليمية التى أعقبت سقوط المعسكر الاشتراكى الاوربى وإختفاء الاتحاد السوفيتى وانفراد الولايات المتحدة بالساحة الدولية وإختفاء الصراع شرق / غرب وبروز الفجوة بين الشمال والجنوب وما صاحبها من تحولات نوعيه فى بنية العالم السياسية والاقتصادية والثقافية وذلك فى ظل إتساع آثار الثوره العلمية والتكنولوچيه خصوصاً فى ميادين الصناعات الالكترونية والإتصالات والتكنولوچيا الحيويه . هذا مع تصاعد نفوذ الشركات المتعدده الجنسية وتراجع مكانة الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصه وإستمرار الخلل والتفاوت الحاد فى النظام العالمى الراهن سواء فى مجال الاقتصاد او المعلومات والإتصال . كل ذلك اسفر عن ظهور مرحلة جديدة فى تاريخ العالم عرفت باسم العولمة وخريطة جديدة للصراع الاقليمى والعالمى تتجلى تداعياتها كأوضح ما تكون على الساحتين الإعلامية والثقافية .

ويقدم هذا الكتاب محاولة نقدية لقراءة وتفسير المستجدات التى طرأت على خريطة الواقع العربى والدولى فى سياق المرحله الجديده للنظام الرأسمالى العالمى والتى عرفت بأسم العولمه حيث تتداخل بطريقة جدلية الشركات والمؤسسات والشبكات الدولية الاقتصادية والإتصالية والمعلوماتية كى تحل محل الدولة القومية فى ميادين المال والاقتصاد والثقافه والإعلام وحيث تواصل القوى الدولية المتحكمة فى العولمه محاولاتها الدؤوبة من اجل عولمة الثقافه والتعليم والدين وسائر مكونات المنظومة الحضارية التى كانت تحتفظ بإستقلال نسبى خارج دوائر وقيم السوق العالمية . ونظراً للتداخل القائم بين التحولات التى تجرى فى العالم وما تثيره من قضايا وتحديات واسئله وبين ما يواجهه الواقع والمستقبل العربى فى عصر العولمه لذلك كان طبيعيا ان تنال ظاهرة العولمه وتجلياتها الإتصاليه والمعلوماتية والثقافية إهتماما مركزياً يجعلها تتصدر سائر القضايا التى يضمها هذا الكتاب والتى يتميز

بعضها بالطابع العالمى مثل كل من قضايا المرأة والبيئة والهندسة الوراثية وينفرد بعضها الاخر بالطابع العربى مثل إشكاليه الوفاق العربى ويمثل البعض الثالث جسر التواصل الإعلامى بين الغرب والعالم العربى مثل صورة الغرب فى الصحافة المصرية ولكنها فى مجملها تعد محكات شفافه تعكس التناقضات الكامنه وأشكال التعاون الاقتصادى والاجتماعى المتعدده والتى يزخر بها الواقع العربى بفعل تراكم الموروثات الثقافية السلبيه وغياب الديموقراطية فى مختلف المؤسسات الاجتماعية والسياسية بدءاً بالاسرة وإنتهاء بنظم الحكم ومروراً بالاحزاب والتنظيمات الثقافيه والعلميه وان كان الامر لايخلو من تحسس ارهاصات التحدى وآفاق الانفراج المستقبليه . هذا وتبرز التجليات السلبية والايجابية لهذه القضايا فى إطار التفاعل بين الإعلام و التشابكات الخفية التى تحكم مسار وفاعلية هذه القضايا فى سياق ما تطرحه العولمة من إشكاليات وتحديات اجتماعية وثقافية لم تحسم بعد على المستويين العربى والدولى .

وبقدر ما يحوى هذا الكتاب من معلومات واراء ورؤى خلافيه حول القضايا التى تناولتها الدراسات إلا انها تطرح من التساؤلات والإشكاليات ما يعكس ويجسد القلق العالمى المصاحب لعصر العولمة والمتزامن مع رحيل قرن وإستهلال قرن جديد بكل ما يعنى ذلك من تركة الموروثات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى تنتمى الى القرن العشرين ولم تحسم بعد علاوه على المستجدات والتحديات المتنامية التى يحملها القرن الجديد فى ظل تزاوج ثورتى الإتصال والمعلومات والثورة الجيولوجية وتصاعد قضايا البيئة .

ولذلك كان امراً حتمياً أن نحرص على إبراز أهمية كل قضية على حده سواء فى خصوصية مفرداتها وإشكالياتها على المستويين العملى المعاش والفكرى المجرد أو فى تشابكها وتفاعلها الجدلى مع سائر مفردات الواقع المجتمعى الذى يشكل هويتها ويحدد مسارها فى مختلف مراحل تطورها مع عدم إغفال التأثير الكاسح لآليات العولمة فى مجالى الإتصال والمعلومات .

إن جوهر هذا الكتاب يتمحور فى الدراسة الاولى وعنوانها [الإعلام المعاصر

وتحديات العولمه] حيث يتم رصد وتشخيص مفهوم العولمه بين علماء الاقتصاد – السياسى والاجتماع والثقافة وتطرح الاسباب السياسية والاقتصادية والتكنولوچية التى ادت الى ظهور العولمه والتى تتمثل فى إختفاء الاتحاد السوفيتى وتصاعد نفوذ الشركات المتعددة الجنسية والمؤسسات المالية الدولية . صندوق النقد الدولى – البنك الدولى وظهور منظمة التجارة العالمية وتزاوج ثورتى الإتصال والمعلومات بما اضاف للسوق العالمية قدرات هائلة غير مسبوقه فى الإنتشار والترويج والدعاية .

وقد رصدت الدراسة الآثار العولمية فى مجال الإتصال والمعلومات بشقيها الايجابى والسلبى سعياً لابراز وظائف الإعلام العولمى وادواره الاجتماعية والثقافية فى عصر هيمنة القيم الإستهلاكيه وايديولوچية السوق .

ولعل من ابرز قضايا عصر العولمه والتى تستحوذ على إهتمام شعوب العالم شمالاً وجنوباً قضيتى البيئه والثوره البيولوچية اللتان تشغلان مساحة بارزه فى هذا الكتاب [الدراستان : قضايا البيئة بين الصحافة والرأى العام ، الإعلام وقضايا الهندسة الوراثية] حيث تثار قضية إنتشار الاميه العلميه فى المجتمعات المعاصرة خصوصاً فى الجنوب فرغم ان البشرية تعيش منذ سنوات عديده الموجه الحضارية الثالثة التى تتمثل فى الثورة العلمية والتكنولوچية وتجلياتها فى مجالات المعلومات والإتصال الهندسة الوراثية غير ان الاميه العلميه تبرز كتجسيد واضح للفجوة التى تزداد أتساعاً بين مجتمع العلماء وبين سائر فئات الجمهور بما فيها القاده السياسيين والبرلمانين والإعلاميين وهنا تبرز المسئولية الكبرى التى تقع على وسائل الإعلام فى ضرورة تبسيط المعرفه العلميه وتوصيلها الى مختلف الشرائح والمستويات الجماهيرية من خلال الإعلام المقروء و المرئى والمسموع وتطرح الدراستان الإشكاليات المعرفيه والمخاطر البيئية والتحديات الاخلاقيه والاجتماعية الناتجه عن الإنجازات العلميه التى تحققت فى مجال الهندسة الوراثية كما تسلط الضوء على المعوقات التى تحول دون قيام وسائل الإعلام بادوارها المفترضه والتى يكمن بعضها فى طبيعة العمل الإعلامى ذاته كنشاط إنسانى له خصوصيته وله

قصوراته الذاتيه كما يرجع اغلبها الى سطوه المصالح التى تجسدها الشركات المتعدده الجنسية والتى تسيطر على ٨٠٪ من التجاره العالمية والإستثمارات الدولية وتتحكم بصورة شبه مطلقه فى حركة السوق العالمية خصوصاً فى مجالات الإتصالات والفضائيات والمعلومات والادويه والبحث العلمى والاعلانات والعلاقات العامة .

وإذا كانت قضية الوحده العربية قد تصدرت قائمة الاولويات لدى الرأى العام العربى منذ الخمسينات والستينات وإستمرت مطروحه حتى التسعينات وإضيف اليها بعض القضايا الأخرى المحوريه مثل قضايا التنمية الشامله وحقوق الانسان العربى المادية والمعنوية والاعتماد الجماعى على الذات فى مواجهة تحديات العولمه الاقتصادية والثقافيه فإن الدراسة الثانيه وعنوانها [الإعلام وإشكالية تحقيق الوفاق العربى] قد كشفت عن الظروف والملابسات التى تحدد صيرورة المد والجزر وتداعيات الوفاق والإنقسام فى المشهد العربى الراهن والتى ابرزتها الصحافة العربية من خلال تسليط الضوء على مكان من الوفاق العربى حضوراً وغياباً بعد مجموعة من القضايا والاحداث الفاصلة فى التاريخ العربى المعاصر والتى تمثلت فى السوق العربى المشتركه ومؤتمر الدوحه الأقتصادى [نوفمبر ١٩٩٧] والازمه العراقية مع الامم المتحدة والقدس ومحاولات تهويدها .

وفى ضوء الرصيد الاكاديمى المحدود الذى قدمته الادبيات العلميه العربية فى مجال الإعلام عن صورة الغرب فى الإعلام العربى المعاصر والذى يتناول اغلبه حقبتى الستينات والسبعينات فيما يركز قليل منه على حقبة الثمانينات جاء إهتمامى بضرورة رصد وتحليل صورة الغرب فى الصحافة المصرية فى حقبة التسعينات اى فى عصر العولمه . ومما ضاعف حماسى لهذا الموضوع التشجيع الذى لقيته من إحدى رفيقات المهنه الدكتوره نهاوند القادرى التى بادرت الى نشر الدراسة ضمن محاور العدد الثانى من مجلة [الباحثات] اللبنانيه ولقد سعت الدراسه الى رصد وتحليل العوامل والمتغيرات السياسيه والثقافيه والإعلاميه التى أثرت فى تشكيل صورة الغرب كما قدمتها الصحافة المصرية بشقيها القومى والحزبى وبمختلف

تياراتها وتوجهاتها الأيديولوجية والسياسية وقد تم أختيار فترات زمنيه كاشفه وذات دلاله سياسية وثقافيه بارزة مما كان له اثره المباشر والملحوظ على الخطاب الإعلامى المصرى تجاه ادوار ومواقف الغرب من قضايا العالم العربى فى حقبة التسعينات فكانت ازمة الخليج [٢ أغسطس ١٩٩٠ - ٢٨ فبراير ١٩٩١] هى القضية السياسيه كما كان الإحتفال بمرور قرنين على العلاقات المصرية الفرنسية هو الحدث الثقافى الذى اثار جدلاً طويلاً فى الخطاب الإعلامى المصرى مما أحدث كثافة فى الانتاج الصحفى سمحت برصد دقيق لعناصر صورة الغرب فى المجال الثقافى .

ولما كانت العوله تشهد تزايداً ملحوظاً فى أهمية الدور الذى تقوم به قوة العمل النسائية فى احداث التراكم الاقتصادى لصالح الشركات العالمية والمحلية إذ أصبحت المرأة فى نظر هذه الشركات منجماً جديداً يجب استغلاله الى آخر قطرة اولاً باعتبارها تمثل قوة العمل الرخيصة غير المنظمة التى لا تحتاج الى ضمانات صحيه او تأمينيه فهى تقبل مالا يقبله الرجل سواء فى مجالات القطاع غير الرسمى او فى الحرف والخدمات والصناعات التكميليه أو فى المنازل وثانياً باعتبارها ربة البيت التى لايمكن إغفال دورها الاساسى فى الاستهلاك الذى يعد عماد السوق فى عصر العوله لذلك كان هناك ثمه ضروره تقتضى رصد التجليات الاجتماعيه للعوله خصوصاً فى مجال [قضايا المرأة والإعلام فى عصر العوله] وكان هذا موضوع الدراسه الخامسة التى عنيت برصد محددات الخطاب العالمى الخاص بقضايا المرأة ومقارنته بالواقع الراهن للمرأة العربية وموقف الإعلام من قضاياها وإنجازاتها ومشكلاتها وإنكساراتها والعوائق الاجتماعية والموروثات الثقافية التى تحول دون إطلاق قدراتها الابداعية للمشاركة فى بناء وإستنهاض المجتمعات العربية وذلك فى محاوله للاجابة عن سؤال محورى يدور حول الادوار الجديدة للاعلام فى عصر العوله بعد ان أصبحت الامبراطوريات السمعبصريه [الارضية والفضائية] هى المؤسسة التربويه والتعليميه الجديدة التى حلت مكان الاسره والمدرسة وفى ضوء هذه التطورات تبرز الإشكالية الخاصه بموقف الإعلام من قضايا المرأة العربية فى حقبه

العوله حيث يصبح السؤال المطروح هل يقوم الإعلام العربى بدور إيجابى فى دفع قضية امرأة الى الامام أم يكتفى برصد واقعها الراهن بسلبياته وإيجابياته أم يسعى متعمدا الى تكريس ادوارها التقليديه متجاهلاً انجازاتها فى مجالات التعليم والعمل والابداع الفكرى والثقافى ام يحاول إستثمارها من خلال الاعلانات لترويج القيم الاستهلاكية لصالح السوق العالمية والاسواق المحليه .

وفى النهاية هناك كلمة أخيرة اعرب بها عن إمتنانى لرفاق المهنه الاعزاء وعلى الاخص فريق العمل الجماعى بقسم الصحافة الذين قدموا لى على امتداد مشوارى العلمى صوراً شتى من المسانده والبهجة والتشجيع واخص منهم فى جيل الشباب وبالنسبه لهذا الكتاب بالتحديد كل من هشام عطيه ومحمد حسام وشيرين سلامه وماجده عبد المرضى ومحرز غالى ومحمد الباز . واذا كنت قد اهديت هذا الكتاب الى حفيداى احمد هشام وعمر هشام بإعتبارهما يمثلان الجيل القادم من شباب مصر الذى سيواجه سطوه العوله وتجلياتها المضيئة والمعتمه مسلحين بالوعى والعلم والأنتماء للوطن [وعلى الاخص فقرائه وكادحيه] فاننى وكما دأبت فى كل مولفاتى السابقة اهدى هذا الجهد ايضاً الى طلابى من الاجيال الجديدة الواعده بقسم الصحافة إعتزازاً بهم وبهذا القسم العريق الذى قدم للوطن ذخيره من المعرفة والقيم والبشر تتجدد دوماً بتجدد مياه النهر العظيم [نيل مصر] .

عواطف عبد الرحمن

البحر الاعظم – الجيزة – مارس ١٩٩٩

الإعلام المعاصر
وتحديات العولمة

الإعلام المعاصر وتحديات العولمة

لقد شاع في الآونة الأخيرة إستخدام مصطلح العوله في الأدبيات الإقتصادية والسياسية والاستراتيجية والفكرية والثقافية المعاصرة وإذا كان علم الاقتصاد يعد أسبق فروع العلم الاجتماعي في الكشف عن مقومات وخصائص ظاهرة العوله ورصد تأثيراتها الآنيه والمستقبليه على شمال العالم وجنوبه . إلا أن الدوائر الأكاديمية في مجال علم الإجتماع الثقافي والإعلامي لم تتوصل بعد إلى تحديد إطار منهجي ذي مضمون معرفي واضح يمكن الاستناد إليه كإطار مرجعي عند إستخدام مصطلح العوله هذا وقد اسفرت إسهامات علماء الإقتصاد في هذا المجال عن بروز رؤيتين . **رؤية تقليدية** ترى أن مصطلح العوله يشير إلى تحول العالم إلى منظومة من العلاقات الإقتصادية المتشابكه التي تزداد عمقاً من خلال تحرير التجارة الدولية وتشجيع تدفقات رؤوس الأموال وتيارات هجره العماله عبر الحدود وإنتشار إستخدام التكنولوجيا وشبكات المعلومات والتيارات الثقافيه العابره للحدود والتحويل للقطاع الخاص فيما يعرف بسياسه الخصخصه . ويؤرخ الإقتصاديون الذين ينتمون لهذا التيار لبدء ظهور العوله عقب إنتهاء الحرب الباردة وإختفاء الاتحاد السوفيتي ودول أوربا الشرقية وتحول العديد من الدول النامية إلى التحرر الإقتصادي والإنفتاح على العالم بأسرة فضلاً عن إتجاه إقتصاديات التكتل الشيوعي السابق إلى التحرر والدخول تدريجياً في نطاق الإقتصاد العالمي الأمر الذي بدى معه بوضوح أن هذه التحولات تستهدف تسويد نظام إجتماعي واحد في العالم كله حيث تتبادل كل أجزاء العالم الإعتماد بعضها على بعض فيما يتعلق بكل من الخامات والسلع المصنعة والأسواق ورؤوس الأموال والعمالة والخبرة الفنية فلا قيمة لرؤوس الأموال دون إستثمارات وخبرة متطورة وعمالة ولا قيمة للسلع دون أسواق لإستهلاكها . ويرى هؤلاء الإقتصاديين أن الشركات المتعددة الجنسية قد

لعبت الدور الحاسم فى تفعيل التجليات الاقتصادية والمعلوماتية للعولمة حيث أدى تعمق العولمة إلى التوسع فى أنشطتها فى الإستثمار والإنتاج والنقل والتوزيع وتشغيل العمالة والمضاربة على مختلف أنواع وأشكال الثروة والبحث العلمى والتأثير السياسى والمعلوماتى والثقافى .

أما **الرؤية الثانية** فهى تتميز بالطابع النقدى ذى المنظور التاريخى ويرى أصحابها أن العولمة ليست ظاهرة جديدة وأنها بدأت منذ القرن السابع عشر أو قبله بقليل مع بدء عملية الاستعمار الغربى لآسيا وأفريقيا والأمريكيتين مقترنة بتطور النظام التجارى الحدى فى أوربا نفسها . فالتاريخ الإقتصادى للعالم هو تاريخ توسيع الأسواق ورفع الحدود والحواجز . والثورة الصناعية بشكلها التقليدى كما ظهرت فى منتصف القرن الثامن عشر فى انجلترا ثم انتشرت فى أوربا فى العقود التالية . بدأت هذه الثورة تدخل مرحلة جديدة فى مسيرة التطور التكنولوچى إعتبارا من ستينيات القرن العشرين حيث إنتقل مركز الثقل فى الثورة التكنولوچية إلى مجال المعلومات ثم الإتصالات ولم يعد الأمر متعلقاً فقط بإنتاج المزيد من السلع والأشياء بل أصبح الأمر متعلقاً أيضاً بتداول المعلومات ومعالجتها ونقلها والإنتقال من اقتصاد السلع العينية إلى اقتصاد المعلومات . لقد جاءت ثورة المعلومات كى تضيف إلى عقل الانسان قدرات هائلة كما أضافت الثورة الصناعية السابقة إلى عضلاته قوة اضافية . ومع إستمرار التطور التكنولوچى تضاءل دور المواد الأولية وأصبحت المعرفة العلمية والتنظيمية هى المكون الرئيسى للثورة العلمية والتكنولوچية فأغلى عناصر الإنتاج واقدرها هى براءات الإختراع وأساليب البحث والتطوير . ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أن غلبة المعلومات على الاقتصاد حولت لاقتصاد العينى إلى اقتصاد رمزى يتم التعامل فيه مع الأشياء من خلال رموز ومؤشرات فى شكل أسهم وسندات وحقوق وخيارات مالية .

ولم تلبث أن أدت التطورات الجديدة فى الصناعات الالكترونية وفى مجال الإتصالات إلى توليد ثورة مالية جديدة تنتقل فيها الثروات عبر الأثير على إتساع الكون على نحو غير ملموس لا تقف أمامه بوابة الجمارك أو عيون إدارات النقد . إذ أصبحت الحقوق المالية مجرد ومضة كهربائية أو نبضة الكترونية . ولم يقتصر الأمر على إنتقال الأموال والسلع من خلال التعامل فى هذه الأسواق المجازية للأوراق المالية والعقود بل أصبح الدور الرئيسى لثورة المعلومات هو نقل الأفكار والمذاهب وصور الحياة وأنماطها إلى مختلف أنحاء العالم فى زمن قياسى وبنفقات ضئيلة [1].

فى خضم هذا التطور الذى طرأ على طبيعة الإنتاج مع تراجع أهمية الموارد الطبيعية وظهور الاقتصاد الرمزى وغلبة أشكال الثروة المالية وسهولة انتقال المعلومات ظهرت بوادر العولمة ويشير بعض علماء الاقتصاد النقديين [الذين ينتمون إلى التيار النقدى] إلى تزامن ظهور العولمة أو الكوكبة [كمايفضل البعض أن يسميها] فى الشمال مع فشل التنمية فى الجنوب حيث تجسد العولمة أحدث مرحلة وصل إليها تركز رأس المال والسيطرة والقوة الاقتصادية فى الشمال وتواكب معها بروز ظاهرة التهميش لدول الجنوب وفشلها فى الحفاظ على إستقلالها وخضوعها للتبعية وهروب رؤوس أموالها إلى مراكز الاستثمار فى الدول الصناعية وفشل تجارب التنمية واتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء سواء بين الدول أو فى داخل الدولة الواحدة ولقد تمت عملية العولمة للنشاط الإنتاجى من خلال آليتين هامتين هما التجارة الدولية أو التبادل الدولى ومن خلال آلية الاستثمار الأجنبى المباشر . وقد لعبت الدور الرئيسى فى هذا المجال الشركات العالمية المتعددة الجنسية التى أتخذت شكل الشركات المساهمة منذ القرن التاسع عشر والتى يصل عددها طبقاً لتقرير الاستثمار العالمى لعام ١٩٩٥ لمنظمة التجارة والتنمية للأمم المتحدة ٣٧ ألف شركة تعمل من خلال ٢٠٠ ألف فرع ويبلغ رصيد إستثماراتها ٢٫٧ تريليون دولار

ويستحوذ على ٥٠٪ من هذا الرصيد حوالى مائة شركة عالمية . وتعتبر هذه الشركات مسئولة عن ١/٣ الناتج العالمى و٧٥٪ من الطاقة العالمية الخاصة بالبحث والتطوير وتستخدم ٧٣ مليون عامل يمثلون ١٠٪ من حجم العمالة العالمى [٢] . ويشير علماء المدرسة النقدية فى الاقتصاد إلى أن خروج الرأسمالية الصناعية من الحرب العالمية الثانية منهوكة القوى ومحاولاتها الدؤوبة لازالة كافة العقبات من أجل استعادة العولة من جديد ونجاحها فى تحقيق ذلك فى ظل الثورة التكنولوچية فى مجال المعلومات والإتصالات وفى مجال التكنولوچيا الحيوية وتداعياتها كل ذلك إنما يعكس إختفاء الهامش الذى كان مسموحاً به لظهور أنظمة إجتماعية وإقتصادية لا تتعامل بآليات النظام الرأسمالى خصوصا وان عقد التسعينات قد شهد قبول العديد من الدول النامية لشروط المؤسسات الدولية الوسيطة والناطقة باسم العولة . هذا وتضم الدول الصناعية الكبرى السبع التى يطلق عليها مجلس إدارة اقتصاد العالم . وهى [الولايات المتحدة - فرنسا - بريطانيا - المانيا - اليابان - كندا - ايطاليا] والتى انضمت إليها اخيراً روسيا المراكز الرئيسية لحوالى ٤٢٦ شركة من الـ ٥٠٠ اكبر شركات كوكبية كما يوجد بها ٢٢ شركة كوكبية فى الإتصالات فضلاً عن أكبر تسع شركات عالمية لإنتاج الحاسوب [٣] .

وينعكس هذا الإستقطاب المتزايد بصورة سلبية واضحة على النظام العالمى الراهن تتمثل فى تراجع مكانة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة وتصاعد سلطة الثلاثى الذى يخضع بصورة شبه مطلقة لسيطرة الدول السبع الكبار فى إطار ايديولوچية السوق وأعنى بهم البنك الدولى وصندوق النقد الدولى ومنظمة التجارة العالمية التى تمتلك سلطات تشريعية وقضائية دولية تمكنها من التحكم فى قواعد التعامل الدولى الخاصة بتنفيذ إتفاقية الجات [١٩٩٤] . كما أن ايديولوچية السوق فرضت أنواعاً من الأنشطة الدولية التى لا تخضع لأى نوع من الرقابة ولعل أخطرها

المضـاربة فى البـورصات العـالمية حيث تتجمع ثروات تقدر بعشرات المليارات لا يقابلها أى إنتاج عينى ولا تخضع لسلطة سياسية على أى مستوى . وهكذا يتبين لنا أن آليات العـولمة أو الكوكبة السبع تعمل لصالح الشركات المتعددة الجنسـية التى تأسست واستقرت فى الدول الرأسمالية وتوافرات لها البنى التحتية المادية والمالية والإتصـاليـة وحيث إسـتفـادت من تمويل الدولة الضـخم للبحث العلمى والتكنولوچى وتوافرت لها العمالة المؤهلة والمدربة وبلغت إنتاجيتها أعلى المستويات من الكفاءة .

مفهوم العولمة بين علماء الاقتصاد والثقافة :

إنطلاقاً من أن العولمة كظاهرة لم تكتمل بعد ملامحها وقسماتها بل هى عملية مستمرة تكشف كل يوم عن وجه جديد من وجوهها المتعددة لذلك تتعدد المحاولات الجادة من جانب علماء السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة والإعلام سعياً لصياغة تعريف شامل للعولمة وبناء تصور نظرى متكامل لتفسير كثير من التحولات والظواهر الاقتصادية والسياسية والثقافية التى تزخر بها المجتمعات الصناعية فى الشمال وسواها من مجتمعات الجنوب مهد الحضارات القديمة . وإذا كان علماء الاقتصاد قد نجحوا فى توصيف ظاهرة العولمة وإرتباطها بنشوء الرأسمالية الصناعية وتطور أشكالها وأنماطها طبقاً لدرجة تطور الرأسمالية الصناعية العالمية كما قدموا تحليلات متعمقة حول ايديولوچية السوق ودور الشركات المتعددة الجنسية كآليات فعالة لتعميق وتسويد آثار العولمة على مستوى الكرة الأرضية ولم يغفلوا الآثار والتحولات الحاسمة التى أحدثتها تكنولوچيا المعلومات والإتصالات ودورها فى إستكمال معالم العولمة كظاهرة وكعملية تاريخية مستمرة غير أن هذه المحاولات لم تقترب إلا قليلاً من الوجه الثقافى للعولمة وهذا ينقلنا إلى الضفة الأخرى حيث يطرح علماء الانثروبولوچى والسياسة والاجتماع رؤاهم للعولمة التى تتجاوز دائرة الاقتصاد والتسويق والمبادلات وتركز على الثقافة والسياسة والايديولوچيا دون إغفال لأهمية الجوانب الاقتصادية والمالية .

وعندما نتفحص أبرز التعريفات التى قدمها الباحثون فى مجال العلم الاجتماعى والثقافة عن العولمة نلاحظ أنها تنطلق من منظور فكرى متقارب يرى أن العولمة تمثل لحظة التتويج الكبرى للنظام الرأسمالى على المستوى الكونى وأنها تجسد الدرجات العليا فى علاقات الهيمنة / التبعية الامبريالية [٤] . ويفرق البعض بينها وبين العالمية مؤكداً بأن العولمة احتواء للعالم وفعل إرادى يستهدف إختراق الآخر . ولذلك تعد العولمة إرادة لاختراق الآخر وسلبه خصوصيته الثقافية بينما تعد العالمية تفتح على ما هو كونى وعالمى تستهدف اغناء للهوية الثقافية . والإختراق الثقافى الذى تمارسه العولمة يريد الغاء الصراع الايديولوچى والحلول محله من خلال محاولة السيطرة على الادراك عبر الصورة السمعبصرية التى تسعى إلى تسطيح الوعى وجعله يرتبط بما يجرى على السطح من صور ومشاهد ذات طابع إعلامى مثير للإدراك ومستفز للعواطف وحاجب للعقل [٥] .

وتستهدف ثقافة الإختراق تنميط الذوق وقولبة السلوك وتكريس نوع معين من الاستهلاك لأنواع معينة من السلع والمعرفة والثقافة تتسم جميعها بالضحالة والسطحية والإثارة . وينظر بعض علماء الاجتماع السياسى إلى العولمة بإعتبارها تطور كيفى فى تاريخ النظم السياسية / الاقتصادية / الاجتماعية / الثقافية وأنها تستعين بوسائل جديدة للسيطرة تتصدرها الشركات العابرة القوميات والتى تشكل خط الإختراق الأول للحدود الاقتصادية والسياسية أى لحدود الدولة القومية المرتبطة بالسوق العالمية أما وسائل الإعلام وشبكات المعلومات فهى تشكل خط الاختراق الثانى للحدود الاجتماعية والثقافية [٦] . ويستكمل علماء الثقافة هذا التعريف للعولمة بالتاكيد على أن الثقافة بوصفها منتجاً اجتماعياً قد أصبحت جزءاً من العملية الاقتصادية - التجارية الجديدة أسوة بغيرها من السلع والمنتجات المادية إذ تحررت من القيود الجمركية وأصبحت قابلة للتداول على أوسع نطاق فى السوق العالمية .

وتخضع لنفس الإجراءات والأحكام المفروضة على سواها من السلع المادية غير أن مجال المنافسة فى تسويق هذه السلع أصبح محدوداً للغاية وغير متاح إلا للقوى الرئيسية المسيطرة على تكنولوجيا الإتصال وتكنولوجيا صناعة المعلومات وتشكيل العقول وأنماط التقاليد والسلوك . الأمر الذى يشير إلى أن التبادل الثقافى العالمى الجارى حالياً فى ركاب التجارة الحرة هو تبادل غير متكافئ يتغذى من التفاوت والخلل الرهيب فى توازن القوى الثقافى على الصعيد العالمى بين ثقافات مسلحة بالتكنولوجيا الإتصالية والمعلوماتية وبين ثقافات أخرى مجردة من أية حماية تكنولوجية أو تشريعية مما يحول دون امكانية خلق التفاعل المتوازن بين الثقافات والشعوب والمجتمعات وهنا يبرز الوجه الحقيقى لما يسمى بثقافة العولمة التى لا تعنى فى جوهرها سوى السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات . وإن كانت هذه السيطرة تحمل فى داخلها علاقة أخرى من السيطرة تجعل ثقافات غربية عديدة فى موقع تابع لهذه الثقافة المركزية التى يشار إليها بعبارة [الأمركة] التى تعبر عن نفسها على نحو متزامن باعتبارها :

[أ] مصدراً للسلع التجارية المقننة .

[ب] وبوصفها سلسلة من القيم والمصالح البشرية العامة .

[ج] وبوصفها خطاب علمى تكنولوجى وأخيراً كنظام متداخل ومتكامل للاتصالات التى تشكل البنية المادية لكل المكونات والرموز الثقافية الأخرى [٧] .

وعند مقارنة ثقافة العولمة بالثقافات الوطنية فى دول الجنوب أو سواها نلاحظ أن هذه الثقافات تتميز بالخصوصية والانتظام داخل أطر تاريخية معينة كما تتميز بالقدرة على ربط أهلها بسمات وجدانية وذهنية مشتركة تتمثل فى القيم والذاكرة الجماعية والاحساس المشترك بهوية تاريخية ومصير واحد . هذا فيما نرى أن ثقافة العولمة ليس لديها القدرة على أن تولد لدى الأفراد احساساً مشتركاً بهوية تاريخية

أو مصير مشترك وينظر إليها على انها ثقافة لا تحمل ذاكرة جماعية كما أنها تتسم بنزعة توسعية وأنها منقطعة عن أى ماض وإن كانت تستغل الماضى ليوفر لها عناصر مستمدة من الأنماط الشعبية والوطنية فى الموضة والاثاث والموسيقى والفنون التى تنتزع من سياقاتها الأصلية وتوضع فى توليفات كوزموبوليتانية إذن فهى فى أساسها ثقافة لا تاريخية [٨] .

ويرى بعض علماء الاقتصاد السياسى أن أسباب إعلاء شأن الثقافة الأمريكية بإعتبارها الثقافة المركزية واللسان الناطق بأسم العولمة والمدافع عن مساراتها والمروج لافكارها ورموزها لا يرجع إلى الإختلاف الثقافى بدليل حالة الاحتجاج الجماعى التى عبرت عنها أوربا وعلى الأخص فرنسا بمناسبة مفاوضات الجات ودفاعها عما بات يعرف باسم [الإستثناء الثقافى] ذلك أن جميع هذه الثقافات تنتمى إلى الحضارة الغربية سواء فى أصولها الأوربية أو امتداداتها الأمريكية ولذلك يرى هؤلاء العلماء أن المصدر الأساسى للتباين لا يرجع إلى إختلاف الثقافات ولكن يرجع فى الأساس إلى إختلاف الموقع فى هرم الرأسمالية العالمية ، هذا ويلاحظ أن صناع العوله والمتحمكين فى مساراتها من دوائر سياسية وشركات متعددة الجنسية وإحتكارات إعلامية وفضائية وثقافية يعملون بدأب فى إتجاه إسقاط القواعد الدولية التى استقر عليها العالم بعد الحرب العالمية الأولى والثانية والتى اسفرت عن مناخ التوازن فى القوى وأتاحت لدول الجنوب فرص الإستفادة بالمساعدات الثقافية والاقتصادية من الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة ومن الكتلتين الشرقية والغربية . إذ يحاول صناع العولة بدلاً من ذلك تأسيس قواعد دولية جديدة تستهدف الحرص على تماسك العالم الغربى [رغم التناقضات بين دوله وتباين مواقعها فى المنظومة الرأسمالية] وذلك فى مواجهة دول الأطراف الأفقر والأضعف[٩] .

ثقافة العولمة وآلياتها:

إذا كانت العولمة تعني في جوهرها رفع الحواجز والحدود أمام الشركات والمؤسسات والشبكات الدولية الاقتصادية والإعلامية والثقافية كي تمارس أنشطتها بوسائلها الخاصة وكي تحل محل الدولة في ميادين المال والاقتصاد والثقافة والإعلام مما يعني تقلص السيادة القومية للدولة في هذه المجالات بالتحديد وإذا كان التفوق التكنولوجي قد اتاح للغرب إمكانية التحكم في صناعة المعلومات والإتصال من خلال الشركات العملاقة والمهيمنة على السوق العالمية بواسطة الثلاثي المعروف [البنك الدولي - صندوق النقد الدولي منظمة التجارة العالمية] فإن المجال الثقافي وسائر مكونات المنظومة الحضارية لا يزال يمثل الساحة الرئيسية للصراع حيث تواصل القوى الرئيسية المتحكمة في العولمة محاولاتها الدؤوبة من أجل عولمة الثقافة والتعليم والدين وسائر مكونات المنظومة الحضارية التي كانت تحتفظ بإستقلال نسبي خارج دوائر وقيم السوق العالمية . ولقد أمكن بناء سيادة للحقل الثقافي الوطني لفترة طويلة تمثل عمر الدولة الوطنية وسيادتها على أرضها ومواطنيها وظلت الثقافة الوطنية تستمد أسباب سيادتها وتجددها من مصدرين رئيسيين إحدهما اجتماعي يتمثل في الأسرة بإعتبارها المؤسسة الاجتماعية الأولى التي تنتج الوجدان الثقافي الوطني بواسطة شبكة القيم التي ترسخها في وجدان الأفراد منذ نشأتهم الأولى والمصدر الثاني يتمثل في المدرسة التي تواصل الوظائف التربوية للأسرة ولكن في إطار الجماعة الوطنية حيث تقوم المدرسة بوظيفة إرساء أسس الثقافة الوطنية . وقد أدت التطورات السياسية والاقتصادية التي يشهدها العالم المعاصر إلى فقدان هاتين المؤسستين لأدوارهما الحاسمة في التنشئة الاجتماعية والثقافية بسبب نشوء مصادر جديدة لإنتاج ونشر القيم في مقدمتها الإعلام المرئي وتصاعد أدواره في ظل ثورتي الإتصال والمعلومات وبسبب فشل النظام التعليمي

رقصور السياسات التربوية عن تلبية الحاجات المعرفية والعلمية والتربوية للمواطنين فى إطار الدولة الوطنية [١٠] .

لقد أدى تفكك وفشل النظام الثقافى الوطنى التقليدى فى دول الجنوب إلى افساح الطريق لآليات العولمة الثقافية التى تسعى إلى توحيد العالم فى منظومة قيمية وفكرية واحدة تستجيب دون مقاومة لمتطلبات ومصالح السوق العالمية . فى ضوء هذا السياق يمكننا تحديد طبيعة العولمة الثقافية وقوانين حركتها فهى تنشط وتتوسع فى ظل تصاعد الثقافة المرئية أى ثقافة الصورة وفى مناخ يشهد تراجعاً ملحوظاً للثقافة المكتوبة التى حفظت تاريخ البشرية ورافقت الحضارة الانسانية منذ اختراع السومريون الكتابة منذ ٣٦٠٠ سنة قبل الميلاد وشكلت جوهر الإتصال الجماهيرى منذ ظهور المطبعة فى منتصف القرن الخامس عشر وإستمرت تنسج وترصد معالم الثورات الفكرية والحضارية على نطاق العالم حتى ظهور الأقمار الصناعية التى تجسد الثورة الخامسة فى مسيرة التكنولوچيا الاتصالية .

إذن ثقافة العولمة هى ثقافة ما بعد المكتوب فالكتابة ليست من أدوات أو آليات إنتشار العولمة . والواقع أن ذلك لم يكن ممكناً إلا بسبب ما تحقق من إنجازات تكنولوچية هائلة فى مجال الإعلام السمعبصرى حيث أصبح فى وسع البث المباشر عبر الأقمار الصناعية أن ينقل المنتج الثقافى إلى كافة أنحاء العالم فى يسر وسرعة غير مسبوقة مخترقاً الحدود القومية والحواجز الجغرافية دون مشقة [١١].

هذا وتعتمد ثقافة العولمة بصورة أساسية على وسائل الإعلام السمعبصرية التى أصبحت تغطى الكرة الأرضية عبر الأقمار الصناعية وأخترقت جميع القارات والدول والعواصم والريف والحضر لتمارس الهيمنة الثقافية فى أحدث صورها وذلك لأسباب ترتبط بالمستجدات التى طرأت على الواقع الثقافى الدولى خصوصاً بعد إختفاء الاتحاد السوفيتى وإنحسار الصراع الايديولوچى من الساحة الدولية وحلول

الإختراق الثقافى محله . فإذا كان الصراع الايديولوچى لا يزال يستهدف تشكيل الوعى سواء بتزييفه أو تصحيحه فإن الإختراق الثقافى يستهدف السيطرة على الادراك من خلال الصورة السمعبصرية سعياً للتأثير فى الوجدان والفكر والسلوك بالعمل على تنميط الذوق وقولبة السلوك فى أنماط استهلاكية لأنواع محددة من المعلومات والسلع والترفيه تصبح من خلال التكرار السقف والمثل الأعلى لطموحات الانسان وتحول دون البحث عن البديل أو الرغبة فى التغيير . وتشكل الولايات المتحدة فى المرحلة الراهنة القاعدة الأهم والأكثر تأثيراً للمشروع الثقافى للعولمة بوجهه الاحتكارى وقدراته التكنولوجية الهائلة وأدواته الإعلامية المتقدمة والتى تلعب الدور الحاسم فى نشر وترويج الثقافة الاستهلاكية ذات الطابع التجارى بهدف تشوية وتهميش الثقافات المحلية وإعادة إنتاج البنية المتخلفة بكل ما تحويه من تسطيح للوعى وتشجيع للمبادرات الفردية القائمة على الانانية والإستغلال وإنعدام للممارسات العقلانية وبث الفوضى والبيروقراطية والرشوة والفساد [١٢] .

وعندما نتأمل الخريطة الثقافية الراهنة للعالم شماله وجنوبه تصادفنا حقيقيتين هامتين تشير أولهما إلى اجتياح الثقافة الأمريكية للعالم المعاصر بما فيه أوربا وقد أكد وزير الثقافة فى الاتحاد الأوربى فى بيان اصدره عام ١٩٨٨ خطر التهميش الذى تتعرض له الثقافات الأوربية فى عالم توحده ثقافياً الصور والرسائل الأمريكية التى تذاع وتنشر عبر الأقمار الصناعية أما الحقيقة الثانية فهى تشير إلى التنافس بين الثقافتين العالميتين الثقافة الانجلو - أمريكية والثقافة الفرنسية للسيطرة على العالم . ففى مواجهة إنتشار نمط الحياة الأمريكية من خلال البرامج والمسلسلات الأمريكية الناطقة بالانجليزية تبرز الفرانكوفونية كأداة لمقاومة نزعة الهيمنة التى تكرسها الفرانكفونية بإعتبارها أداة التواصل الأكثر ذيوعاً وإنتشاراً على النطاق العالمى وتبرز أيضاً بإعتبارها وسيلة الدفاع أمام محاولات أمركة أوربا والعالم غير الأوربى من خلال ما تبثه من برامج مرئية ومسموعة تستهدف الترويج لنمط الحياة الأمريكية [١٣].

والواقع أن مخاطر الإختراق الثقافى – الذى يشكل أبرز التحديات المعاصرة لثقافة العولمة – لم تعد مقصورة على دول الأطراف فى جنوب العالم بل بدت أوربا التى تنتمى إلى دول المركز تستشعر خطر التفتت الثقافى الناجم عن عالمية السوق. وإن كان الجزء الجنوبى من العالم يشكل الساحة الرئيسية لكل أشكال الاختراق الانجلو أمريكى والفرنسى . ومما يجدر ذكره أن الأدوار التى تقوم بها ثقافة العولمة المهيمنة على العقل الجمعى فى مختلف أنحاء الكرة الأرضية تعد تطبيقاً عصرياً للمنهج الذى اعتمدت عليه الدول الأوربية الاستعمارية حين استخدمت الثقافة كوسيلة لشق الطريق أمام العملية الاستعمارية أولاً ثم لترسيخها ثانياً . فقد كانت البعثات التبشيرية والرحلات الاستكشافية والارساليات التعليمية اضافة إلى ظاهرة الاستشراق هى الآليات الثقافية التى اعتمدت عليها الدول الأوربية للتعرف على دول الجنوب وثقافاتها توطئة لاستعمارها وإدخالها فى حوزة الامبراطوريات الاستعمارية الأوربية وتؤكد الشواهد التاريخية على أن انجلترا وفرنسا كانتا تتزعمان تطبيق الايديولوجية الاستعمارية التى تمحورت حول ما يعرف بنظرية المركزية الأوربية التى سادت طيلة القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين وتبلورت عبر أشكال عديدة منها الارساليات الأجنبية والمؤسسات الثقافية الأوربية التى تعمل فى دول الجنوب والمنح الدراسية إلى اوربا وحركة الترجمة وإنشاء المطابع وإصدار الصحف وظلت أوربا تشغل المركز الثقافى الأول فى العالم الرأسمالى من خلال إستمرارها فى إنتاج ثقافة قادرة على التأثير المباشر على المناطق المجاورة لها أو التى خضعت لسيطرتها المباشرة . والحقيقة أن الإختراق الثقافى أصبح يمثل أحدث آليات الهيمنة العولمية التى تتوج وتستكمل الدور الذى تقوم به الشركات المتعددة الجنسية والبنك الدولى وصندوق النقد الدولى ومنظمة التجارة العالمية ومجموعة الثمانية الأغنياء الكبار الذين يشكلون مجلس إدارة اقتصاد العالم.فالإختراق الثقافى كآلية متطوره تسعى إلى تكريس منظومة معينة من القيم الرافدة تتفاعل داخل المجتمعات وتسرى ببطء ولكن بثبات مخترقة منظومة القيم

الثقافية المحلية فتعمل على تفتيتها وتمزيقها من الداخل وإحلال القيم الأمريكية ذات الطابع الاستهلاكى محلها ولايخفى علينا أن الترويج للنمط الاستهلاكى لصالح السوق العالمية يتم من خلال الاختراق الثقافى على حساب أى محاولات وطنية للنهوض أو الاستقلال أو التمايز الاقتصادى والثقافى [١٤].

وإذا كانت الايديولوچية الاستعمارية الأوربية قد رسخت مفهوم التفوق الثقافى الأوربى على ثقافات دول الجنوب فإن ثقافة العولمة التى تتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية أبقت على الايديولوچية الاستعمارية السابقة وإستفادت من آلياتها التقليدية واضافت إليها الآليات السمعبصرية والمعلوماتية المتقدمة مستفيدة من تزاوج ثورتى الإتصال والمعلومات بقدراتها التكنولوچية الهائلة مما أضفى عليها قوة ونفوذاً عالمياً غير مسبوق .

ويرى البعض أن إنتشار أنماط الثقافة الأمريكية وتغلغلها فى حياة الشباب على النطاق العالمى سواء فى مجال الموسيقى أو المسلسلات والأفلام والآكلات السريعة والملابس الجينز والكوكاكولا وسائر السلع الاستهلاكية يرجع كل هذا إلى مجموعة من الأسباب تتخلص فيما يلى :-

١ - هيمنة شركات الإعلان الأمريكية على التسويق العالمى مما ساعد على قولبة الأذواق والازياء وصبغها بالطابع الأمريكى . وخصوصاً لدى قطاعات واسعة من الشباب سواء فى العالم الرأسمالى أو فى دول الجنوب .

٢ - تفوق الولايات المتحدة فى صناعة الموسيقى الشعبية والأفلام والمسلسلات . وقد تزامن انتشارها فى الأسواق الخارجية مع ظهور التليفزيون ثم إكتساحها للعالم فى ظل البث الفضائى من خلال الأقمار الصناعية .

٣ - تشير الدراسات إلى أن الولايات المتحدة لا تصدر إلى الأسواق الخارجية إلا أردأ ما تنتجه من سلع ثقافية ويرجع ذلك إلى هيمنة وكالات الإعلان وأباطرة

هوليوود الذين يفضلون ترويج المنتج الثقافى الاستهلاكى ذى الطابع الشعبى التجارى ضماناً للأرباح الهائلة ولا يحرصون على تصدير الثقافة الرفيعة التى لا تلقى نفس الرواج الاقتصادى .

ولا شك أن هناك سمات خاصة تتميز بها الثقافة الأمريكية وتجعلها قابلة للتسويق أكثر من سائر ثقافات الدول المتحكمة فى العولمة مثل اليابان والمانيا ويرجع ذلك فى الأساس إلى تنوع الانساق الثقافية الفرعية التى تتشكل منها الثقافة الأمريكية باعتبارها مجتمع مهاجرين مما حال دون ظهور هوية ثقافية أو حضارية عميقة الجذور للشعب الأمريكى . وقد إستثمر تجار العولمة هذه السمة بكفاءة غير مسبوقة حيث إستفادوا من الخصائص التى تتميز بها الثقافة الأمريكية سواء التنوع الاثنى والعرقى علاوة على المرونة وسهولة الانتشار وتوافقها مع مفرادات العصر وطبيعته التى تميل إلى السرعة والسطحية وعدم التعمق . وهناك عامل آخر تتميز بة صناعة الثقافة الأمريكية هو تكثيف اهتمامها على الشباب داخل أمريكا مما ساعد على سرعة انتشارها وتأثيرها على الشباب فى المجتمعات الأخرى [١٥] .

يثور الجدل حول دور التكنولوجيا في التغيير الاجتماعي وتأثيرها على وظائف الإتصال والإعلام في مجتمع المعلومات ، وهناك تياران احدهما يرى أن التقدم التكنولوجي يتحكم بصورة شبه مطلقة في حركة تطور المجتمعات وبالتالي يحدد وظائف وأدوار الإتصال وإن إختلفت مصالح المتحكمين في السياسة والاقتصاد والإعلام ويتزعم هذا التيار عالم الاتصال المعروف مارشال ماكلوهان . هذا فيما يرى التيار الثاني أن التحول في العلاقات الاجتماعية أو علاقات الإنتاج لا يرتبط بالضرورة بالتطورات التكنولوجية . إذ أن التغيير الكيفي في العلاقات الاجتماعية لا يحدث إلا نادراً في مسيرة التاريخ الطويلة بينما التقدم التكنولوجي يتواصل دون انقطاع فالمجتمع الرأسمالي على سبيل المثال استوعب ثورات تكنولوجية متتالية دون أن يغير ذلك جوهر نمط الإنتاج أو علاقاته وإن كان هذا التقدم التكنولوجي يؤثر بشكل مباشر على نموذج الإنتاج الذي يتم استيعابه في إطار علاقات الإنتاج السائدة وهذا يعني أن التقدم التكنولوجي لا يلازمه تقدم اجتماعي إلا بالقدر الذي لا يتناقض مع مصالح النظام الرأسمالي أي أن التغيير الذي يطرأ على العلاقات الاجتماعية نتيجة لهذا التقدم التكنولوجي يتم في حدود التناقضات الخاصة بالنظام الرأسمالي[١٦] .

وعندما نطبق هذا القول على الآثار الاجتماعية والفكرية لثورتي الاتصال والمعلومات نلاحظ أن الايديولوجيا التي تحكم المعلوماتية والإتصال هي جزء لا يتجزأ من البناء الايديولوجي الكلي للنظام الرأسمالي في إطار المرحلة التاريخية الراهنة فهي تتأثر بصورة أساسية بالاقتصاد السياسي للرأسمالية المعاصرة ومذاهب ما بعد الحداثة . فالحداثة قد فرضت ضرورة ملحة لتطوير أدوات الإتصال

بما يلبى الاحتياجات المتطورة للسوق الرأسمالية وقد إنعكس ذلك فى صورة سلسلة متوالية من الاختراعات فى مجال تكنولوچيا الإتصال والمعلومات شكلت معالم الثورة الرابعة للإتصال التى بدأت فى نهاية القرن التاسع عشر واستمرت حتى منتصف القرن العشرين وتمثلت فى اختراع التليفون [١٨٧٦] ثم الفونوجراف [١٨٧٧] فالإتصالات اللاسلكية [ماركونى ، ١٨٩٦] والتى مهدت لظهور الراديو عام ١٩١٩ ، ثم السينما التى بدأت صامتة فى فرنسا عام ١٨٩٥ وأصبحت ناطقة عام ١٩٢٨ ثم أدى دمج الكهرباء مع التصوير مع الإتصالات السلكية واللاسلكية إلى ظهور خدمات التليفزيون التجارى فى الولايات المتحدة عام ١٩٤٢ [١٧].

أما ثورة الإتصال الخامسة فقد تجسدت فى ظهور الأقمار الصناعية وإستخدامها فى نقل الأنباء والصور والرسائل الإذاعية والتليفزيونية عبر الدول والقارات . وتعددت أنواع الأقمار الصناعية ما بين أقمار الاستطلاع والتجسس الالكترونى من الفضاء والأقمار الخاصة بالاتصالات والبث التليفزيونى التى تعود بدايتها الى عام ١٩٥٦ . وقد مرت أقمار الاتصالات المستخدمة لأغراض البث التليفزيونى بمرحلتين أولهما مرحلة اقمار التوزيع خلال السبعينيات وثانيهما مرحلة أقمار البث المباشر التى بدأت فى نهاية الثمانينات وفيها تبث البرامج التليفزيونية إلى شاشات التليفزيون مباشرة دون وساطة المحطات الأرضية ويتحكم حالياً فى عالم الفضائيات ٥ شبكات رئيسية للأقمار الصناعية للإتصالات التليفزيونية منها المؤسسة العربية للإتصالات الفضائية التى اطلقت أول قمر صناعى عام ١٩٨٥ .

لقد تطورت كل من تكنولوچيا الاتصال والمعلومات فى مسارين منفصلين ولكن شهدت الستينيات بداية التواصل بينهما الذى تصاعد متجاوزاً الحدود التقليدية حتى أصبحت الشبكات الالكترونية هى المالك الرئيسى لكافة اشكال التبادل الإعلامى على المستوى العالمى . وقد أسفر التزاوج بين كل من تكنولوچيا الإتصال والمعلومات

فى التسعينيات عن ظهور ما يعرف حالياً بالإتصال المتعدد الوسائط [Multi-Media] الذى يركز على تطور الحاسبات فى جيلها الخامس . وتستند الثورة التكنولوجية الإتصالية الراهنة على عدة ركائز رئيسية تشمل الإتصالات السلكية واللاسلكية التى تضم التلغراف والهاتف والتلكس والطباعة عن بعد والراديو والتليفزيون وأجهزة الإستشعار عن بعد والميكروويف والأقمار الصناعية والحاسبات الالكترونية والألياف البصرية وأشعة الليزر . وقد أسفر ذلك التداخل عن ظهور الطريق السريع للإتصال والمعلومات والمقصود به وضع جميع التقنيات على صعيدى الإتصال والمعلومات من الهاتف والتليفزيون والكمبيوتر والأقمار الصناعية والأطباق اللاقطة والكابلات والموجات والميكروويف فى منظومة واحدة تكرس لخدمة الأفراد والمجتمعات [١٨] .

هذا وقد تبلورت الثورة التكنولوجية فى مجال الإتصال والمعلومات فى بنى عالمية عملاقة تنتشر كأنها نسيج عنكبوتى وتتجسد فيما يعرف بالثلاثى التكنولوجى الذى يتقاسم مع مجلس إدارة اقتصاد العالم السلطة المطلقة فى تسيير شئون العولمة والتحكم فى مساراتها . وأقصد بالثلاثى التكنولوجى **أقمار البث المباشر وشبكات المعلومات الدولية والإتصالات اللاسلكية** [الهواتف] أما مجلس إدارة اقتصاد العالم فقد سبق الإشارة إليه ويتكون من الدول الثمانية الكبار والثلاثى المعروف [البنك الدولى وصندوق النقد الدولى ومنظمة التجارة العالمية].

هذا وتهيمن الشركات المتعددة الجنسية على صناعة وتوزيع التكنولوجيا المتقدمة بشقيها الإتصالى والمعلوماتى وتنتمى هذه الشركات إلى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والمانيا واليابان وهولندا وكندا . وتسيطر أكبر ١٥ شركات أمريكية فى مجال الالكترونيات على ٧٥٪ من الإنتاج الصناعى الالكترونى العالمى فى مجال الإتصالات [١٩] .

وقد شهدت تكنولوجيا الوسائط المتعددة التى تمثل الاندماج الحقيقى للحاسبات الالكترونية والإتصالات والفيديو نمواً وازدهاراً ملحوظاً خلال السنوات

الأخيرة إلى المدى الذى بلغ حجم الإستثمارات فى أسواقها حوالى ٣٠٠٠ مليار دولار عام ١٩٩٥ . كما بلغ حجم معاملات الإتصالات فى نفس العام ألف مليار دولار بما يعادل ١٠٪ من التجارة العالمية وهى نسبة تزيد عن إنتاج قطاع السيارات . ولذلك يرى أساتذه الاقتصاد أن تكنولوچيا الرقميات تمثل المنجم الجديد للرأسمالية العالمية ويدور صراع ضارى بين الشركات العملاقة للسيطرة على أسواق الإتصال والمعلومات . وهناك فيض لا يغيض من المعلومات التى تنتجها وسائل الإتصال [صحف – وكالات أنباء – إذاعة – تليفزيون – سينما – مواقع شبكة الانترنت .... إلخ] فضلاً عن المعلومات التجارية والاقتصادية . ويسعى عمالقة الإتصال إلى الاستئثار بالمستهلكين من خلال كافة وسائل الإتصال المتاحة [٢٠]

ولا تتوقف الولايات المتحدة [أول منتج للتكنولوچيا الإتصالية وموطن الشركات الرئيسية فى المعلوماتية والإتصال] عن وضع ثقلها كله فى معركة تحطيم الحواجز ليتم فتح حدود أكبر عدد ممكن من البلدان أمام التدفق الحر للمعلومات أى بمعنى آخر أمام العمالقة الأمريكيين أصحاب صناعة الإتصال .

ولقد انعقدت أربعة مؤتمرات دولية [چنيف ١٩٩٢ – بيونس إيرس ١٩٩٤ – بروكسل ١٩٩٥ – جوهانسبرج ١٩٩٦] تمكن من خلالها الرئيس كلينتون ونائبه آل جور من تسويق فكرتهما حول [مجتمع المعلومات العالمى] أمام كبار المسئولين السياسيين فى العالم . ومن جهة أخرى وأثناء المحادثات التى جرت فى ختام دورة أورجواى حول اتفاقية الجات عام ١٩٩٤ قدمت واشنطن إقتراحاً ينص على اعتبار الإتصالات بمثابة نوعاً من الخدمات التى يحكمها القانون العام للتجارة . والوقع أن الإتصالات اللاسلكية تمثل سوقاً يدر ٥٢٥ مليار دولار سنوياً ويزداد بنسبة من ٨ – ١٢٪ سنوياً كما أنّه يمثل أحد الميادين الأكثر ربحاً فى التجارة العالمية [٢١] .

وقد أوصى الاجتماع الوزارى لمنظمة التجارة العالمية الذى انعقد فى سنغافورة فى ديسمبر ١٩٩٦ بتحرير كامل لجميع خدمات الإتصالات . وفى چنيف

فى ١٥ فبراير ١٩٩٧ وتحت رعاية المنظمة العالمية للتجارة وقعت ٦٨ دولة على إتفاق يقضى بفتح الأسواق الوطنية لعشرات من البلدان أمام شركات الإتصالات الأمريكية والأوربية واليابانية خاصة . ومن المعروف أن الاتحاد الأوربى قرر من جانبه التحرير الكامل لأسواق الهاتف [دون تمييز بين مختلف الوسائل المستخدمة من كابلات وإذاعات وسواتل] وذلك ابتداء من أول يناير ١٩٩٨ . وهكذا فى الوقت الذى تنهار فيه الاحتكارات الوطنية يتسارع السياق والبحث عن التنوع فى جميع قطاعات الإتصال حيث يواصل عمالقة المعلومات الجدد سعيهم المحموم من أجل الاستحواذ والتركيز . فبالنسبة إليهم تعد الإتصالات اخر تجارة يجب أن تنتج بكميات كبيرة لإن للكم أولوية على الكيف فى السوق العالمية . فالعالم قد أنتج من المعلومات خلال الثلاثين عاماً الماضية أكثر مما أنتجه على امتداد خمسة آلاف سنة سابقة وعلى سبيل المثال فإن العدد الأسبوعى لصحيفة نيويورك تايمز الصادر يوم الأحد يحتوى على كم من المعلومات أكثر مما كان يمكن أن يحصل عليه المواطن الأوربى الذى عاش فى القرن السابع عشر طيلة حياته كلها .[٢٢] والواقع أن المعلومات بعد أن كانت نادرة وباهظة التكاليف أصبحت الآن متوفرة بل أكثر العناصر وجوداً على ظهر الكوكب وبات ثمنها ينخفض تباعاً . وإذا كان لتقنيات الإتصال منذ إختراع الكتابة والطباعة فضل فى نشر المعرفة والإستنارة وتحرير العقول من الخرافات والأوهام على إختلاف أنواعها فإن فرض هذا الفيض من المعلومات على الناس حول ظواهر الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية لابد أن يقف عائقاً فى سبيل تكوين معرفة حقيقية خصوصاً إذا كانت علاقات السوق فى المجتمع الرأسمالى تكيف إستخدام المعلوماتية لصالح المتحكمين فى السوق أباطرة العولمة الذين يمثلون ٢٠٪ من سكان العالم ويتمتعون باستهلاك ٨٠٪ من الدخل العالمى . ويلاحظ أن الخطاب السائد حول المعلوماتية يتجاهل تماماً مشكلة مضمون المعلومات موضوع الإتصال أى يستبعد التساؤل المركزى حول ماهية المعلومات التى تتدفق بلا ضوابط

ى لماذا نريد جمعها ونقلها ؟ وما هى أهداف الإتصال ؟ كذلك يثار نفس التساؤل حول استخدام شبكات الإتصال من خلال طرق الإتصال السريعة وهل حقاً ستؤدى إلى خلق مجتمع جديد قائم على الوفاق وخال من كافة أشكال التناقضات ؟ ويذكرنا ذلك بأيديولوچية الإتصال التى تعد عنصر ثابت فى الفكر الاجتماعى السائد منذ الحرب العالمية الثانية والتى تتنوع صيغتها طبقاً لطبيعة المرحلة ولكن لا تختلف أهدافها وهنا يجدر بنا أن نشير إلى خطاب السبرنتيكا الذى قدمته الولايات المتحدة فى الخمسينيات كعلم جديد مفاده أن ثمه أداه رياضية تمثل القاسم المشترك الذى يحكم جميع قوانين الطبيعة والمجتمع واختاروا الإتصال للاشارة إلى هذ القاسم المشترك الذى سوف يلغى صراع الايديولوچيات ثم ذهب خطاب السبرنتيكا ليحل محله خلال السبعينات خطاب الثورة المعلوماتية الذى يزعم أن تعميم إستخدام الكمبيوتر سيدعم الديمقراطية ونفس الشئ يقال عن إستخدام الطريق السريع للإتصال . لا شك أن تكنولوچيا الإتصال والمعلومات وتكثيف إستخداماتها قد يمثل نقلة نوعيه فى تاريخ المجتمعات ولكن لا تنتج هذه التكنولوچيا من تلقاء نفسها نظاماً اجتماعياً جديداً [٢٣] .

ان التطورات الراهنة فى تكنولوچيا الإتصال أفرزت نمطاً إتصالياً يتميز بسمات تختلف عن الأنماط الإتصالية التقليدية السابقة التى تشمل الإتصال الذاتى والإتصال الشخصى والإتصال الجمعى ثم الإتصال الجماهيرى . وهذا النمط الإتصالى الجديد أو كما يطلق عليه البعض اسم الإتصال الوسطى يجمع بين كل من سمات الإتصال الشخصى المواجهى والإتصال الجماهيرى وله وسائله الإتصالية الخاصة به التى تضم فى داخلها كل أشكال الإتصالات عن بعد وهى الإتصالات السلكية واللاسلكية كالتلغراف والهاتف والراديو وإتصالات الحاسب الالكترونى [البريد الالكترونى] .كما يتضمن هذا النمط الإتصالى داخله الإتصالات الإستطلاعية

كالراديو وعمليات مراقبة البيئة وألعاب الڤيديو والحاسب الالكترونى ويطلق على هذه الوسائل وسائل الإتصال الوسطية [٢٤] .

هذا وقد ترتب على تزاوج تكنولوچيا المعلومات والإتصال عدة نتائج هامة نوجزها على النحو التالى :-

أولاً :ظهور ما يعرف بظاهرة التخطى المعلوماتى للحدود القومية وهى ظاهرة يحل فيها بدرجات متفاوتة تنظيم الشعوب فى مجموعات أفقية مما يؤدى إلى تهميش الثقافات القومية ويتداخل التخطى المعلوماتى مع التخطى الاقتصادى والتجارى الأمر الذى أتاح للشركات المتعددة الجنسية باعتبارها تمثل خط الاختراق الأول للحدود السياسية والاقتصادية فرصة غير مسبوقة لتوظيف وسائل الإعلام المتزاوجة مع شبكات المعلومات لاكمال مهمتها باختراق الحدود الاجتماعية والثقافية . هذا وقد أدى تزاوج وتداخل التخطى التجارى والتخطى المعلوماتى للحدود القومية إلى ظهور إشكاليات تتعلق بالذاتية الثقافية وكيفية الحفاظ عليها فى مواجهة الهيمنة الثقافية لدول الشمال كذلك تجددت الحاجة إلى خلق نظام إعلامى عالمى جديد يحقق التوازن والعدالة الإتصالية والمعلوماتية .

ثانياً :حدوث تغيرات نوعية فى أنماط ومستويات الخدمة الاخبارية التى تقدمها وسائل الاتصال سواء المرئى او المسموع والمقروء وتفصيلا لذلك نلاحظ مايلى :-

[أ] اتسع نطاق الخدمة الاخبارية من خلال الإعلام المرئى حيث أصبح فى إستطاعه شبكات الإعلام الدولية بث الحدث لحظة وقوعه وفى موقعه سواء داخل الدولة أو خارجها ويمكن الإستشهاد بالعديد من الأمثلة تبدأ بشبكة الـ CNN الأمريكية التى يغطى ارسالها أكثر من ١٥٠ دولة وتغطيتها لأحداث حرب الخليج

الثانية وشبكة اليورونيوز الأوربية التى تبث بست لغات وتشارك فيها ١١ قناة دولية أوربية ومحطة سكاى نيوز البريطانية التى اتسع نطاق تغطيتها الإعلامية ليشمل أوربا بأسرها ويمتلكها روبرت مردوخ – أيضاً شبكة الـ BBC التى تم تطوير خدماتها العالمية ويصل إرسالها إلى جميع القارات ماعدا استراليا وأمريكا الجنوبية . وقد أدى ذلك إلى تطوير الخدمة الاخبارية الذى تمثل فى اختزال المراحل التقليدية لنشر الخبر والتى تتضمن ثلاث مراحل تبدأ بالاندلاع ثم البث فالتشبع إذ ظهر نمط جديد للتغطية الاخبارية يتضمن شقين أولهما يعرف بالتغطية الاخبارية الالكترونية . وتنقل مباشرة أو يذاع الحدث بعد فترة أما الثانى فهو يتم بواسطة القمر الصناعى ويتم بثه مباشرة .

وقد أسفرت هذه التطورات عن حدوث تغير جذرى فى تعريف الخبر فلم يعد كما كانت تطلق عليه الأدبيات الكلاسيكية فى علم الإتصال والإعلام [الحدث الذى وقع] بل أصبح تعريفه فى ظل ثورتى الإتصال والمعلومات [الحدث الذى نشاهده وهو يقع] [٢٥] .

[ب] اكتسبت وسائل الإتصال المرئى والمسموع المحلية بعداً دولياً بفضل تطور تكنولوجيا الإتصال . فالبرامج المحلية التى تبثها محطات التليفزيون فى الولايات المتحدة واليابان ودول غرب أوربا أصبحت تشاهد عبر الأقمار الصناعية فى مختلف أنحاء العالم . كذلك محطات الراديو الوطنية أصبحت تسمع فى خارج حدودها المحلية رغم أنها تستهدف فى الأصل الجمهور المحلى .

[ج] إستفادت الصحافة بمختلف إصداراتها اليومية والأسبوعية والشهرية والفصلية من ثورتى الإتصال والمعلومات سواء فى رفع مستوى المنتج الإعلامى من حيث الطباعة والاخراج والتصوير وحفظ المعلومات أو فى تزامن صدور الطبعات الاقليمية للصحف اليومية مع طبعات العاصمة أو فى صدور طبعات دولية للعديد من

الصحف التى تصدر فى دول الجنوب كذلك اتساع النطاق الجغرافى للتوزيع سواء داخل الحدود الوطنية أو خارجها من خلال التواجد فى الأسواق العالمية أيضاً برز التأثير الايجابى لثورة المعلومات فى انتشار بنوك المعلومات ، وظهور الارشيف الالكترونى فى أغلب المؤسسات الصحفية المحلية والعالمية . كما شهدت الصحافة بداية إنحسار بل إختفاء أساليب الكتابة التقليدية بعد إنتشار الكمبيوتر وشيوع إستخدامه فى تحرير واخراج الصحف . وبرزت شبكة الانترنت كمصدر عالمى للمعلومات وكآلية مستحدثة تكمل الدور الإعلامى الذى تقوم به وكالات الأنباء كآليات تقليدية لنقل ونشر وترويج الأخبار العالمية [٢٦].

[د] أصبح هناك إستحالة لإخفاء أى حكومة للأحداث التى تقع داخل حدودها فى إطار الثورة الراهنة لتكنولوجيا الإتصال وتطور الطابع الدولى لوسائل الإتصال وتطور الوظيفة الإخبارية المستفيدة من البث التليفزيونى المباشر عبر الأقمار الصناعية .

ثالثاً : ظهور ما يعرف بدبلوماسية الأقمار الصناعية والإعلام الالكترونى بدلاً من الدبلوماسية التقليدية وقد شهدت التسعينيات إستخدام صناع القرار لهذه الآلية الجديدة كعنصر أساسى فى إتخاذ القرار أثناء إدارة الأزمات الدولية . ولعل أبرز الأمثلة أزمة الخليج وتطورات القضية الفلسطينية بعد إتفاقيات اوسلو .

هذا ويرى بعض الكتاب السياسيين أن برامج الـ CNN تؤثر بصورة أكثر فاعلية على قرارات الرئيس الأمريكى من مذكرات مستشارية ووزير خارجيته . ورغم ما تتميز به هذه الآلية الجديدة بسبب فورية وسرعة نقل وتبادل الاراء وردود الأفعال بين حكام العالم إلا أنها تثير القلق لدى العديد من هؤلاء الحكام[٢٧] .

رابعاً : أسفرت الثورة الإتصالية عن تصاعد ثقافة الصورة وبروز نجم المثقف التليفزيونى ويتمثل فى مقدم البرامج التليفزيونية مع تزايد نفوذ اللغة المرئية ودلالاتها وذلك فى ظل تراجع مكانة المثقف التقليدى والثقافة المطبوعة .

خامساً : فى إطار ثورتى المعلومات والإتصال يلعب التليفزيون والكمبيوتر أدوار غير مسبوقة سواء فى إستطلاعات الرأى أو إدارة الانتخابات وذلك فى ظل تغير مكانة الديمقراطية النيابية وليدة عصر الصناعة وتزايد مساحة الشفافية فى العمل السياسى ولقد تمت فى النرويج أول تجربة انتخابات اليكترونية عام ١٩٩٢ كما لعب الكمبيوتر دوراً هاماً فى الانتخابات الأردنية الأخيرة .

الآثار السلبية لثورتى الإتصال والمعلومات:

إذا كان التزاوج بين ثورة المعلومات والتطور النوعى الذى تحقق فى مجال تكنولوجيا الإتصال قد تمخض عن العديد من الآثار الايجابية التى تمثلت فى زيادة الترابط الإعلامى بين مختلف أنحاء العالم بصورة لم تشهدها البشرية من قبل نقد بشر ذلك بظهور أشكال جديدة من التواصل الإعلامى فى مجال المشاركة السياسية والعمل الدبلوماسى بالإضافة إلى دخول قطاعات وشرائح جديدة من البشر فى دائرة المشاركة المعرفية من خلال المتابعة الإعلامية لمختلف الأحداث العالمية والقرارات المصيرية وظهور ما يسمى بديمقراطية الإعلام المرئى والمسموع. ولكن فى ظل التفاوت الهائل بين المتحكمين فى العولمة أى فى موارد العالم وثرواته وقراراته المصيرية فى شمال العالم وبين سكان وأهالى حزام العوز الاقتصادى من أبنا الحضارات القديمة فى جنوب العالم فى ظل هذه الأوضاع يظهر الوجه المعتم من التقدم التكنولوجى فى مجال الإتصال والذى جعل الجوانب المبهرة لتكولوجيا الإتصال والمعلومات وأثارها الايجابية حكراً لشعوب ودول الشمال الصناعية المتقدم حيث ساعد التقدم العلمى والتكنولوجى على تدعيم الهيمنة الإتصالية لدول الشمال والتى تجسدت كأوضح ما تكون فى سطوة التدفق الإخبارى وتدفق المعلومات من نصف الكرة الشمالى الغنى إلى دول الجنوب الفقيرة هذا بالإضافة إلى طوفان الأفلام والبرامج والمسلسلات المستوردة والحملات الإعلامية ذات الطابع العالمى والتى تتحكم فيها مجموعة الشركات العالمية العملاقة .

ويمكن حصر الجوانب السلبية لإنتشار تكنولوچيا المعلومات والإتصال فيما يلى :-

أولاً : زيادة الفجوة الإتصالية بين الشمال الغنى والجنوب الفقير على مستوى العالم وبين الريف والحضر داخل دول الجنوب على وجه الخصوص مما أدى إلى تزايد الخلل فى التدفق الإعلامى والمعلوماتى من طرف الشمال الغنى إلى الجنوب الفقير ورسوخ الأنماط التقليدية السلبية والمتحيزة فى سريان وتدفق الأنباء المبتورة المشوهه عن دول الجنوب والتى تتعمد إغفال كافة الإنجازات التنموية التى تحققت فى تلك الدول .

ثانياً : إنهيار السيادة القومية للإعلام فى ظل إنهيار المفاهيم التقليدية حول القومية الحديثة مثل السيادة على الفضاء والحدود وصنع السياسات الإعلامية وظهور تقسيمات جديدة للعالم قائمة على أساس الجغرافيا الفضائية .

ثالثاً : الإتجاه لتفتيت الإتصال الجماهيرى من أجل تنويع الخدمة الإعلامية ويعزز ذلك الاتجاه ماتتميز به التكنولوچيا الإتصالية الجديدة من سمات اللاجماهيرية واللاتزامنية والتفاعلية والحركية والشيوع والإنتشار . مما أدى إلى التركيز على الفرد الذى أصبح هدفاً رئيسياً للإتصال الالكترونى . وأدت هذه التغيرات فى نظم وآليات الإتصال إلى تفكيك منظومة العلاقات والقيم الاجتماعية . إذ أصبحت العلاقة أحادية بين مرسل الرسالة الإعلامية ومستقبلها وأصبح مؤشر التقدم فى هذه العلاقة هو سرعة بث المعلومات حتى ولو تم ذلك على حساب اعتبارات المعرفة [٢٨] .

رابعاً : أدى تركز تكنولوچيا الإتصال والمعلومات فى دول الشمال الغنية إلى تحول دول الجنوب إلى سوق للاستهلاك الإعلامى والإعلانى وتجسد ذلك فى زيادة اعتماد دول الجنوب على البرامج الاخبارية والمسلسلات والإعلانات الغربية وعلى

الأخص الإمريكية وقد ترتب على ذلك زيادة الهيمنة الاتصالية لدول المركز المتحكمة فى العولمة على دول الأطراف كما أدى إلى تدفق الثقافة المركزية الغربية والمعلومات بلا ضرابط وفى إطار تنافسى تجارى بحت .

خامساً : كان للتطورات الراهنة فى تكنولوچيا الإتصال آثارها السلبية الملحوظة على وسائل الإعلام المطبوع [الصحافة] والسينما. فقد إتّجهت وكالات الإعلان إلى التلفزيون بقنواته المتعددة المركزية والفضائية المشفرة والمفتوحة حيث اتيحت لها فرصة الإستفادة من المزايا العديدة للاعلام المرئى فى عصر صعوده وانتشاره مما أفقد الصحافة جزاء كبيراً من الموارد الإعلانية التى كانت تعتمد عليها العديد من المؤسسات الصحفية العملاقة فضلاً عن دور الصحف الصغيرة التى بدأت فى تصفية نشاطها وسارع البعض إلى الاندماج لمواجهة الأزمة المالية المترتبة على تقلص المساحات لإعلانية بها . يضاف إلى ما سبق الأزمة الحادة التى تواجهها صناعة السينما فى معظم دول العالم وتقلص عدد صالات العرض بسبب التغيرات التى طرأت على أذواق الجماهير ومنافسة نوادى الڤيديو وإنتشار القنوات الفضائية مما كان له تأثيره الحاد على إنتاج الأفلام وتوزيعها [٢٩] .

وظائف الإعلام العولمى:

مع التطورات التى يشهدها العالم المعاصر وتقودها دول الشمال وفى ظل المحاولات الدؤوبة ، التى تقوم بها القوى العالمية لعولمة الثقافة والتعليم والدين وسائر مكونات المنظومة الحضارية التى كانت تحتفظ باستقلال نسبى خارج دوائر وقيم السوق العالمية تبرز الأدوار الجديدة للإعلام والاتصال المعاصر حيث لم تعد تكنولوچيا الإتصال والمعلومات تشغل موقعاً مركزياً فحسب فى شبكة الإنتاج الصناعى بل بدأت تشغل موقع القلب فى استراتيچية إعادة تنظيم العلاقة بين

الدولة والمواطنين وبين الخبراء والممارسين فمنذ نهاية السبعينيات بدأت الدول الصناعية المتقدمة تشهد تغيرات جذرية فى وظائف الإعلام متواكبة مع التغيرات النوعية فى تكنولوچيا الإتصال والثورة الهائلة فى مجال المعلومات وتقنياته وتحولها إلى سلطة عليا . ولقد ظهرت تيارت فكرية جديدة فى سياق التغيرات العلمية والتكنولوچية التى شهدتها دول الشمال سواء فى مجال الاقتصاد أو المجال الاجتماعي والثقافى وكان لها مردودها فى مجال الإعلام والإتصال وعلاقته بالعالم المعاصر مما اتاح لنا الكشف عن التغيرات العميقة التى طرأت على العلاقة بين النخب المثقفة التى تقوم بأنتاج المعرفة والثقافة وبين القوى الاجتماعية التى تستهلكها . كما أن التغيرات الشاملة التى طرأت على نظم وإدارة تكنولوچيا الإتصال وعلى الأخص فى مجال الإعلام المرئى والمسموع خلال حقبة الثمانينات فى كل من أوربا الغربية والولايات المتحدة مضافاً إليها انهيار الاتحاد السوڤيتى ودول الكتلة الشرقية وما تبعها من مناقشات حادة حول ديمقراطية الإعلام فى هذه الدول كل ذلك فى مجمله أدى إلى احتدام النقاش حول الأدوار الجديدة للإعلام سواء فى المجال السياسى أو الثقافى والاجتماعى . والواقع أن هذه المناقشات لم تعد مجرد أمراً كمالياً خصوصاً بعد أن شهدت العقود الأخيرة ظهور عدة رؤى وتصورات نقدية عن دور الإعلام والاتصال فى حياة الأفراد والمجتمعات وكشفت هذه الرؤى عن الطبيعة المركبة للإعلام وتداخل الأدورا التى يقوم بها فى مجتمع المعلومات . إذ أصبح يشغل موقعاً مركزياً فى الاستراتيچيات والسياسات التى تستهدف اعادة بناء المجتمعات المعاصرة سواء فى الشمال أو الجنوب وقد يكون ذلك أكثر وضوحاً فى المجتمعات الصناعية المتقدمة حيث يبرز دوره فى إعادة توزيع مراكز القوى السياسية والاجتماعية والقوى المضادة داخل هذه المجتمعات . ويبدو

ذلك جلياً فى مختلف المواقع بدءاً بالاسرة والمدرسة والمصنع والمستشفى ثم مواقع العمل والترفيه على مستوى الأقاليم ثم مستوى الدولة ككل . وفوق ذلك أصبح الإعلام مسئولاً عن الأدوار الحاسمة فى تدويل أو عولمة الاقتصاد والثقافة حيث يبرز دوره كمحرك رئيسى فى خلق وتشكيل منظومة العلاقات الدولية سواء على المستوى الرسمى بين الحكومات والأنظمة أو المستوى الحضارى بين الثقافات المختلفة بإعلاء شأن ثقافات معينة على حساب ثقافات أخرى ولعل أخطر هذه الأدوار ما يقوم به الإعلام فى تشكيل أنماط معينة من السلوك الانسانى وتهميش أنماط أخرى من خلال لغة الصورة ورموزها . هذا وقد ادركت الحكومات فى دول الشمال الصناعى المتقدم أهمية الأدوار الجديدة التى يمكن أن تقوم بها وسائل الإعلام كبديل للممارسة الديمقراطية خصوصاً بعد أن أحتل الإعلام المساحة المخصصة لممارسة الفعل الديمقراطى إذ أصبحت هذه المساحة هى ذاتها المخصصة للإعلام ولذلك لم يعد الإعلام يمثل السلطة الرابعة أو الخامسة بل أصبح يشغل المجال الشفاف بين الفعل السياسى والثقافى ورد الفعل الجماهيرى . ومن هنا أصبح ينظر إلى الإعلام بإعتباره المعيار الذى يقاس به كفاءة الأداء السياسى والاقتصادى للنظم المعاصرة[٣٠].

وإذ كانت العولمة تسعى إلى صياغة ثقافة كونية شاملة تغطى مختلف جوانب النشاط الإنسانى وتتطلع إلى خلق الانسان العالمى المبرمج ذى البعد الواحد المؤمن بابديولوچية السوق العالمية والمتوحد مع مصالحها ورموزها وشعاراتها فإن ذلك ما كان ممكناً إن يتحقق إلا بفضل الثلاثى التكنولوچى الصاعد الذى يعمل فى تناعم وتكامل غير مسبوق ويضم حسب ترتيب الأهمية كل من وسائل الإعلام السمعبصرى وشبكات المعلومات والطريق السريع للمعلومات والاتصال ولذلك أصبحت السيطرة الكاملة على صناعة الاتصال والمعلومات والاتصالات اللاسلكية شرطاً رئيسياً لضمان التحكم الكامل من جانب الشركات العملاقة فى السوق العالمية .

فالامبراطوريات الفضائية أصبحت المصدر الجديد لإنتاج وصناعة القيم والرموز وأدوات تشكيل الوعى والذاكرة الانسانية والوجدان والذوق وتقوم بتقديم معلبات ثقافية محكمة الصنع تتضمن منظومة جديدة من القيم تدور حول تشجيع النزعة الاستهلاكية وغرس قيم الانانية والفردية والروح النفعية . ولعل القاء نظرة على خريطة الفضائيات والمعلومات يوضح لنا حقيقة الأدوار الجديدة التى يقوم بها الإعلام لارساء دعائم العولة والترويج لايديولوجيتها أولاً: تشير خريطة الفضائيات التى تسيطر عليها كل من الولايات المتحدة واليابان والدول الأوربية إلى أنه يوجد فى العالم اليوم ١,٢٦ مليار جهاز تليفزيون منها ٢٠٠ مليوم جهاز بالكابل وحوالى ٦٠ مليون مرتبطة بمجموعة رقمية وتبلغ صناعة الاتصال ألف مليار دولار ستتضاعف فى عام ٢٠٠٠ وهى تشكل حالياً ١٠٪ من التجارة العالمية . أما الخريطة المعلوماتية فهى تشير إلى وجود ٢٠٠ مليون جهاز كمبيوتر منها ٤٥ مليون جهاز مرتبطة بالانترنت . ويرى البعض أن شبكة الانترنت سوف تتجاوز قوتها شبكة الهاتف العالمية بحيث يصبح عدد مستخدميها ما بين ٦٠٠ مليون ومليار شخص بحول عام ٢٠٠١ . وهناك صراع وتنافس ضارى بين شركات الاتصال الأمريكية واليابانية والأوربية التى تسعى لخلق مجموعات متكاملة من شركات الإتصال والمعلومات ذات المستوى العالمى [٣١].

وإذا كان من الضرورى أن تميز بين موقع الإعلام والإتصال على خريطة السوق العالمية وبين دوره فى توحيد العالم الصالح القوى المتحكمة فى العولة فإن علينا أن نشير تفصيلاً إلى أدوار ووظائف الإعلام العولى وذلك على النحو التالى:-

أولاً : فى ظل صعود الإعلام السمعبصرى أصبح هو المؤسسة التربوية والتعليمية الجديدة التى حلت مكان كل من الأسرة والمدرسة والتى تقوم بدور أساسى فى تلقين النشء والأجيال الجديدة المنظومة المعرفية المنزوعة من سياقها التاريخى

والقيم السلوكية ذات النزعة الاستهلاكية والتى تروج بأشكال متنوعة لمصالح السوق العالمية وأيديولوجيتها . ومن خلال هذه الوظيفة يمارس لإعلام أخطر أدواره الإجتماعية والتى تتمثل فى إحداث ثورة إدراكية ونفسية تستهدف إعادة تأهيل البشر للتكيف مع متطلبات العولمة وشروطها .

ثانياً : يقوم الإعلام بدور أساسى فى الترويج للسلع والخدمات التى تقدمها السوق العالمية من خلال الإعلانات التى تتضمن محتوياتها قيماً وأنماطاً للسلوك الاستهلاكى تستهدف الدعاية للسلع الأجنبية مما يلحق أضراراً فادحة بالاقتصاديات المحلية علاوة على التأثير السلبى للإعلانات على حرية الإعلام والصحافة فى دول الجنوب . والمعروف أن هناك ما يزيد عن ٤٥٪ من الزمن المخصص للبث فى الإعلام السمعبصرى المحلى والفضائى عدا المساحات التى تحجزها فى الصحف والتى تزيد عن ٦٠٪ فى معظم الصحف [٣٢] .

ثالثاً : تقوم وسائل الإعلام السمعبصرية من خلال البث المباشر بدور مركزى فى إختراق منظومة القيم الثقافية لدول الجنوب من خلال المسلسلات والأفلام وبرامج المنوعات الأمريكية خصوصاً فى ظل عدم الالتزام بالمواثيق الدولية التى نصت على ضرورة التزام البرامج المبثوثة عبر الأقمار الصناعية باحترام الطابع المميز للثقافات المختلفة وأبرز هذه المواثيق إعلان اليونسكو عام ١٩٧٨ وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة [١٩٨٢] والذى يتضمن مبادئ وقواعد تنظيم استخدامات الأقمار الصناعية فى البث التليفزيونى المباشر [الفقرة ١٣] [٣٣] . وقد نجحت أمريكا خلال العقدين الأخيرين فى اختراق الأنظمة الثقافية لدول الجنوب وقدمت لشعوبها النموذج الأمريكى كغاية مثلى [٣٤].

رابعاً : تقوم وسائل الإعلام العالمية بإستقطاب النخب المثقفة للترويج لفكر العولمة وأيديولوجيتها عبر الحوارت التليفزيونية والمقالات الصحفية والمؤتمرات والندوات [عد الاغراءات الأخرى] حيث يتم تكثيف جهودهم من أجل إعادة تشكيل

الرأى العام العالمى لمساندة السياسات الاقتصادية للثلاثى الذى يقوم بادارة اقتصاد العالم [البنك الدولى + صندوق النقد الدولى + منظمة التجارة العالمية] والدفاع عن المعايير المزدوجة للشرعية الدولية والإسهام فى إعلاء شأن الثقافة الأمريكية وتهميش ثقافات الجنوب والترويج لعالمية السوق متجاهلين التفاوت الحاد بين المستويات الاقتصادية لكل من دول الشمال والجنوب علاوة على الترويج لما يسمى بالقرية العالمية مغفلين عن عمد التفاوت الرهيب بين معدلات التطور الاتصالى بين أجزاء العالم شمالاً وجنوباً سواء تمثل ذلك فى مستويات الاشباع الإعلامى أو معدلات التقدم التكنولوچى .

خامساً : تشير الدراسات إلى تزايد أهمية الأدوار التى تقوم بها الشركات المتعددة الجنسية فى الأنشطة الإعلامية والثقافية ويتجلى ذلك فى توظيف وسائل الإعلام الدولية والمحلية كأحزمة ناقلة يتم من خلالها ترويج القيم الاجتماعية والثقافية الغربية ونشرها فى دول الجنوب مما يتسبب فى احداث بلبلة واضطراب شديد في منظومة القيم المميزة لثقافات الشعوب التى تتعرض لهذه التأثيرات وتمارس هذه الشركات بالتنسيق مع البنك الدولى ضغوطاً متواصلة على دول الجنوب لإستخدام قروض البنك فى استيراد التكنولوچيا الإتصالية والمعلوماتية مما يسهم فى احكام الحصار على الإعلام الجنوبى .

سادساً : تشير الدرسات إلى استفادة العولمة من استمرار النظام الإعلامى العالمى الراهن الذى يتسم بالخلل وأوجه التفاوت الخطيرة سواء على المستويات المحلية أو العالمية والتى تتمثل فى الانسياب غير المتوازن للمعلومات مع رسوخ الاتجاه الرأسى الاحادى الجانب للاعلام من الشمال إلى الجنوب من المراكز إلى الأطراف ومن الحكومات إلى الأفراد ومن الثقافة المسيطرة إلى الثقافات التابعة ومن الدول الغنية تكنولوچيا فى الشمال إلى الدول الأفقر فى الجنوب . وقد لوحظ أن

التدفق الإعلامى من الشمال إلى الجنوب مائة مرة فى مقابل مرة واحدة من الجنوب بينما لا يزيد بين دول الجنوب عن ١٠٪ وهذا لا يعنى عدم وجود قضايا عالمية تحمل ملامح المستقبل المشترك مثل قضايا البيئة والسلاح النووى والمرأة وإن كانت أجندة الأولويات لدى الشمال تختلف جذرياً عن أجندة الجنوب .

سابعاً : فى ضوء التفاوت الهائل بين الشمال والجنوب سواء فى موارد الإتصال أو مصادر المعلومات والتعرض لوسائل الإعلام وصنع الصورة الإعلامية وأنماط التدفق الإعلامى الرأسية القادمة من الشمال والمفروضة على شعوب الجنوب نلاحظ أن الثورة الإتصالية لم تمس إلا عدد قليل من شعوب العالم ولم تتلقى شعوب الجنوب الدعوة للمشاركة فى عوائدها وهنا يجدر بنا أن نتوقف قليلاً لمناقشة المفهوم الشائع الذى تروج له وسائل الإعلام العولمية حول ما يسمى بالقرية الإتصالية العالمية بإعتبارها أبرز ثمار الثورة التكنولوجية المعاصرة والذى يعنى فى جوهره إحاطة الجماهير فى كافة أنحاء المعمورة بكل ما يدور فى العالم من أحداث وأفكار وصراعات وانجازات بشرية وأن يتم ذلك بشكل يتسم بالموضوعية والتكامل والمصداقية بحيث يخلق معرفة شاملة وحقيقية بما يدور فى الكون .

وإذا كان مفهوم القرية يعنى أن كل الناس يعرفون بعضهم وما يدور لكل منهم فهل ينطبق هذا المفهوم على المقصود بالقرية الإتصالية العالمية فالواقع يشير إلى عكس ذلك إذ إن كل منا يعرف القليل عن الأجزاء الأخرى من العالم وأن الصورة الذهنية عن البشر والدول وحقيقة ما يدور بداخل كل مجتمع هى لا تزال فى الأغلب صورة مبتورة وجزئية ومستقاه من الإعلام الغربى الذى تتحكم فيه مصالح وتحيزات القوى المهيمنة على مقدارات العالم فى المرحلة الراهنة .

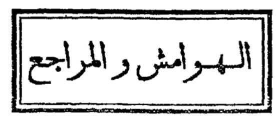
وإذا كان مفهوم القرية العالمية يعنى أن العالم قد انكمش وأصبح رقعة واحدة . فإن الواقع يعكس صورة مخالفة فالعالم إتسع وتعددت ثقافاته وتناقضت مصالحه

وتنوعت صراعاته والحقيقة أن الناس فى ظل التقدم التكنولوچى الهائل فقدت القدرة على التواصل وأصبحت تمارس حياتها داخل القرى المحلية التى تعيش فيها وترى العالم الخارجى من خلال النوافذ الإعلامية التى لا تتيح للبشر إلا رؤية أشياء محدودة وفى أطر متحيزة وإنتقائية وجزئية وخصوصاً إذ كان أغلب سكان العالم الذين يعيشون فى الجنوب يعيشون فى قرى فقيرة تفتقر إلى أبسط الضروريات كالكهرباء والماء العذب ويعانون من الفقر والأمية والأمراض المزمنة .

ويشير الواقع الراهن أيضاً إلى أنه فى إطار ما يسمى بالقرية العالمية تصاعدت روح الاقليمية وظهرت البوادر العرقية والإتجاهات الأصولية . وكان المتوقع أن يقوم الإعلام بأدواره المفترضة فى تشكيل الوعى الصحيح بحقيقة التمايزات والإختلافات الحضارية والثقافية بين الدول والشعوب وأن يتم التعاون من أجل خلق التواصل بين الدول التواصل المنبثق من هذا الوعى والإدراك ولكن نظم التعليم والإعلام فى شمال العالم وجنوبه تعمل فى سياق آخر معادى لوحدة الجماعة البشرية ومصالحها الجماعية وتراثها الثقافى والإنسانى فمازلنا نلحظ على المستوى التعليمى شيوع المناهج الجزئية شديدة التخصص والتى قامت بتجزئ المعرفة الإنسانية وتمجيد العمل الفردى وطمس الروح الجماعية ومعاداة الرؤى التكاملية التى تخدم الرؤية العالمية الصحيحة . كما تشير الدراسات إلى غلبة الطابع العنصرى العرقى على معالجات الإعلام للقضايا المصيرية فى العالم الراهن فالواقع يشير إلى وجود عدة عوالم وليس عالم واحد [٢٥] .

فى ضوء ماسبق تتضح لنا حقيقة الأدوار التى يقوم بها الإعلام المعاصر فالحقيقة أن النظام الإعلامى الراهن بكل ما يحويه من تفاوت وتحيزات وعدم تكافؤ فى توزيع موارد الاتصال والمعلومات يهدف إلى إبقاء الجمهور والرأى العام فى حالة من الجهل الكامل بحقيقة ما يدور وقد أظهرت الحروب الاقليمية المعاصرة وفى

مقدمتها حرب الخليج والبوسنة والصومال وأحداث رواندا ومعركة التجديد للدكتور بطرس غالى الأمين السابق للأمم المتحدة أن أغلب الشعوب [شعوب الجنوب تحديداً] ظلت فى حالة تغييب وجهل بحقيقة ما يدور ولعل حرب الخليج والرقابة التى فرضت على الإعلام الدولى أثنائها تعد مثلاً صارخاً فالضحية الأولى فى هذه الحرب كان الإعلام والحقيقة الإعلامية فقد أثبتت الإستطلاعات التى أجريت للرأى العام الأمريكى أن ٦٠٪ كانوا يرون أن الإعلام قد أدى دوره بإمتياز أثناء حرب الخليج كما أن ٨٠٪ من الأمريكيين أيدوا القيود التى فرضها البنتاجون على الإعلام أثناء حرب الخليج مما يكشف عن أن قطاعات كبيرة من الرأى العام الأمريكى تعانى من حالة تزييف وعى متعمدة ومتواصلة وإذا كان الحال هكذا بالنسبة لشعوب الشمال المتقدم فما بال شعوب الجنوب وسائر شعوب العالم التى أصبحت تعانى من التخمة الإعلامية التى تستهدف إغراقهم فى دوامات متناقضة من المعلومات والإحصائيات غير المترابطة التى تؤدي إلى احساسهم بالعجز والتيه والضياع بسبب غياب البديل .



[١] انظر حازم الببلاوى : العرب والعولمة ، الاهرام ، ٣٠ ديسمبر ، ١٩٩٧ ، ندوة العرب والعولمة ، مجلة المستقبل العربى ، بيروت ، عدد ابريل ١٩٩٨ .

[٢] انظر عمرو محى الدين تعقيب على ورق السيد ياسين ، ندوة العرب والعولمة ، مجلة المستقبل العربى ، المصدر السابق .

[٣] انظر : Fortune Magazine 4-8-1997.

نقلاً عن اسماعيل صبرى عبدالله : العرب والكوكبة ، ندوة والعرب والعوله ، بيروت ١٨ ، ٢٠ ديسمبر ، ١٩٩٧ .

[٤] انظر : – Peter Golding , Phil Harris : Beycned cultural imperalism-sage London 1997,PP. 49-52.

عبد الاله بلقزيز : العولمة والهوية الثقافية ، ندوة العرب والعولمة ، بيروت ، ديسمبر ، ١٩٩٧ .

[٥] انظر عابد الجابرى : العولمة والهوية الثقافية ، ندوة العرب والعولمة ، بيروت ، ديسمبر ، ١٩٩٧ .

Peter Golding, Op.cit.,pp.3-8.

[٦] انظر فهمية شرف الدين : تعليق على ورقتى بلقزيز والجابرى عن العولمة والهوية الثقافية ، ندوة العرب والعولمة ، مصدر سابق .

[٧] Smith Antony : (Towards a Global Culture) in Global Culture . (ed) Feather stone and Mike. London Sage, 1990,p.176.

[٨] Ibid , P.177.

[٩] انظر سمير أمين : مناخ العصر ، ندوة التطورات العالمية والتحولات المجتمعية فى الوطن العربى ، مركز البحوث العربية والجمعية العربية لعلم الاجتماع ، القاهرة ، مارس١٩٩٧ .

[١٠] أنظر عبدالاله بلقزيز : العولمة والهوية الثقافية ، ندوة العرب والعولمة ، مصدر سابق .

[١١] انظر: H.Schiller ; Mass - Communication and American Empire -Beacon Press.1977.

[١٢] انظر : Yves Eudes ; La Conquete des esprits - Paris 1982 - pp.18-24.

[١٣] انظر عواطف عبدالرحمن : الإعلام العربى فى مواجهة الاختراق الثقافى والتبعية الإعلامية فى قضايا إعلامية معاصرة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٩٦ ، ص ٣٤-٣٧ .

[١٤] انظر بول سالم : الولايات المتحدة و العولمة ، ندوة العرب والعولمة ، مصدر – ص١٢-١٤ .

Annabelle Sreberny: The many Cultural Faces of Imperialsim - in Peter Golding , Op.cit .,pp.55-60

[١٥] انظر : Samir Amin : Reflections on the international System-in Peter Golding - Op.cit.,pp.10-15.

[١٦] انظر جودة محمد عواد : تكنولوجيا الاتصال ، مذكرة دراسية غير منشورة . القاهرة ١٩٩٧ .

[١٧] انظر محمود علم الدين : تكنولوجيا الاتصال فى الوطن العربى ، عالم الفكر ، عدد خاص عن الإعلام المعاصر ، المجلد ٢٣ ديسمبر ١٩٩٤ ، الكويت . ص١١٥-١١٨ .

[١٨] المصدر السابق .

[١٩] انظر : Armand Matteleart : Les nouveaux Scenario de Communications. Le Monde Diplomatique 8-1996.

[٢٠] Le MondeDiplomatique-8-1997.

[٢١] سمير أمين - مصدر سابق .

[٢٢] Hamid Mowlana: Op.cit.,pp.59-92.

[٢٣] انظر محمود علم الدين د . محمد تيمور : الحاسبات الالكترونية وتكنولوجيا الاتصال ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص٢٠٢ - ٢٠٤ .

Hamid Mowlana: Global information and World Communication-Sage-London1997,pp113-119.

[٢٤] Hamid Mowlana: Glodal information,Op.cit.,pp.40-43.

John Mc Manus: Market-Driven yournalism-Sage-Lonodon-1994,pp.3-9.

[٢٥] نبيل عبد الفتاح : النظام الإعلامى الجديد وتوحيد العالم - الأهرام - ١٣ فبراير ١٩٩٦ .

[٢٦] Johan Galtung, R. Vincent: Global Glasnost-Hampton Press-New Jearsy1992,pp.36-41.

[٢٧] Hamid Mowlana: Global Information and World Communication,Op.cit,pp.107-123.

[٢٨] Hamid Mowlana: Global Communication in Transition-Op.cit.,pp.65-68.

انظر عواطف عبد الرحمن : الإعلام وتحديات العصر ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، ديسمبر ، ١٩٩٤ - ص٨-٩ .

[٢٩] Hamid Mowlana: Global Information,Op.cit.,pp.90-97.

[٣٠] Le Monde Diplomatique-Mars1997.

[٣١] انظر انشراح الشال : الإعلام الدولى عبر الأقمار الصناعية ، دراسة الشبكات التليفزيونية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص٧٩ - ٨١ .

[٣٢] Peter Golding,Op.cit.,pp.150-160.

الإعلام وإشكالية تحقيق الوفاق العربي

الإعلام وإشكالية تحقيق الوفاق العربي:

لقد تفاعلت ظروف الصراع الاجتماعي والسياسي والثقافي طوال الفترة التى أعقبت حصول الدول العربية على إستقلالها أى طوال مايقرب من نصف قرن سواء داخل المجتمعات العربية بين الحكومات والشعوب أو بين الدول والأنظمة العربية المختلفة أقليمياً وعالمياً ، كما أن التداعيات الدولية والاقليمية التى أعقبت سقوط المعسكر الاشتراكى الأوربى وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالساحة الدولية وإختفاء الصراع شرق/ غرب وبروز الفجوة بين الشمال والجنوب وما صاحبها من مظاهر الصراع والتحدى وتصاعد الاهتمام بقضايا المرأة والبيئة والسكان هذا علاوة على الملابسات والنتائج التى أعقبت حرب الخليج على المستوى القومى وذلك فى ظل اتساع نطاق آثار الثورة العلمية والتكنولوجية , وكل ذلك أسفر عن بدء ظهور خريطة جديدة للصراع الاقليمى والعالمى كماتمخض عن حدوث تغيرات جوهرية فى أنماط الاتصال ومصادره وقنواته واستخداماته كأداه للهيمنة الدولية والمحلية وكسلاح حاسم فى الحروب والصراعات الاقليمية .

وقد شهدت مرحلة ما بعد الاستقلال تباين وتنوع القضايا التى استقطبت اهتمام الرأى العام العربى .إذ تمحورت فى الخمسينيات والستينيات حول الوحدة العربية والصراع العربى الاسرائيلى . بينما برزت فى السبعينيات قضايا التنمية الشاملة كأحد التحديات الرئيسية لتلك المرحلة والنابعة من الرغبة فى الاعتماد على التراث وتقليل الاعتماد على الآخرين ومحاولة القضاء على كافة أشكال التبعية الاقتصادية والسياسية والثقافية . أما مرحلة الثمانينيات فقد شهدت قائمة جديدة من القضايا دارت حول الديموقراطية والغزو الثقافى الغربى والصهيونى وآثار الحقبة النفطية على القيم والممارسات الثقافية والسياسية .

واستمرت هذه القضايا طوال حقبة التسعينيات وأضيف إليها قضايا حقوق الأنسان العربى المادية والمعنوية والاعتماد الجمعى على الذات فى مواجهة العولمة الاقتصادية والثقافية كما برزت ضرورة بناء قاعدة قومية للعلم والتكنولوچيا على المستوى العربى فى ظل تزاوج ثورتى الاتصال والمعلومات فى عصر يمكن توصيفه [تعلم أو تموت][1] .

وقد كان لهذه التطورات تأثيرها المباشر على الخطاب العربى السياسى والثقافى والاعلامى . فجاء الخطاب الثقافى مؤكداً لوحدة التراث الثقافى العربى ومغفلا لجوانب التفرد والاختلاف التى تتفاوت من مجتمع عربى الى آخر .

كما جاء الخطاب السياسى مراوغا ومتمحوراً حول العموميات والشعارات الشكلية ومكرسا لروح الانبهار بالتفوق لغربى سواء فى التكنولوچيا أو الاقتصاد [ونظراً للعلاقة العضوية بين السياسة والإعلام خصوصاً فى العالم العربى] لذلك نحا الخطاب الاعلامى العربى منحى الخطاب السياسى وأتخذ نفس المسار فى صورة متناقضة ظاهريا التركيز على قضايا الوحدة العربية والتنمية والديمقراطية وواقعها تكريس الأوضاع القطرية وترسيخ النمط الاستبدادى الاحادى الجانب للحكم وتأكيد روح الانبهار بالثقافة الوافدة . ورغم توفر معظم الشروط الأساسية التى تجعل من العالم العربى وطنا مشتركا لشعوبه مثل وحدة الأرض والدين واللغة والتراث الحضارى والثقافى والسوق إلا أن هناك عدة عوامل حالت دون تحقيق التقارب وأدت الى أضعاف احتمالات التوحيد بين الدول العربية ويعزى ذلك إلى عاملين تاريخيين يشير أولهما إلى طبيعة الزعامات السياسية التى حكمت العالم العربى منذ الحقبة العثمانية واستمرارية الكثير منها فى ظل السيطرة الأوربية حتى مرحلة مابعد الاستقلال حيث استمدت مشروعيتها من خلال تحالفها الوثيق مع قوى الاستعمار الأوربى التى أوكلت الى هذه الزعامات مهمة قمع جماهيرها كشرط للقبول

بزعامتها السياسية وكان من نتائج ذلك أن سقطت الثقافة فى دائرة العمل السياسى المباشر وتوظفت لمصلحة قوى سياسية عربية موالية للخارج الاستعمارى أما العامل الثانى فهو يشير إلى عملية الاختراق الثقافى للوطن العربى التى أختلفت اشكالها باختلاف المراحل التاريخية وطبقا لحاجة المشروع الاستعمارى . فقد كانت الأمة العربية من أوائل الشعوب التى سقطت ومنذ وقت مبكر من تاريخها الحديث فى دائرة استهلاك الثقافة التى تنتج فى دول المركز الأوربى [بريطانيا وفرنسا على الأخص] حيث نجحت المركزية الأوربية فى فرض ثقافتها وغرس نظمها التعليمية فى العالم العربى مخترقة بذلك الثقافة العربية على كافة المستويات والأجيال مستهدفة خلق نخبه من المثقفين العرب الذين رأوا أنه لابديل أمامهم على أقتباس الثقافة الأوربية وتعلم لغاتها والانبهار بتراثها العقلانى الليبرالى والنقل الحرفى لمؤسساتها الادارية والمالية والسياسية والتربوية. مما أسفر عن ظهور أفاق جديدة للثقافة العربية التابعة لثقافة المستعمر الأوربى ولغاته على حساب اللغة العربية والتراث الثقافى العربى . وقد تبنت هذه الأفاق وروجت لها النخبة العربية التى نهلت من الثقافة الأوربية وتعلمت فى جامعاتها الأمر الذى أدى فى النهاية الى فقدان المشروع الثقافى العربى لاستقلاليته وتحول مشروع النهضة العربية الشاملة إلى قاعدة لتبعية أوربية شبة كاملة . فقد عجزت النخب الثقافية فى الوطن العربى عن صياغة مشروع ثقافى حضارى مستقل فى مواجهة المشروع الثقافى الاستعمارى الوافد وبدلا من ذلك تمت المصالحة معه على نفس أرضية التبعية التى تكرست فى المجالين السياسى والاقتصادى[٢] .

ويلاحظ هذا المجال أن النفوذ الثقافى الأوربى الذى كان سائداً فى الوطن العربى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية قد بدأ ينحسر لصالح النفوذ الأمريكى الذى تغلغل وترسخ فى الوطن العربى عبر مجموعة من الركائز الثابتة وأبرزها

الكيان الصهيونى الاسرائيلى وفروع الجامعات الأمريكية والبرامج والمسلسلات التليفزيونية والأعلانات والأفلام السينمائية وغيرها من وسائل الاتصال والمعلومات مثل شبكة الانترنت العالمية وفروع الشركات المتعددة الجنسية .

وإذا كانت الشواهد المعاصرة تشير الى الولايات المتحدة الامريكية باعتبارها القاعدة الأكثر تاثيراً ونفوذاً للمشروع العالمى بوجهه الاحتكارى وقدراته التكنولوجية الهائلة وأدواته الاعلامية والمعلومايتة المتقدمة والتى تلعب الدور الحاسم فى نشر وترويج الثقافة الاستهلاكية ذات الطابع التجارى فى جميع انحاء الوطن العربى فى عالم توحده ثقافة الصورة والرسائل الأمريكية التى تبث عبر الأقمار الصناعية وسائر الوسائل السمعبصرية فإن هذه الشواهد تشير أيضاً الى التنافس الضارى بين كل من الثقافتين الأمريكية والفرنسية للسيطرة على عقل ووجدان وإذا كان الأمر فلا جدال أن الجزء الجنوبى من العالم وفى قلبه الوطن العربى يمثل [illegible] الرئيسية لكل الأشكال الاختراق الانجلو أمريكى والفرانكوفونى والواقع أن الاختراق الثقافى ماكان له أن يحقق اهدافه مالم تشارك فى التنفيذ معظم مراكز السلطة والزعامات والقوى العربية المحلية ، ويضاف الى ذلك أن البنى العربية الموروثة والتى ترسخت خلال مرحلة السيطرة الأجنبية ولم تتبدل بصورة جذرية فى مرحلة الاستقلال . هذه البنى مهدت الطريق لتغلغل وترسيخ الغزو الثقافى بمختلف مستوياته كما برزت على أرضيتها كافة مظاهر التخلف الاقتصادى والشرذم السياسى والتيه الثقافى فى الوطن العربى كذلك فإن ابرز مخاطر الاختراق الثقافى للدول العربية يتمثل فى التهديد الذى تتعرض له الثقافة القومية إذ أصبحت أكثر عرضة لخطر التفتيت الثقافى . بل أن هذا الخطر قد بدأ يفعل فعله فى بعض أجزاء الوطن العربى وذلك بانبعاث النعرات العشائرية والطائفية مما يهدد التماسك الوطنى للعديد من الدول العربية أمثلة [البربر فى الجزائر – الأكراد فى العراق –

جنوب السودان – الدروز والموارنه في لبنان] وقد يفسر لنا ذلك الوضع الأسباب الكامنة للاتجاه الذى يسود الدوائر السياسية والثقافية فى الغرب فى الوقت الراهن والذى يركز كل طاقاته لأحكام السيطرة على العالم العربى من خلال الحملات العدائية التى تشنها تلك الدوائر ضد الإسلام ليس كمجرد دين بل باعتباره التراث الوجدانى الذى يشكل قوة هائلة لتعبئة الجماهير ضد الهيمنة الثقافية والاقتصادية التى يمارسها الغرب على العالم العربى . ويعد ذلك الهجوم استمراراً للعداء الذى يكنه الغرب لفكرة القومية العربية وفكرة التحرر الوطنى والاستقلال فى المراحل السابقة[٣] .

هذا وتشير قراءتنا للتاريخ العربى المعاصر إلى ان الثقافة القومية [بتياراتها السياسية المتباينة وروافدها الثقافيةالمتعددة] تخوض فى المرحلة الراهنة معركة بالغة الحدة ومتعددة الجبهات فى مواجهة الثقافات الوافدة التى تتصارع على الساحة العربية وهى بالتحديد الثقافة الأمريكية والثقافة الفرانكوفونيه وثقافة التطبيع مع الكيان الصهيونى .

ولعل مايميز ثقافة التطبيع أنها لاتحمل فحسب مشروع إحلال هيمنة ثقافية صهونية على الحياة الثقافية العربية كما هو الأمر فى الثقافات الأمريكية والاوربية بل هى فى الحقيقة مشروع تدمير وتفكيك ثقافى للمنطقة العربية بكل ماتحمل الكلمة من معانى التناثر والتشرذم والفوضى والضياع. انها بإختصار مشروع يستهدف تجريد الأمة من ثقافتها كى تصبح شبيهة بثقافة الكيان القائم فى قلبها أى دون ثقافة موحدة . ويبرز فى موجهة ثقافة التطبيع [ثقافة الوحدة] أى الثقافة التى تحرص على تنمية عناصر الوحدة والوفاق وتعزيز أواصر التماسك بين شعوب الوطن العربى والمقصود بثقافة الوحدة ليس الوحدة القائمة على الاحادية والشمولية والالغاء للآخر وقهر الأقليات والنفقاء الدينى أو العرقى أو المذهبى وغير ذلك من سلبيات

الأرث التاريخى لحركة الفكر والفعل القومى فى الوطن العربى بل المقصود طرح رؤية تسعى إلى تكريس قيم القبول بالآخر داخل المجتمع الواحد والسعى للتكامل معه فى اطار هذه الوحدة ولايتحقق ذلك إلا فى اطار عربى يقر التعددية السياسية وتداول السلطة بطرق سلمية وديموقراطية ويحرص على تكريس الاحترام الكامل لحقوق الانسان ويسعى لإقامة المجتمع المدنى على المستويين القطرى والقومى ويعطى للتنمية البشرية الأولوية المطلقة فى كافة مشاريع التنمية والأعمار فى الوطن العربى أى التنمية التربوية والعلمية والاجتماعية التى تستهدف بناء الانسان العربى القادر بعلمه ومهاراته على بناء وتحديث البنية الاقتصادية التحتية وتجديد موروثاته الثقافية بروح النقد والابداع [٤] .

ولقد تأثر الفكر القومى العربى بتجارب الوحدة الأوربية وعلى الأخص تجربتى توحيد ألمانيا وايطاليا فى القرن التاسع عشر وأهتم دعاة الفكر القومى بمتابعة أدبيات التوحيد ابتداء من فلسفة هيجل الى شعر جوته وموسيقى فاجنر وحداثة المذهب البروتستانتى ولكنهم لم يستوعبوا الحقائق الكبرى والتى تضمنتها تجارب الوحدة الأوربية ولعل أبرزها يكمن فى التجربة الألمانية التى تشير **أولاً** : الى أن تحقيق الوحدة قد استغراق ٥٦ عاما [من ١٨١٥– ١٨٧١] ونشير **ثانياً** : إلى الدور الذى قامت به القوى ذات المصلحة فى الوحدة والتى كانت تضم قطاعات عريضة من اليونكرز الى المثقفين الليبراليين علاوة على وجود رأى عام متحمس ومساندة لهذه القوى لقد أكدت التجارب التاريخى الحديثة والمعاصرة الأوربية والعربية أن وحدة التاريخ والجغرافيا واللغة والدين لاتكفى وحدها لتحقيق التوحد أو الوحدة .

ولعل أبرز مثال فى هذا الصدد يتمثل فى الوحدة بين مصر وسوريا [١٩٥٨–١٩٦١] التى أكدت أن الادارة السياسية وحدها لاتغنى عن ضرورة توفر الأساس المادى للتوحيد . فقد توفرت هذه الادارة فى مصر وسوريا ولكن لم تنجح تجربة الوحدة وكذلك فشلت مفاوضات الاتحاد الثلاثى [العراق وسوريا ومصر] ثم

جاء كارثة ١٩٦٧ بتداعياتها المدمرة كذلك لا يمكن اغفال الآثار المترتبة على ظهور الثروة النفطية فى الخليج وانعكاساتها السلبية التى تمثلت فى تقسيم الوطن العربى الى أغنياء وفقراء رغم تاثيراتها الايجابيه التى اسهمت فى خلق أكبر حركة عماله شهدها الوطن العربى وماصاحب ذلك من تعاون وتآلف ومشاركة مما يرى فيه البعض ركيزة صلبة للفكر العربى [٥] .

لقد توالت الأحداث الاقليمية التى أدت الى تفاقم الانقسام بين الدول العربية ومنحت دعاه الفرقة داخليا وخارجيا المبررات القوية للقضاء على مقومات الفكر القومى كما أدت إلى استنزاف وتدمير القدرات والثروة العربية . ولاشك ان الاجتياح العراقى للكويت [اغسطس ١٩٩٠] يعد أكثر هذه الأحداث تأثيراً على حركة النظام العربى حاضراً ومستقبلاً وان كان ذلك لايعنى التقليل من خطورة وأهمية لأحداث الأخرى وأبرزها زيارة السادات للقدس [نوفمبر ١٩٩٧] وماتلاها من تداعيات أسفرت عن إبرام الصلح المنفرد بين مصر و اسرائيل وعزل مصر عن دائرتها العربية أكثر من١٢ عاما خسر فيها العرب مصر وخسرت مصر الدعم العربى .

أما الحرب العراقية الايرانية التى استمرت ثمانى سنوات فقد اعطت الفرصة لاسرائيل لكى تنمى قدراتها بعد أن انفردت بمصر فى أعقاب معاهدة كامب ديڤيد وفى غياب أى طرف عربى آخر له وزن مصر وتأثيرها ..

لقد تعرض العالم العربى لخسائر بشرية ومادية فادحة وأخطر من ذلك تعرضت الارادة العربية للانسحاق فى ظل مناخ دولى شهد اختفاء الاتحاد السوڤيتى وانفراد الولايات المتحدة بالعالم مما اتاح الفرصة كاملة للإرادة الأمريكية لتطويع الإدارة العربية إن لم يكن الغائها فكان إحكام الحصار الدولى على العراق ثم الحصار الدولى على ليبيا ومحاولات الاقتراب من فرض حصار مماثل على السودان إستغلالاً لفرصة الإعتداء على الرئيس المصرى [مبارك] فى اثيوبيا ثم دفع الارادة العربية للإستسلام فى مشروع سلام ظاهرة محاولة السعى نحو استقرار

دول المنطقة وحل صراعاتها الحرص على استمرار التفوق الاسرائيلى على الدول العربية مجتمعه .

ان متابعة وإستقراء المسيرة التاريخية للفكر والفعل القومى فى الوطن العربى يقودنا إلى إستخلاص مجموعة من الدروس تدور حول عدة حقائق محورية .

تشير **أولها** إلى أن الفكر القومى فى العالم العربى قد تبنى منذ بدايته التجارب الأوربية وبالذات توحيد ألمانيا وايطاليا وما سمى فى القرن الماضى [مبدأ القوميات] الذى يربط بين واقع الأمة وضرورة ان تتحد فى دولة مركزية واحده واذا كان لهذا التوجه مبرراته التاريخية آنذاك إلا أن سلبيات هذا التوجه التى صاحبت الفكر القومى منذ نشأته قد كان لها مردودها السياسى والفكرى طوال الحقب التالية حيث اقتصرت فكرة توحيد العرب منذ البداية على الجوانب السياسية وأصبح الخطاب القومى يتوجه من وإلى الحكام دون مراعاة لمصالح وحقوق القوى الفاعلة فى تحقيق الوحدة وأعنى بها الجماهير العربية .

وقد انعكس ذلك بصورة سلبية على فاعلية المؤسسات العربية وادائها على المستوى القومى وأبرز مثال على ذلك الجامعة العربية ومنظماتها كما تمخض عن ذلك حقيقة أخرى تشير إلى أن تركة التجزئة التى تعانى منها الشعوب العربية والمتراكمة عبر حوالى مائة عام والتى تفاقمت فى العقود الأخيرة لايمكن تجاوزها أو القفز على آثارها بقرارات فوقية حكومية قادمة من أعلى بل لابد من إشراك الجماهير العربية وخلق رأى عام يتجدد إيمانه وثقته فى جدوى ومنافع الوحدة أو التوحد بالنسبة للمواطنين العرب كأفراد وجماعات .

أما **الحقيقة الثانية** فهى تشير إلى سيطرة أولوية الأمن العسكرى على الحكام العرب منذ كارثة ضياع فلسطين ١٩٤٨مما أسفر عن نتيجتين سلبيتين تمثلتا فى استنزاف الموارد العربية فى اقتناء وتكديس السلاح دون الاهتمام بتدريب

الكوادر القادره على استخدامه بكفاءة وتصاعد دور المؤسسة العسكرية فى اشتغال العسكريين بالسياسة . وقد ساعد هذا على غياب مفهوم الأمن القومى فى إطار التنمية الشاملة المستندة إلى المشاركة الشعبية والاعتماد الجماعى على الذات على المستوى العربى .

وتشير **الحقيقة الثالثة** إلى أن العالم العربى قد ورث بنية اقتصادية وفعاليات إجتماعية مرتبطة بشكل مباشروغير مباشر بأسواق أوربا وأمريكا الشمالية ثم شرقى آسيا وجنوبها الشرقى بينما تفتقر هذه البنية منذ بدايتها إلى العلاقة بالأسواق العربية فالدراسات تشير إلى أن حجم التجارة بين الدول العربية لاتزيد عن ١٠٪ مما يشكل فى الواقع عقبة كبرى أمام السوق العربية المشتركة التى تعد النواة الحقيقية لخلق التوحد والتكامل العربى [اسماعيل صبرى عبدالله ص٨٧] .

أما **الحقيقة الرابعة** فهى تشير إلى غياب الديموقراطية عن كافة المؤسسات السياسية والادارية والاجتماعية والثقافية والإعلامية فى الوطن العربى ولاجدال فى أن الديموقراطية لم تعد مطلبا سياسيا فحسب بل أصحبت ضرورة ملحة فى مختلف المؤسسات الاجتماعية والتربوية والثقافية والاقتصادية لتنشئة المواطن العربى الواعى القادر على ادراك المردود الاجتماعى والاقتصادى لمفهوم الوحدة .

وتؤكد **الحقيقة الخامسة** غياب فعل الانجاز عن القضايا والهموم العربية المحورية التى تصدرت قائمة اهتمامات وأولويات العمل العربى المشترك طوال الخمسين عاما التى مضت منذ إنشاء جامعة الدول العربية والتى شهدت ظهور عدد كبير من المنظمات والمجالس والمشروعات التى يشارك فيها أعضاء الجامعة فالدراسات تشير إلى استمرار إرتفاع معدلات الأمية والفقر والوفيات بين الاطفال . واجمالا حرمان المواطن العربى من معظم حقوق الانسان هذا علاوة على غياب

الخريطة المعرفية العصرية عن العالم العربى حيث لايتوفر حتى الآن ايه معلومات إحصائية دقيقة ذات مصداقية علمية عن واقع العالم العربى سياسياً أو إقتصادياً أو ثقافياً أو اجتماعياً بل توجد دراسات جزئية تتقطع زمنياً ومكانياً وتتميز بالطابع الوصفى الذى يفتقر إلى الرؤية المنهجية الشاملة والذى يزخر بالارقام والإحصاءات المتناقضة والمعلومات المبتورة . مما يكشف عن قصور فادح فى أدوار المثقفين والجامعات ومراكز البحوث فى الوطن العربى .

وتأتى فى النهاية الحقيقة السادسة والأخيرة والتى تتعلق بالواقع الإعلامى العربى كى تتوج الحصاد النهائى لكل ماسبق ذكره فالإعلام العربى ماهو إلا تجسيد لجميع الأوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية ولايمكن النظر إلى أدواره وتفاعلاته مع الفكر القومى إلا فى ضوء هذه المتغيرات .

الواقع الإعلامى العربى الراهن:

عندما نتأمل الخريطة الراهنة للاعلام العربى بكل ما تزخر به من تباينات وماتعكسه من تناقضات اجتماعية وصراعات سياسية وأيديولوچية تطالعنا حقيقتين تشير الأولى إلى وجود عدة أنظمة إعلامية قطرية تتشابه فى انماط ملكيتها إذ غلب عليها الطابع الحكومى وبالتالى تحكمها قوانين وتشريعات إعلامية متقاربة إلى حد التطابق وان كانت تختلف هذه النظم فى توجهاتها السياسية ومنطلقاتها الايديولوچية التى تتجسد فى سياسات إعلامية متباينه .

أما الحقيقة الثانية تتعلق بالإعلام العربى المشترك وظائفه ومنجزاته وقصوراته ومشاكله ومستويات ادائه عبر أجهزة الجامعة العربية ومؤسسات التعاون الاعلامى بين الدول العربية وسوف نعرض لكل منهما بالتفاصيل وذلك على النحو التالى :

[١] نظم الإعلام القطرية :

أولاً : يسود نمط الملكية الحكومية لجميع وسائل الإعلام المرئى والمسموع ووكالات الانباء فى الوطن العربى . إلا ان الخريطة الصحفية فى العالم العربى لاتخلو من بعض الصحف المستقلة والعديد من الصحف الحزبية التى تعتمد فى تمويلها على الموارد الفردية والحزبية مثال : مصر وتونس والمغرب والكويت ولبنان والامارات .

ثانياً : فيما يتعلق بالقوانين المنظمة للعمل الإعلامى فى الوطن العربى يلاحظ أن الحكومات العربية تحتكر الحق فى منح التراخيص للمؤسسات الإعلامية كالصحف ومؤسسات الطباعة والنشر مما يضع تحت يدها سلطات كبيرة تتمثل فى تعيين رؤساء المؤسسات الإعلامية ورسم السياسات الإعلامية وتحديد الميزانيات .

وقد أدت السيطرة الحكومية على وسائل الإعلام العربية الى هيمنة الطابع الرسمى على الممارسات الإعلامية ويتجلى ذلك فى الصحف التى لا تتسع أغلبها إلا لوجهات النظر التى ترضى الحكومات العربية وتدعم نفوذها السياسى وسلطتها الايديولوچية ونفس الشئ يحدث بالنسبة للإعلام المرئى والمسموع إذ نادراً مايسمح بإذاعة برامج خاصة بأحزاب المعارضة أو تحمل رؤية نقدية للحكومات .

ثالثاً : بإستقراء قوانين الصحافة والمطبوعات فى ١٥ دولة عربية أتضح أن هناك ثلاثة مجموعات رئيسية **الأولى** وتشمل ليبيا والعراق والسودان وتمارس رقابة كاملة على وسائل الإعلام وليس لها الحق بحكم القانون أن تعبر عن أراء تتعارض مع وجهات النظر الرسمية والمجموعة **الثانية** تشمل دول الخليج وتونس وسوريا والى حد ما الكويت ورغم إختلاف نظمها السياسية إلا انها تتقاسم موقفا مشتركا تجاه وسائل الإعلام التى يغلب عليها التوجهات الحكومية وإن كانت توجد بهذه لدول بعض الصحف الخاصة التى تتمتع بالإستقلال القانونى ، ولكنها تعمل على تحقيق

أهداف ومصالح مالكيها دون أن تسهم بصورة جادة وفعالة فى خلق تعددية [فكرية أو ثقافية] وتتألف المجموعة الثالثة من الدول التى تستفيد من هامش الحرية النسبية بما فيها حرية الصحافة وتشمل مصر ولبنان واليمن وبدرجة أقل الكويت والمغرب والجزائر وهناك ٤ دول فقط تتضمن قوانينها ودساتيرها نصوصاً تحمى حق الصحفيين فى الحصول على المعلومات تشمل مصر والاردن واليمن والجزائر ولكن جميع الدول العربية بما فيها هذه الدول الأربعة تفرض السرية على كثير من المعلومات التى يمكن تلخيصها فى ٩ أنواع تشمل المعلومات التى تتعلق بالأمن القومى [المخابرات ووزارات الدفاع] والمعلومات الخاصة بالمصالح لعليا للدولة وهى مصطلحات مطاطة غير محددة وتلك التى تتعلق بالملوك والرؤساء الدولة والدول الأجنبية والاتفاقات والمعاهدات والجلسات المغلقة للبرلمانات وأنباء التحقيقات والمحاكمات والمعلومات التى تمس الحياة الخاصة للمواطنين وكل ما يتعلق بالاقتصاد الوطنى من ناحية السياسات وإفلاس البنوك والمعلومات التى تمس المنظومة القيمية والأخلاقية السائدة فى الوطن العربى [٦] .

رابعاً : يلاحظ على السياسيات الاعلامية فى الوطن العربى تركيزها على الجوانب السياسية والدعائية والتحرك فى دائرة الحكام وتسليط الأضواء على أنشطتهم وخطبهم السياسية وتنقلاتهم مما أدى إلى أهمال الوظائف الأخرى للإعلام العربى وعلى الاخص التثقيف والتوعية القوميةوالاجتماعية .

خامساً : يغلب على أسلوب الخطاب الصحفى فى الوطن العربى الطابع الدعائى الإقناعى الإنفعالى التقليدى علاوة على استمرار انماط الكتابة الصحفية التى تميل إلى الإثارة والمبالغة والمعالجة الجزئية ذات الطابع السطحى للقضايا والاحداث . هذا فى الوقت الذى تشهد فيه الصحافة كمهنة وكمهارة نوعية – نقله عالمية بحيث أصبحت تعتمد بشكل أساسى على المعلومات والتحليل والإستقصاءات والحوارات الموسعة وسائر السمات التى لاتزال مفتقدة وغائبة عن الصحافة العربية .

سادساً : شهدت مرحلة مابعد الاستقلال سقوط النظام الاعلامى العربى فى أسر التبعية الإعلامية للغرب [أوربا وأمريكا] والتى شملت مصادر الأخبار [وكالات الأنباء] وتكنولوجيا الاتصال المطبوع [الورق والأخبار والمطابع] أو تكنولوجيا الأقمار الصناعية والحواسب وبنوك المعلومات كذلك تجلت مظاهر التبعية فى أسواء صورها فى البرامج الأخبارية والدراما والمنوعات والافلام والمسلسلات والتى استهدفت ترويض العقل الجمعى وقولبة أنماط السلوك والقيم مما أسهم فى النهاية فى تزييف الوعى لدى الرأى العام العربى تجاه القضايا الوطنية والقومية والاجتماعية والثقافية علاوة على تشوية الصورة الذهنية عن العالم العربى وقضاياه وثقافاته حيث قام الإعلام الغربى بترويجها فى جميع العالم فى اطار سلبى مغرض [٧] وقد أظهرت التغطية الاعلامية الدولية لحرب الخليج خصوصاً من خلال شبكة CNNمدى اعتماد العالم العربى بصورة شبة مطلقة على التكنولوجيا الغربية فى مجال الإعلام والإتصال .

سابعاً : لاتزال وكالات الانباء الغربية تمارس تأثيرها الملحوظ على الإعلام العربى ويعزى ذلك الى انها قد تأسست وتوطد نفوذها فى العالم العربى قبل ظهور وكالات الأنباء الوطنية لذلك خلقت أنماطاً لسريان الأنباء وأرست تقاليد للعمل الاعلامى جعلها تتمكن من فرض سيطرتها غير المباشرة حتى على أساليب العمل داخل الوكالات العربية ذاتها . ورغم وجود ٢٢ وكالة أنباء عربية إلا أن وكالات الانباء الغربية لاتزال تستأثر بالساحة العربية بسبب إنشغال الوكالات العربية بالترويج للحكومات العربية والإنشغال بمعاركها اليومية ضد قوى المعارضة المحلية وضد الحكومات العربية الأخرى . ومما يجدر ذكره أن معظم الوكالات العربية ليس لها مراسلين فى معظم أنحاء الوطن العربى والعالم الخارجى مما يجعلها فى حالة اعتمادية كبيرة على وكالات الأنباء العالمية وفى متابعة الأحداث الدولية والإقليمية . ووما يجدر ذكره أن جميع المحاولات التى قامت بها اليونسكو فشلت لإقامة وكالة الأنباء العربية [قانا] أسوة بوكالة الأنباء الافريقية [بانا] والوكالة الأسيوية ووكالة

أمريكا اللاتينية والكاريبى جميعها تعمل على مستوى إقليمى . وقد تعددت صور العجز والقصور الذى تعانى منه وكالات الأنباء العربية خصوصاً أثناء الكوارث والنكبات التى شهدها الوطن العربى فى السنوات الأخيرة ولعل أبرزها حربى الخليج الأولى والثانية والحرب الأهلية فى لبنان [٨] .

ثامناً : تسود المركزية فى الأنشطة الإعلامية فى الوطن العربى حيث يتركز الانتاج الإعلامى فى العواصم مما أدى الى حرمان وعزله سكان الريف الذين يشكلون ٨٠٪ من سكان الوطن العربى وجاءت الثورة التكنولوچية فى الإتصال والمعلومات كى تخلق فجوة جديد بين المستفيدين من الخدمات الإعلامية الحديثة وبين هؤلاء المحرومين منها حيث أصبح إستخدام القنوات الفضائية المحلية والدولية وشبكات المعلومات مقصوراً على الأغنياء والقادرين وأصبحت تكنولوجيا الاتصال القديمة من نصيب الفقراء . مما أدى الى تعميق فجوة المعلومات بين الذين يملكونها ويستخدمونها بما يعنيه ذلك من قدرة للوصول الى المعلومات والمعرفة وبين أولئك الذين لايستطيعون امتلاكها واستخدمها . ويمكن القول بأن الثورة التكنولوچية قد اضافت تصنيفاً جديداً للخريطة الإعلامية فى الوطن العربى فأصبح هناك إعلام الأغنياء وإعلام الفقراء سواء كانوا من المتعلمين أو الأميين فى الريف أو الحضر علاوة على الإعلام المقروء وأعنى بها الصحافة العربية التى تخص المتعلمين فقط [٩].

تاسعاً : لقد أدى احتكار الحكومات لصناعة الإعلام والمعلومات فى الوطن العربى إلى إعاقة نمو تكنولوجيا إتصالية ومعلوماتية قادرة على تلبية الاحتياجات الاعلامية للجماهير العربية مما أدى الى حرمان المواطن العربى من حقوقه فى المعرفة والإتصال وفقدان الإعلام العربى للمصداقية مما أعطى ميزة تنافسيه كبرى لوسائل الإعلام الغربية التى أصبحت تحتكر الساحة بوكالاتها وأقمارها الصناعية وأجهزة الكمبيوتر فى غياب أى مواجهة جماعية جادة من جانب الإعلام العربى . وقد كان لذلك تأثيراته السلبية على الأداء المهنى للإعلاميين والصحفيين العرب الذين

استسلموا للقيود الحكومية إذا أصبحوا أسرى لما يعرف بالرقابة الذاتية بعد أن أصبحوا يشكلون جزءا عضوياً من أجهزة الخدمة المدنيه الرسمية .

عاشراً : يشهد العالم العربى حالياً سباقاً محموماً فى مجال البث الفضائى تشارك فيها ٣٣ قناة فضائية عربية إلى جانب حوالى ٦٥ قناة دولية وقد أدى ظهور البث المباشر فى العالم العربى الى خلق العديد من الإشكاليات والمخاوف خصوصاً فى ظل عدم التزام الدول الكبرى بالمواثيق الدولية التى نصت على ضرورة التزام البرامج المبثوثة عبر الأقمار الصناعية باحترام الطابع المميز للثقافات المختلفة . وأبرز هذه المواثيق إعلان اليونسكو ١٩٨٧ وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة [١٩٨٢] والمتضمن لمبادئ وقواعد تنظيم إستخدامات الأقمار الصناعية فى البث التليفزيونى [١٠]. وقد تفاوتت مواقف الدول العربية من البث التليفزيونى المباشر وتراوحت مابين التحكم فى نوعية البرامج المستوردة مع تطوير الخدمة التليفزيونية المحلية [مصر] وما بين المنع الجزئى لأجهزة استقبال والمراقبة واختيار البرامج المسموح بتوصيلها للمشتركين عبر شبكات الكابل [قطر والأردن] وأما الإنتفاح الكامل أمام إستيراد أجهزة الإستقبال التليفزيونية مع بعض الضوابط الطفيفة التى تتباين من دولة إلى أخرى والتى تتمثل فى كيفية ضمان تحقيق أكبر قدر من المنفعة ويقتصر ذلك الإختيارعلى كل من لبنان والكويت والمغرب ووما يجدر ذكره أن معظم الدول العربية التى شاركت فى البث التليفزيونى الدولى أقدمت على هذه الخطوة دون أن تضع قضية البث الفضائى فى موضعها الصحيح على قائمة الأولويات الخاصة بسياستها الإعلامية الوطنية ودون مراعاه المستوى وكفاءة نظمها الإتصالية وقدرتها على تلبية الاحتياجات الإتصالية داخل مجتمعاتها . ولاشك أن التنافس بين القنوات الفضائية العربية قد أسهم فى رفع مستوى الخدمة الإعلامية خصوصاً فى مجال التغطية الإخبارية والبرامج الحوارية إلا أنه كشف عن صعوبة تغطية ساعات الإرسال بالبرامج المحلية التى تعانى من الضآله الكمية من ناحية والإعتماد المكثف على الإنتاج المصرى خصوصاً فى المجالين التعليمى والثقافى من

ناحية أخرى مما أدى إلى ازدياد إعتماد القنوات الفضائية العربية على المنتج الأجنبى الوافد سواء فى المسلسلات أو برامج المنوعات والأفلام [١١] .

الحادى عشر : فى إطار الجدل الدائر حول إمكانية توطين التكنولوجيا الإتصالية فى الوطن العربى تكشف هذه الإشكالية عن بعض جوانب التناقض التى يزخر بها الواقع العربى الراهن ويتمثل فى أن الدول التى تملك القاعدة العلمية والبحثية والكوادر البشرية المؤهلة والقادر على تطوير وتوطين التكنولوجيا الاتصالية مثل مصر والعراق والاردن هذه الدول لاتملك القدرات التمويلية والاقتصادية التى تمكنها من الانفاق على مشروعات التطوير التكنولوجى فهى تفتقر إلى القاعدة العلمية والكوادر البشرية المؤهلة وتتجه سياساتها الإتصالية إلى نقل التكنولوجيا الإتصالية الجاهزة مثل السعودية والكويت ورغم أن العالم العربى يعتمد بصورة إجمالية على الخامات الإتصالية المستوردة من دول الشمال المتقدمة تكنولوجيا إلا أن ذلك لاينفى وجود محاولات لتجميع بعض هذه الأجهزة فى مصر والأردن والعراق والإمارات وذلك فى اطار المشروعات التى تقدم بتنفيذها الشركات العابرة القوميات فى العالم العربى [١٢] .

الثانى عشر : تشكل الإعلانات مصدراً رئيسيا من مصادر تمويل وسائل الإعلام العربية وتأتى فى المرتبة التالية للتمويل الحكومى وإن كانت تتفوق عليه فى بعض الدول العربية مثال لبنان – المغرب – تونس – الإمارات – وإذا كانت الإعلانات قد لعبت دوراً تاريخياً فى ترويج المقولة الخاصة بحرية الصحافة فى ضوء التجربة الغربية [الاوربية تحديداً] فان هذا القول لاينطبق على وظائف الإعلانات ودورها بالنسبة للإعلام العربى فالإعلانات تشكل حاليا مايقرب من ٦٠٪ من مصادر تمويل العديد من الصحف العربية علاوة على ضخامة الميزانيات المخصصة لها فى الإعلام المرئى والفضائيات ولايخفى علينا الآثار السلبية للإعلانات إذا علمنا أنها تمثل الأداة الدعائية الأكثر تأثيراً ونفوذاً للشركات المتعددة

الجنسية ووكالات الإعلان الدولية التى تبلغ ٢٥ وكاله منها ٢٢ وكاله أمريكية لها مايزيد عن مائتى وكيل فى العالم العربى ومن الآثار السلبية للإعلانات انها تستأثر بالمساحة الإعلامية المخصصة للتثقيف والتوعية مما يحرم القراء من حقوقهم الإعلامية والثقافة فضلا عن دورها فى إفساد العديد من الصحفيين العرب وتحويلهم إلى أبواق لشركاء الإعلان بتسخير المادة الصحفية لخدمة الأهداف التجارية لهذه الشركات علاوة على ماتسهم به البرامج الإعلانية المرئية والإعلانات المطبوعة فى خلق أنماط إستهلاكية معادية للإقتصاد الوطنى فى أغلب الدول العربية .

الثالث عشر : رغم أن العالم العربى كان أسبق من كثير من دول الشمال الصناعى المتقدم ودول الجنوب فى تأسيس أول معهد عالى لتدريس الصحافة ممثلا فى معهد التحرير والترجمة والصحافة الذى أنشئ بالجامعة المصرية عام١٩٣٩ ثم توالت أقسام ومعاهد الاعلام منذ السبعينيات حتى وصلت ٢٦ مؤسسة أكاديمية للاعلام تراوحت ما بين أقسام ومعاهد وكليات وقد تنوع أداء هذه المؤسسات التى خرجت جميعها من معطف المدرسة المصرية فى الصحافة وأسهمت فى تأهيل بضعة آلاف من الكوادر التى حملت عبء ومسئولية الممارسة الإعلامية فى مختلف القطاعات المقروءة والمرئية والمسموعة فى الدول العربية . غير أن المؤسف أن أكاديميات الإعلام العربية تفتقر إلى التنسيق والتعاون فيما بينها فضلا عما تدين به من تبعية أكاديمية للمدارس الغربية . إذ يسيطر تياران رئيسيان على المناهج الدراسية بهذه الإكاديميات **تيار** مرتبط بالمدرسة الأمريكية ويتمتع بالغلبة ويروج له الباحثون الإعلاميون العرب الذين درسوا الإعلام بالجامعات الأمريكية **وتيار ثانى** مرتبط بالمدرسة الفرنكوفونية ويسيطر على معاهد الاعلام بدول المغرب العربى [تونس – الجزائر – المغرب موريتانيا] أما **التيار الثالث** فهو يضم هؤلاء الذين يحالون إرساء رؤى نقدية للإعلام أكثر ارتباطا بالواقع الثقافى والإجتماعى العربى ورغم ضآله أعدادهم الا انهم يحاولون شق طريقهم بصعوبة بالغة – هذا ويلاحظ

غياب البحوث الإعلامية ذات الطابع الجماعى وغلبه الطابع الفردى على أغلب الدراسات والبحوث التى تجريها المؤسسات الأكاديمية الإعلامية فى الوطن العربى وقد أدى ذلك إلى بقاء القضايا والإشكاليات الإعلامية الإستراتيچيه دون دراسة علمية مما يعد أحدى السلبيات البارزة فى العمل الإعلامى العربى المشترك على المستوى الأكاديمى .

شركاء الإعلام العربى:

وأعنى بهم طرفى العملية الاتصالية فى الوطن العربى حيث يقف الطرف الأول فى موقع المنتج والقائم بالاتصال وتضم كافة المشتغلين بالوظائف الاعلامية سواء الصحفيين أو المذيعين ومقدمى ومنتجى البرامج المرئية والمسموعة أما الطرف الآخر فهو يقف فى موقع المتلقى للمواد والبرامج الاعلامية ويضم الجمهور العربى بكافة شرائحه المتعلمة والأمية فى الريف والحضر شاملا قراء الصحف والمستعمين والمشاهدين .

ورغم ذلك الخريطة المهنية للإعلاميين العرب تضم بضعة آلاف يعملون فى مختلف قطاعات الإتصال والإعلام المقروء والمرئى والمسموع غير أن الصحفيين العرب يشغلون عن جدارة موقع الصدارة بحكم إنتمائهم إلى أقدم المهن الإعلامية فى الوطن العربى وأعنى بها الصحافة العربية التى ترجع نشأتها الرسمية على أيدى العثمانيين فى النصف الآخير من القرن التاسع عشر وإن كان يؤرخ لبدايتها الفعلية بنشأة الوقائع المصرية عام ١٨٢٨. يكشف التاريخ المهنى الطويل للصحفيين العرب أن أغلبهم لايتمتعون بالحرية ولايمارسون حقوقهم الإتصالية على الرغم من المبادئ الطنانة التى تزخر بها القوانين والدساتير العربية حيث يلحظ تعدد وتنوع أشكال الرقابة السافرة والمقنعة التى تمارسها الحكومات العربية وتتراوح مابين المنع من الكتابة والفصل من العمل بصورة متعسفة والنقل إلى وظائف أخرى والمنع من السفر وصولاً الى الأعتقال والمحاكمات

العسكرية وذلك رغم تصاعد نبرة الخطاب السياسي العربي في تأكيد حريات التعبير والرأى وكفالة ممارستها . غير أن الواقع يؤكد عكس ذلك إذ شهدت في السنوات الأخيرة العديد من الدول العربية سلسلة من الممارسات المنافسة لحرية الرأى والتعبير والنشر والأبداع والحق في تداول المعلومات وأشارت اليها بالتفصيل تقارير منظمات حقوق الانسان ومنظمة العفو الدولية وجميعها تؤكد تزايد أعداد الصحفيين الذين يتعرضون للإعتداءات الأمنية والمطاردات والسجون لفترات تتراوح مابين ٤٨ ساعة وثمانية أشهر عدا تعرض العديد من الصحفيين للضرب والتعذيب .

وعندما ننتقل إلى الطرف الثاني المعنى بالعملية الإتصالية والمقصود به الجمهور يلاحظ أن وسائل الإعلام العربية تتوجه الى جمهور أغلبه من الأميين [٧٠٪] ولذلك تشير الدراسات إلى أن الخريطة الإعلامية العربية الراهنة تعكس المواقع الهامشية التي يشغلها جمهور المتلقين حيث تتعمل أغلب وسائل الإعلام العربية مع جماهيريا بإعتبارهم مستهلكين وليسوا مشاركين أو محاوريين وتستند في ذلك إلى النظرة التلقيدية إلى الإتصال التي تعتمد على المشاركة وتبادل المعلومات والخبرات الانسانية إذ تصر على قصر أدواره على الوظيفة الإعلامية ذات الطابع الاقناعي الدعائي الأحادي الاتجاه . والواقع أن الجماهير العربية تقف عزلاء تحاصرها القيود التشريعية وتسيطر عليها مشاعر الإحباط واللامبالاة في مواجهة سطوة وسائل الإعلام العربية التي لاتعترف أصلاً بالحقوق الإتصالية للجمهور سواء في التعبير أو المشاركة [١٢] .

محنة الإعلام العربي المشترك:

يصدر الإعلام العربي المشترك عن بنى سياسة متباينة تتراوح بين نظم المشيخات والإمارات والممالك المقيدة والمطلقة مروراً بأنظمة ليبرالية على النمط الغربي وإنتهاء بنظم الحزب الواحد ولكل منها تفسيراتة ومفاهيمه ومتطلباته التي تد

لا تختلف حول الهدف النهائى . وبسبب تعدد أساليبها ومضامينها التى تخدم مصالح قطرية بحتة فى أغلب الاحيان فإنها تطرح أمام العالم الخارجى اعلاما عربيا مفككاً وعاجزاً عن خدمته القضايا العربية . ولقد ظل الإعلام العربى المشترك منذ نشأة جامعة الدول العربية أضعف الآليات التى يسعى بها العرب لبلوغ أهدافهم القومية إذ تولت المصالح القطرية تحديد مجال حركة الإعلام العربى المشترك . كما أمتدت هيمنة هذه المصالح إلى العملية الإتصالية ذاتها لتشمل كل مكوناتها ومراحلها وتؤثر عليها تأثيراً سلبياً مما أدى فى النهاية إلى إعتماد أنشطة الإعلام العربى المشترك على المواد الإعلامية القطرية والمنتجة أصلا لخدمة مصالح قطرية . وقد أسفر ذلك عن ظهور حالة من الفصام بين الواقع العربى وأهدف ووظائف الإعلام العربى المشترك . كما يلاحظ أن تدخل الأقطار العربية بصورة مباشرة فى تحديد وظائف جهاز الإعلام العربى بفرض كفاءات بشرية متواضعة علمياً ومهنياً موالية لأقطارها قبل ولائها للأهدافها القومية وحصر وظيفة الإعلام العربى المشترك لعدة عقود من السنين فى أطر دعائية ذات طابع قطرى علاوة على حرص المصالح القطرية على تعددية أجهزة رسم السياسات واتخاذ القرارات وازدواجية وظائفها مما أضاف معوقات وأعباء حالت دون قيام الإعلام العربى المشترك بأدواره القومية المفترضة[١٤] .

آليات التعاون الاعلامى العربى:

حرصت الجامعة العربية على تحقيق مهام الإعلام العربى المشترك من خلال مجموعة من المؤسسات تمثلت فى جهاز الإعلام الذى بادرت بأنشائه عام ١٩٤٦ وعرف فيما بعد باسم الادارة العامة للإعلام التى تمحورت وظائفها حول إعداد استراتيجيات العمل الإعلامى المشترك على مختلف الساحات لدولية من خلال التنسيق مع المنظمات والمؤسسات العربية والدولية .

وقد تركز النشاط الاعلامى للإدارة العامة للإعلام بالجامعة العربية على اصدار وسائل الإعلام المطبوعة وأبرزها مجلة شئون عربية التى تمثل خطوه هامة فى مجال الإعلام العربى القومى الوحدوى .

أما المؤسسة الثانية التى تقوم بدور إعلامى عربى مشترك فهى [الاليكسو] المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة وتقوم بإصدار عدة مجلات تنطلق سياستها التحريرية من منظور عربى شامل محاولة التعبير عن الهموم والقضايا المشتركة لابناء الوطن العربى [١٥] .

ويبرز مركز دراسات الوحدة العربية كآلية غير رسمية يقوم بدور إعلامى مشترك على المستوى القومى محاولا تعميق الإتجاهات الوحدوية لدى الرأى العام العربى من خلال إجراء بحوث مسحيه للواقع العربى وعقد مؤتمرات قومية وإصدار مجلة المستقبل العربى .

وإلى الجانب المؤسسات المذكورة توجد مجموعة أخرى من مؤسسات التعاون الإعلامى العربى بعضها منبثق عن الجامعة العربية وهى اللجنة الدائمة للإعلام العربى ومجلس وزراء الإعلام العرب وإتحاد اذاعات الدول العربية والمؤسسة العربية للإتصالات الفضائية وهناك مؤسستان خارج إطار الجامعة العربية هما إتحاد الصحفيين العرب وإتحاد وكالات الأنباء العربية، وتعمل كل من اللجنة الدائمة للإعلام العربى تأسست مبكراً عام ١٩٥٩ ومجلس وزراء الإعلام العرب الذى انشئ مؤخراً بقرار من مجلس الجامعة عام ١٩٩٤ على اعداد السياسة الإعلامية العربية بجانبيها الداخلى الموجه للشعوب العربية الخارجى الذى يستهدف الرأى العام العالمى .

ويذكر المجلس وزراء الإعلام العرب إقراره لميثاق الشرف الإعلامى العربى فى عام ١٩٧٧ وينص هذا الميثاق على كافة الإجراءات والشروط التى تهدف إلى تفعيل دور الإعلام والإعلاميين العرب فى تحقيق التعاون والتضامن العربى من خلال

الإلتزام بالصدق والموضوعية والحافظ على سلامة اللغة العربية وكفالة حرية التنقل والعمل للإعلاميين العرب فى مختلف انحاء الوطن العربى وحرية تداول لصحف العربية . أما اتحاد الاذاعات العربية الذى الذى تأسس فى اطار الجامعة عام١٩٦٩ فقد وضع أسس التعاون الاذاعى فى العالم العربى ولكنة لم يحقق النجاح المترقع فى محاولاته من أجل إقامة شبكة لتبادل الأخبار التليفزيونية بين الدول العربية ويعزى هذا الفشل إلى جملة أسباب بعضها سياسى والآخر فنى [١٦] . أما الآلية الإعلامية الرابعة فى مجال التعاون الإعلامى العربى فهى تتمثل فى [عربسات] أو المؤسسة العربية للإتصالات الفضائية التى تأسست عام ١٩٧٦كمؤسسة مستقلة فى إطار الجامعة العربية ، ولكن تطور دورها بعد اطلاق القمر الصناعى العربى الأول فى فبراير ١٩٨٥والثانى فى يونيو من نفس العام ثم الثالث فى فبراير١٩٩٢ .

وقد أتاحت الشبكة الفضائية العربية [عربسات] إمكانية التبادل الإعلامى بين الدول العربية فى ثلاث مجالات شملت الأخبار والمنوعات والرياضة . وقد حدد إتحاد الإذاعات العربية شروط وضوابط التبادل الإعلامى الفضائى بين الدول العربية [١٧] .

ويبرز إتحاد الصحفيين العرب كآليه خامسة للتعاون الاعلامى العربى وقد تأسس خارج إطار الجامعة العربية عام١٩٦٥ ويضم المنظمات والجمعيات والنقابات الصحفية فى الدول العربية ويهدف بشكل أساسى إلى ترسيخ وحدة الصحفيين العرب من خلال توثيق علاقات التضامن مع المنظمات الشعبية والمهنية وحركات التحرر فى الوطن العربى وفى العالم علاوه على السعى للحفاظ على حقوق الصحفيين العرب وحمايتهم والدفا ع عن حرية الصحافة العربية وإعمل ميثاق الشرف الصحفى الصادر عن الإتحاد . ويسعى الإتحاد لتحقيق هذه الأهداف خلال مجموعة من الانشطة الثقافية والمهنية تشمل المؤتمرات والندوات الزيارات الميدانية وبرامج التدريب المتواصل للصحفيين العرب فضلاً عن الشق القومى لانشطة الإتحاد

والتى تتمثل فى دعم صمود القدس والمقاومة الفلسطينية فى الأراضى المحتله جنوب لبنان والتصدى الممارسات الاسرائيلية ضد الصحافة الفلسطينية [١٨] .

أما الآلية السادسة للتعاون الإعلامى العربى فهى تتمثل فى إتحاد وكالات الأنباء العربية الذى أنشئ عام١٩٦٥ ويركز اهتمامه على محاولة التنسيق بين وكالات الأنباء العربية وتدريب الكوادر وتنظيم العلاقات المهنية مع الإتحادات الدولية .غير أن الإتحاد قد سجل فشلاً ملحوظاً فى تبنى مشروع اليونسكو لانشاء وكالة أنباء عربية ذات طابع قومى ونشاط وكالة انباء عربية ذات طابع قومى ونشاط اقليمى . ولايزال هذا المشروع المعروف بإسم [وكالة فانا العربية] مجرد حبر على ورق فالخلافات السياسية بين الأنظمة العربية وروح التنافس القطرية بين وكالات الأنباء العربية حالت دون تحقيق هذا المشروع القومى [١٩] .

التدفق الاعلامى بين الدول العربية :

تشير خريطة الإتصال الدولى [طبقاً لإحصاءات اليونسكو ١٩٩٠] إلى أن العالم العربى يشغل ١,٧٪ فقط من مساحة العالم الإتصالية ويحتل المرتبة السادسة . وتتفاوت معدلات الكثافة الإعلامية فى الوطن بين الدول من ناحية وبالنسبة لوسائل الإعلام ذاتها [الصحافة والإعلام المرئى والمسموع] فإذا كان مجموع الصحف يصل إلى ٩٢٢٠ صحيفة فى مستهل عقد التسعينات فإن مجموع الصحف العربية لايزيد عن ١٣٠ صحيفة كذلك ينخفض توزيع الصحف لكل ألف شخص فى الوطن العربى فيصل إلى ٣٩ نسخة فى الوقت الذى يبلغ ٣٣٣ نسخة لكل ألف شخص فى الدول الصناعية المتقدمة و١١١ نسخة لنفس العدد فى سائر أنحاء العالم . هذا وتسجل الدول العربية نسبة أعلى فى معدل حيازة أجهزة الراديو قياساً إلى الدول النامية إذ تبلغ ٢٥٢ قياساً لى ١٧٦ فى الدول النامية وكذلك فى التليفزيون إذ تبلغ ١٠٢ مقابل ٥٥ فى الدول النامية .

كما تشير الدراسات والإحصاءات المذكورة إلى الخلل فى توزيع المضامين التى تبثها البرامج التلفزيونية فى الوطن العربى إذ تتركز ٨٠٪ من هذه البرامج حول الترفيه [٤٢٪] والأخبار [٢٨٪] والرياضة [٩,٥٪] ثم يليها الإعلانات [٨,٥٪] ولاتنال البرامج التعليمية والثقافية أكثر من ١١٪ ويخصص الباقى للبرامج الدينية والتنمية ... إلخ .

وتشير الإحصاءات الخاصة بالبرامج الإذاعية إلى نتائج مشابهة إذا تستأثر البرامج الإخبارية والترفيهية بحوالى ٧٠٪ من المضامين التى تبثها الإذاعات العربية [٢٠] .

وإذا كانت هذه البيانات الإحصائية تؤكد تقدم وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وتراجع موقع الصحافة وآثارها المفترضة فى الوطن العربى فإن تفوق البرامج الإخبارية والترفيهية فى البث الالكترونى يكشف عن إختلال التوازن فى تدفق المعلومات على الصعيد القطرى أولا ثم على المستوى القومى ثانياً مع الأخذ فى الاعتبار ان التليفزيونات العربية تستورد مابين ٤٥٪ ، ٧٥٪ من برامجها فى الدراما والمنوعات من الدول الغربية [٢١] .

هذا وتعانى المكتبة العربية الإعلامية من ضآلة بل غياب الدراسات والبحوث الامبيريقية التى تتناول العلاقات العربية فى مجال الإعلام والإتصال سواء تمثل ذلك فى رصد وتحليل إتجاهات الصحف العربية من القضايا المعاصرة التى يواجهها الوطن العربى أو دراسة وتحليل مستويات ونوعية وأشكال التدفق الإعلامى عبر وسائل الإعلام المطبوع والالكترونى فى الوطن العربى وكذلك لوحظ أن الدراسات الامبيريقية التى أجريت عن مواقف وإتجاهات الصحافة العربية من القضايا القومية تتقسم بالمحدودية علاوة على اقتصارها على حقبتى السبعينيات والثمانينيات . ولعل أقدم هذه الدراسات تلك التى أجرتها جيهان رشتى تحت رعاية اليونسكو عام١٩٨٢ رتناولت الأخبار الخارجية فى الصحف العربية وأبرزت أن وكالات الأنباء الخارجية

داخل الوطن العربي بأكثر من٢٢ ٪ وتعتمد الصحف العربية فى مجملها على وكالات الانباء الغربية بما لايقل عن ٦٥٪ ويشير بعض الباحثين الإعلاميين [٢١] إلى نسبة الأخبار المتبادلة بين الدول العربية لاتزيد عن ٢٪ من جملة الأخبار المتداولة فى الصحافة العربية . كما ترصد أحدى الدراسات مدى تأثير العلاقات العربية على معالجة الصحافة للقضايا العربية ويستشهد الباحث بالفترة من أكتوبر ١٩٧٠ إلى أكتوبر ١٩٧٧ حيث تغلبت العلاقات التعاونية على العلاقات الصراعية بسبب شبه الإجماع العربى بدرجات متفاوته فى مواجهة الصرع مع اسرائيل .هذا بينما سيطرت العلاقات الصراعية العربية فى الفترة من نوفمبر ١٩٧٧ – اكتوبر ١٩٨١ وهى الفترة التى شهدت خروج مصر من الصف العربى وعقد معاهدة الصلح مع إسرائيل واستمرار النزاع حول الصحراء الغربية والحرب العراقية الايرانية . وقد انعكس كل ذلك على معالجة الصحافة المصرية للقضايا فى المرحلتين . واهتمت هذه الدراسة بإبراز تأثير العلاقات المصرية العربية على مستوى التغطية الإعلامية ونوعية المضامين التى تركز عليها الصحافة المصرية طبقا لحالات المد والجذر فى هذه العلاقات . فيلاحظ مثلا انه فى حالة تحسن العلاقات يكون شكل التغطية أكثر إبرازاً ويتحاشى المضمون الموقف السلبية للحكومات العربية وتنقلب الصورة تماما عندما تتوتر العلاقات بين الحكومات العربية .

هذا وقد أسفر إستقراء مجموعة البحوث والدراسات [٢٢] التى أجريت عن الصحافة والقضايا العربية عن بعض النتائج التى تعد بمثابة حقائق جوهرية تحدد أبعاد الخريطة الإعلامية العربية ومساراتها وطبيعة القوى المتحكمة فى صياغة واقعها الراهن . وتغطى هذه الدراسات الحرب الأهلية اللبنانية وحرب الخليج الأولى [العراقية الايرانية] والثانية [غزو الكويت وتحريرها] وجنوب لبنان والانتفاضة الفلسطينية وتكشف هذه الدراسات عما يلى :

١-التبعيه المركبة التى يدين بها الإعلام العربى محلياً للحكومات وخارجياً لمصادر الإعلام الغربى .

٢- عدم وجود مراسلين للصحف والوكالات العربية فى العواصم العربية خصوصاً عند وقوع أحداث أو أزمات أو كوارث قومية .

٣- انغلاق الإعلام العربى داخل الوظائف التقليدية التى تهدف إلى أقناع الجماهير وترويضها لصالح السياسات الرسمية والحكومية .

٤- قصور المؤسسات الأكاديمية الإعلامية ويتجسد ذلك كأوضح ما يكون فى غياب الدراسات الامبيريقية التى تتناول السياسات الإعلامية والإعلاميين العرب ومشكلات التدفق الإعلامى بين الدول العربية وعلاقة الإعلام بالسلطة السياسية ودور الإعلام فى تأكيد الهوية الثقافية فى مواجهة تحديات العولمة والغزو الصهيونى . ويضاف إلى ذلك عدم عقد مؤتمرات علمية عن الإعلام العربى لمناقشة مشكلاته والتحديات التى يواجهها وغياب حلقات النقاش والندوات .

٥- التفاوت فى الاشباع الإعلامى داخل المجتمعات العربية ذاتها علاوة على الفجوة التكنولوجية "المعرفية بين الدول العربية وبين الريف والحضر فى القطر وبين الأميين والمتعلمين وبين الاغنياء والفقراء فضلاً عن حرمان الاقليات من ممارسة حقوقها الإتصالية فى كثير من الدول العربية وعدم الإهتمام بإشراكها فى التيار المجتمعى العام وعدم تمثيلها فى وسائل الاعلام بصورة عادله .

التجليات الإعلامية للوفاق العربى :

فى ضوء المعطيات التى تم رصدها عن الواقع الراهن للإعلام العربى أدواره واشكالياته والتحديات التى يواجهها فى سياق الظروف والملابسات والأحداث التى تحكم مسيرة العلاقات العربية رتحدد ضرورة المد والجز وتداعيات الوفاق والإنقسام

فى المشهد القومى المعاصر قادتنا الضرورة العلمية إلى محاولة إستجلاء الإتجاهات والمواقف التى كشفت من خلالها الصحافة العربية عن مكان الوفاق العربى حضوراً وغياباً عبر مجموعة من القضايا والأحداث الفاصلة فى التاريخ العربى المعاصر .

وقد أنطلقت الدراسة الامبيريقية من مجموعة فروض تم إستقائها من مسح التراث العلمى والبحوث السابقة التى أجريت عن الإعلام العربى والتحديات المعاصرة التى تواجه حركة التقارب والوفاق العربى . وتم التطبيق على ثلاث صحف عربية شملت الأهرام القاهرية والحياة الدولية ذات التمويل السعودى والوطن الكويتية . وتحديد الإطار الزمنى للدراسة بعامى ١٩٩٨/١٩٩٧ أما القضايا التى تعد بمثابة محكات كاشفة فقد اقتصرت على :

١- السوق العربية المشتركة .

٢- مؤتمر الدوحة الاقتصادى [نوفمبر١٩٩٧] .

٣- الأزمة العراقية مع الامم المتحدة .

٤- القدس ومحاولات تهويدها .

هذا وقد تم رصد وتحليل المواد الإعلامية التى تناولت من خلالها الصحف المختارة [الاهرام - الحياة - الوطن] القضايا السالفة الذكر وتم توظيف النتائج فى التعرف على مدى صحة أو خطأ الفروض التالية :

الفرض الأول:

تعددت الرؤى الصحيفة تجاه القضايا العربية المشتركة وفارقت التوحد مع الخطاب الرسمى وذلك فى إطار الهامش المتاح للتعبير عن الآراء التى تخالف الموقف الرسمى للحكومات العربية .

وقد ثبت صحة هذا الفرض إذ عكست صحف الدراسة [الأهرام والحياة الوطن] تعددية نسبية يمكن إيجازها على النحو التالى :

١- فيما يتعلق بقضية السوق العربية المشتركة تعددت الرؤى التى طرحتها صحيفة **الأهرام** القاهرية وتراوحت مابين رؤية محبذة لإحياء مشروع السوق العربية المشتركة بشكل كامل على نحو خطابى عاطفى ومابين رؤية عقلانية عملية ترى ضرورى البدء بإنشاء إتحاد جمركى عربى ومنطقة حرة كخطوة أولى فى سبيل تحقيق هذا الحلم القومى الكبير وبين رؤية ثالثة ترى فى هذه السوق العربية تحدياً للمتغيرات الدولية فى عصر العولمة مما يجعل تحقيقها أمراً صعب المنال فى الظروف العربية والدولية الراهنة [٢٤] .

وكذلك تراوحت الرؤى فى صحيفة **الحياة** الدولية مابين التحفظ على الدعوة للإحياء على إعتبار ان تصرفات العرب هى ردود أفعال وليست افعال قابله للتنفيذ وما بين رؤية تشترط مشاركة المنظمات والهيئات العربية غير الحكومية لضمان نجاح المشروع وبين رؤية ثالثة ترى فى السوق العربية المشتركة شرطا هاما وضرورى لمواجهة مخاطر الهيمنه الأمريكية والاسرائيلية [٢٥] .

أما فى صحيفة **الوطن** الكويتية فقد تباينت الآراء حول جدوى السوق العربية المشتركة فمن قائل أن تحقيق الديمقراطية فى الوطن العربى يعد شرطاً مشدداً لضمان تحقيق هذا المشروع فضلاً عن نجاحه وقائل آخر يرى عدم جدوى هذا المشروع في ظل التمزق الذى يعانى منه النظام العربى بعد حرب الخليج الثانية [٢٦] .

٢- وفيما يتعلق بمؤتمر الدوحة الاقتصادى [١٩٩٧/١١/١٦] فقد شهد درجة عالية من التباين فى الآراء نظراً لتوقيت انعقاده بعد توقف عمليه السلام . وقد عكست **الأهرام** تأييداً واسعاً من جانب معظم الكتاب للطرح الرسمى المصرى برفض إنعقاد المؤتمر أو المشاركة فى أعماله على أساس أنه يستهدف تعزيز الموقف الإسرائيلى ودعم السياسات الاسرائيلية لإقامة مشروع السوق الشرق

أوسطية دون الإلتزام بإتفاقيات السلام . وأبرزت الصحيفة رؤية الحكومة المصرية التى تمثلت فى ضرورة أن يسير التعاون الاقتصادى مع إسرائيل متوازيا مع التقدم فى عملية السلام مما يتناقض تماما مع الإتجاه الأمريكى والإسرائيلى الذى يصرعلى الفصل بين العمليتين السياسية والاقتصادية الأمر الذى قوبل بالرفض من القيادة السياسية المصرية .

وقد ظهرت فى الاهرام بعض الكتابات التى تنحى باللائمة على قطر بسبب اصرارها على عقد المؤتمر وفى نفس الوقت ترد على الإتهامات التى كالتها الدوحة للقاهرة متهمة إياها بالازدواجية لانها كانت أولى الدول العربية التى عقدت صلحاً مع اسرائيل .

وقد ظهرت فى الأهرام بعض الآراء التى تلتمس العذر لقطر بسبب وقوعها تحت الضغوط الأمريكية والاسرائيلية ولانها لاعب صغير وسط لاعبين كبار كما أن أصرارها على المؤتمر لايعنى أنها تنوى شق الصف العربى [٢٧] .

وقد اتاحت جريدة **الحياة** المجال لكافة لإجتهادات والرؤى رغم تباينها الشديد إذ تراوحت بين ثلاثة اتجاهات أبرزها كان يهاجم المؤتمر وينعته بالممزق للشمل العربى واتجاه كان يرى فى قطر مجرد مستضيف للمؤتمر فلا داعى لإثارة المشكلات معها أما الاتجاه الثالث فقد دار حول إبراز أهمية المؤتمر فى الكشف عن مدى التشرذم والتفكك الذى تعانى منه الأمة العربية [٢٨] .

وتراوحت الآراء فى جـــريدة **الوطن الكويتية** مابين التنبيه للمخاطر السياسية المترتبة على عقد مؤتمر الدوحة والتى تتمثل فى أطماع إسرائيل فى فتح الاسواق الخليجية للسلع الاسرائيلية مقابل الحصول على النفط الرخيص وإختراق الصهيونية للنظام الاقليمى فى الخليج ومحاولة عزله عن محيطه العربى وهناك بعض الآراء التى ارتفعت مطالبة برفع الأيدى عن الدوحة وإحترام حقوق قطر فى رعاية

مصالحها كما أكد البعض أن انعقاد المؤتمر دليل على مظاهرالتشرذم التى بدأت تجتاح دول الخليج والتى لن يجنى ثمارها سوى الولايات المتحدة التى تشجع اسرائيل لإستنزاف خيرات الأقليم بالسيطرة على اقتصادياته ومقاومة أى مشروع للنهوض والتوحد العربى وضرب القوى الأقليمية الكبرى مثل ايران لانها تعارض المشروع الصهيونى[٢٩] .

٣- وفيما يتعلق بالأزمة العراقية مع الأمم المتحدة فقد عبرت صحف الدراسة عن اجماع الرأى العام العربى على رفض الموقف الأمريكى الراهن من العراق ووصفته بأنه موقف متعسف وعدوانى وغير حكيم ولايأبه من قريب أو بعيد بحياة شعب يتعرض للحصار والاذلال دون مبرر مقبول فى الوقت الراهن وعلى الرغم من إجماع صحف الدراسة على ضرورة فتح صدام حسين للمواقع المراد تفتيشها من جانب لجنة التفتيش الدولية وتقديم كافة التسهيلات اللازمة لتيسير مهمتها إلا انها أجمعت على رفض الخيار العسكرى الذى طرحته الولايات المتحدة وبريطانيا للرد على ما أسمته مشاغبات النظام العراقى[٣٠] .

وقد تحولت صفحة الرأى فى صحيفة الحياة إلى مايشبه المنتدى العربى لمختلف وجهات النظر تجاه الأزمة العراقية ويذكر لهذه الصحيفة انها منحت بعض الكتاب الاكراد فرصة المشاركة فى التعبير عن آرائهم تجاه الأزمة وقد رفضوا ايضا الحل العسكرى على أساس أن الحلول الدبلوماسية لاتزال أمامها فرصة ولكن لوحظ انه فى أعقاب انتهاء الأزمة بتوقيع الإتفاق بين الحكومة العراقية وكوفى عنان فى ١٩٩٨/٢/٢٣ظهرت بعض الآراء التى ترى ضرورة الإطاحة بصدام حسين بإعتباره كارثه على الشعب العراقى ومنها بعض الكتابات الكردية التى لاترى أى ضرر من اقامة دول للأكراد بعد الاطاحة تماما بصدام حسين . كما طرحت بعض الآراء التى تدعو إلى ضرورة الإستفادة من الموقف العربى الموحد أثناء الازمة بإجراء مناقشات جادة حول القضايا المثاره حالياً فى الوطن العربى سعياً لبناء موقف عربى موحد ازاء قضية السلام والصلح مع اسرائيل[٣٠] .

أما جريدة **الوطن الكويتية** فقد تابعت الأزمة العراقية وغلب على معظم كتابها روح الزهو المشوب بالرغبة الإنتقامية الجارفة فى التخلص من صدام حسين ولكن لم يفصح أحدهم عن تأييد توجيه ضربة عسكرية إلى العراق بل أكد بعضهم أنه لابديل عن الحل الدبلوماسى وأكد "عبدالله النفيسى" مثلا على المخاطر التى ستعود على الوطن العربى كله فى حالة وقوع عدوان أمريكى جديد على العراق تحت مسمى تطبيق [الشرعية الدولية] . كذلك ظهرت بعض الآراء التى تعارض مشروع المصالحة بين الكويت والعراق مؤكدين رفضهم للدعوة إلى تطبيع العلاقات مع[دول الضد][٣٢] .

٤- أما قضية تهويد القدس فقد حركت جماع الاهتمام العربى رسميا وشعبيا وقد أنعكس ذلك على صفحات الصحف محل الدراسة ودارت معظم الكتابات والتعليقات حول التأكيد على عروبة القدس والدعوة إلى ضرورة تشكيل موقف عربى موحد وتغليب المصالح القومية على أى اعتبار آخر حتى يمكن الصمود فى وجه التعنت الاسرائيلى والخروج بالقدس من المازق الذى تسعى اسرائيل لزيادة تعميقة . وقد حذر البعض من وجود دلائل كثيرة على أن القدس ستكون عرضة لفرض أمر واقع اسرائيلى تفسح له السياسة الأمريكية المجال ويستشهدون على ذلك بقرار الكونجرس الأمريكى القدس كعاصمة لاسرائيل فى خريف١٩٩٥ . وهناك إلحاح ملحوظ من جانب بعض الكتاب لضرورة إنجاز خطوتين إستراتيجيتين **أولهما** رسمية وتتمثل فى ضرورة إحياء الدور الروسى والتنسيق مع أطراف دولية أخرى مثل الإتحاد الأوربى **وثانيهما** شعبية وتتمثل فى ضرورة تأسيس لجنة لإنقاذ القدس من التهويد ينحصر دورها فى التصدى لعمليات بيع الأراضى فى فلسطين وذلك عن طريق توفير المستلزمات التى يحتاجها الشعب الفلسطينى والتى تضطره لبيع أرضه[٣٣] .

وفى ضوء ماسبق يتضح لنا أن الفرض الأول قد تحقق حيث اتسعت الصحف لرؤى متباينه حول الأحداث والقضايا القومية وبرز التناقض والاستقطاب الشديد حول بعض القضايا مثل الأزمة العراقية كما تجلى الإجماع حول قضايا أخرى مثل تهويد القدس ويقودنا هذا للفرض الثانى .

الفـــــرض الثانى:

يتأثر الوفاق العربى بالمتغيرات الخارجية المؤثره على النظام العربى ويظهر على سطح الأحداث كرد فعل على الضغوط الأجنبية المفروضة على العالم العربى من جانب أمريكا واسرائيل أكثر مما يتأثر بالعوامل الداخلية البنائية . ويعد النظام الصحفى العربى مجرد ناقل لهذا النوع من الوفاق .

وقد تحقق هذا الفرض بالنسبة لصحف الدراسة كلها فى معظم الأحداث والقضايا العربية التى تناولتها هذه الصحف خلال عامى ١٩٩٧/١٩٩٨م كما تجلى فى الإستخلاصات التى بلورت مواقف كل صحيفة على حده ففى قضية السوق الشرق أرسطية فى مقابل السوق العربية المشتركة لوحظ ان صعود فكرة الشرق اوسطية تواكب فى التطورات الإيجابية لعملية السلام ثم وقعت بعض الأحداث خارج النظام العربى تمثلت فى مقتل رابين ومجئ رئيس الوزراء الاسرائيلى بنيامين نتنياهو بموقفه المتشدد عملية السلام مما أدى الى إنتهاء خطاب الشرق أوسطية الذى كان يروج له أثناء نجاح عملية السلام وبدأ ظهور خطاب العودة للتجمع العربى ممثلاً فى الدعوة للسوق العربية المشتركة كرد فعل على توقف عملية السلام .

وقد برز ذلك فى اتفاق صحف الدراسة فى نشر الكتابات المؤيدة لفكرة السوق العربية المشتركة بعد توقف عملية السلام وتحديداً بعد مؤتمر قمة شرم الشيخ الذى جمع بين الرئيس المصرى حسنى مبارك ورئيس الوزراء الاسرائيلى

بنيامين نتنياهو [مايو١٩٩٧] وإتضح من نتائجه توقف عملية السلام وما أعقبة من لقاء الزعماء مبارك والأسد وفهد والذى مهد للإجتماع الطارئ لوزراء خارجية الجامعة العربية بالقاهرة الذى أكد على عدم التطبيع مع إسرائيل ..

وفى ضوء ذلك يمكن تفسير الكتابات الصحفية التى هاجمت مؤتمر الدوحة الاقتصادى الذى جاء تاليا لتوقف عملية السلام وصعود فكرة السوق العربية المشتركة والذى استهدف تحقيق التجمع الاقتصادى لدول الشرق الأوسط وشمال افريقيا لذلك هوجم بإعتباره أداة للتطبيع مع أسرائيل .

وفيما يتعلق بالأزمة العراقية مع الأمم المتحدة فقد اختلفت مع القضيتين الآخريين نسبياً لكون قضية العراق مطروحة للتداول بعد حرب الخليج الثانية ولكن اعتبرت الأزمة الأخيرة مع الأمم المتحدة متغيراً خارجياً كان من الضرورى ان تتعامل معه الأنظمة العربية بما يستتبعه من معالجات صحفية عاكسة للمواقف الرسمية التى أجمعت على رفض الخيار العسكرى وأصرت على الحل الدبلوماسى ماعدا بعض الاستثناءات التى عبرت عنها الصحافة الكويتية ويفضى بنا هذا التحليل إلى الفرض الثالث .

الفرض الثالث:

تأثرت المعالجات الصحفية لقضايا السياسة والاقتصاد فى الوطن العربى باطروحات العولمة والسوق الشرق أوسطية والمتوسطية .

والواقع ان هذا الفرض لم تثبت صحته لأن هناك ثمة مجموعة من الظروف حالت دون تحقيقه منها :

١- ارتباط الفترة المدروسة [١٩٩٧-١٩٩٨] بتوقف عملية السلام ومن ثم خفوت الدعوة للشرق أوسطية لصالح الفكرة العربية .

٢- تراجع نشر الكتابات التى تروج للعولة بعد وضوح آثارها السلبية فى إنهيار اقتصاديات دول جنوب شرق آسيا كما ظهرت سلبياتها الثقافية فى تأثير بعض آلياتها مثل الانترنت وظهور المواقع التى تهاجم الاسلام كدين والذى يعد مكوناً رئيسياً من مكونات الهوية العربية الاسلامية .

ورغم ذلك فقد ظهرت بعض الكتابات المتفرقة التى تعكس حيرة المجتمع العربى فى التعامل مع فكرة العولة ففى الاهرام عكست بعض الكتابات عجز العرب عن مواجهة آلياتها الإتصالية و المعلوماتية التى تهدد كيانهم الثقافى والقيمى بعد تهديدها لقدراتهم الاقتصادية .

وقد ظهرت فى صحيفة الحياة بعض الكتابات الشارحة لفكرة العولة كما يراها المتحكمون فى آلياتهم دون الإنحياز لرؤية معينة على حين ظهرت فى الوطن كتابات ترى أن حاضر العالم العربى قلق ومستقبله غامض فى مواجهة العولة ويمكن القول أن أفكار الشرق أوسطية والعولة قد خفتت نسبياً بعد ظهور مخاطرها على العالم العربى ولكن لم يواكب ذلك محاولات كافية لتأطير وتأصيل الرؤية القومية فى عصر العولة .

الفـــــــرض الرابع:

استمرت النظرة العاطفية وقاموس الهجاء السياسى فى مناقشة الخلافات العربية - وطغت على الرؤية العقلانية لهذه الخلافات والواقع أن هذا الفرض لم تثبت صحته إلا بصورة جزئية وفى صحف معينة . ففى **الأهرام** لم تظهر أية كتابات تهاجم أى دوله عربية إلا فى حالة وحيدة تمثلت فى الحملة القطرية على مصر عندما اتهمتها بالسعى لإفشال مؤتمر الدوحة فقد ردت **الأهرام** على تجاوز الصحف القطرية فى انتقاد مصر بكتابات ترى فى قطردولة صغيرة تلعب دوراً أكبر من حقيقتها وشددت **الاهرام** على أن مصر لاترغب فى الرد على الحملة القطرية

بإسفاف كما فعلت بعض الصحف القطرية التى هاجمت الرموز الدينية لمصر والوطن العربى ممثلة فى الأزهر الشريف .

ويلاحظ أن صحيفة الحياة نتيجة لصدورها فى لندن كصحيفة لكل العرب لم يرد فى كتاباتها أى هجاء سياسى عنيف ولكنها التزمت بنشر الكتابات التى تعرض مختلف الآراء دون تطاول أو إبتذال .

أما صحيفة الوطن فقد عبرت الغضب الكامن لدى بعض الأقلام الكويتية ضد العراق ومن أسمتهم دول [الضد] الذين ساندوا العراق فى أزمة الخليج وحربه الثانية ووجهت كل شحنة العداء إلى الحكام فوصفت صدام حسين الفاجر لتكريتى واتهمت نظامه بالفساد وحرصت على عدم مهاجمة الشعب العراقى واكتفت بوصفه بالمقهور والمغلوب على أمره . كذلك هاجمت الملك حسين ووصفته بالملك الضال والرئيس الفلسطينى ياسر عرفات ونعتته بالمسخ والرئيس اليمنى على عبدالله صالح ووصفته بالشاويش[٣٤] .

وسعيا لإستكمال الرؤى والإتجاهات الإعلامية ازاء قضايا الوفاق العربى فى ظل المشهد الراهن للعلاقات العربية تم إستطلاع ومناقشة مجموعة من الكتاب والصحفيين المصريين المتهمين والمتخصصين فى الشئون العربية [٣٥] . وقد تم توظيف هذه المناقشات للإجابة على الفرض الخامس الذى تم إستقائهُ من واقع الرصد والتحليل للكتابات والتعليقات التى نشرتها صحف الدراسة حول القضايا والأحداث القومية المثاره على الساحة العربية فى العامين الآخرين .

الفرض الخامس:

رغم ان الصحافة العربية حققت نوعا من الوفاق حول بعض القضايا القومية مثل القدس – مقاطعة التطبيع مع اسرائيل والسوق العربية المشتركة إلا أنه أقتصر على مستوى الخطاب ويعزى ذلك أساسا إلى موقف الحكومات العربية من هذه القضايا وليس إلى المقدره الذاتية للصحافة العربية .

وقد أكد المشاركون فى النقاش من الصحفيين والكتاب صحة هذا الفرض ودللوا على ذلك بالعديد من الشواهد والمواقف إذ اجمعوا على أن الوفاق العربى لم يتحقق إلا على مستوى الخطاب الصحفى فحسب وأنه [من قبيل الخداع للنفس القول بأن هناك وفاق بالمعنى الكامل بين الدول العربية التى فشلت حتى على المستوى الاقتصادى فى إنشاء السوق العربية المشتركة التى تمثل اللبنة الأولى فى جدار التضامن العربى] فى ظل اتجاه نحو ما يسمى بالعولمة أو الكوكبة وإذ كان الحال على هذا النحو على المستوى الرسمى أو السيادى فما يمكن ان نتوقعه من وسائل الاعلام العربى [٣٦] .

ويرى البعض أن حالة الوفاق الذى عبرت عنه الصحافة العربية هو ظرف مؤقت واعتيادى ويرتبط بالمصالح المباشرة للحكومات العربية وان الصحف العربية ليست سوى مرآة تعكس مواقف الأنظمة والحكومات العربية فهى حتى الآن لاتمتلك القدره الفعلية على ممارسة أى شكل من الاشكال والضغط على هذه الأنظمة ولكنها تقوم بالدور الأكبر فى زيادة حدة الخلاف بين هذه الدول عند حدوث أول بادره للخلاف ويستشهدون بماحدث فى الأزمة بين مصر وقطر فى سياق الملابسات التى أحاطت بمؤتمر الدوحة . إذ قامت الصحافة بدور رئيسى فى زيادة حدة الخلاف وتوسيع الهوة بين الدول العربية [٣٧] .

ويضيف البعض بأن النظم الإعلامية فى الوطن العربى غير مسئوله عن هذا الشقاق العربى كما أنها غير قادره على بلورة الوفاق العربى على مستوى الواقعى والفعلى وإن كانت قادره على رسمه ليل نهار . وتشير هذه الحقيقة إلى تبعية الإعلام العربى للحكومات بشكل يكاد يكون مطلقاً فالانظمة العربية لاتكتفى بالتمويل بل تتدخل بصورة سافرة وأحيانا مقنعة فى رسم السياسات التحريرية وتعيين رؤساء التحرير.

ولكن هذا لايعنى اختفاء هامش الحرية بصورة كاملة بل هناك بعض القضايا التى تتطلب دوما موقفاً وجماهيرياً مسانداً وهنا تقوم وسائل الإعلام بدور حلقة الوصل بين هذين الطرفيين وتمارس نوعا من التأثير على القرار الرسمى هذا وهناك إجماع من جانب المشاركين الاعلاميين على أنه ليس هناك دليل عملى واحد على وجود هذا الوفاق العربى ويستشهدون على ذلك بالخلافات الدائرة بين [السعودية واليمن والإمارات والبحرين والمغرب والجزائر ومصر والسودان] فضلا عن حالة الجمود والشلل الذى يسيطر على قرارات الجامعة العربية أو قرارات مؤتمرت القمة العربية ويضاف إلى ذلك التقاعس المتواصل من جانب الدول العربية عن السعى لإقامة السوق العربية المشتركة التى أصبحت تمثل حلماً قومياً لايقل فى أهميته عن حلم الوحدة العربية . هذا ويرى البعض أن المجال الوحيد الذى تحقق فيه الوفاق العربى على أرض الواقع ساهمت الصحافة فى تعميقة بعيداً عن قرارات السلطة يتمثل فى رفض التطبيع مع اسرائيل والسبب هنا ليس القرار السيادى وإنما القرار الشعبى الذى تمثل فى مبادرة المثقفين العرب الذين بادرو للتصدى لمحاولات ترويج مايسمى بثقافة التطبيع وكانت النواة الأولى لجنة الدفاع عن الثقافة القومية التى شكلها المثقفون المصريون عام١٩٧٩ ثم تاثيرها على امتداد الوطن العربى حيث جرت مواجهات أخرى استعانت بأساليب مختلفة باختلاف ساحات المواجهة ، وكانت الصحافة أبرز الآليات التى حملت صوت المثقفين والقوى الشعبية المناهضة للتطبيع مع اسرائيل .

وهنا يؤكد البعض بأن اختلاف نمط المصالح بين الحكومات العربية وفى ظل هيمنه الحكومات على الصحافة ووسائل الإعلام العربية تبرز الحقيقة التى تشير إلى ان قرار الوفاق العربى [إذا تحقق] سيكون قراراً جماهيرياً وليس قراراً رسمياً بمعنى أن الصحف يمكن ان تبلور الوفاق بين الجماهير العربية أكثر مما تستطيع تحقيقه على مستوى الحكومات [٢٧] .

فى ضوء ماسبق يمكن بلورة رؤية اجمالية تتخلص أبعادها فيما يلى :

أولاً : لقد تعاملت الصحف المدروسة مع قضية الوفاق العربى كمتغير تابع لمتغير رئيسى وهى رؤية الحكومات العربية لمدى هذا الوفاق .. فحتى على المستوى الدلالى والأسلوبى لم تكن هناك كتابات مع أو ضد [الوحدة العربية] بعد أن تبين أن هذا حلما بعيد المنال نتيجة للخبرات السلبية لتجارب الوحدة السابقة أو حتى المحاولات للوصول إليها .

فالعلاقات العربية لاتزال متأثرة بالحدث الزلزال لحرب الخليج الثانية والتوجسات التى تبعته تجاه أى تجمع عربى ومدى نجاحه ونظراً إلى أن أى دولة عربية لا تخطو أى خطوة تجاه أى دولة عربية إلا بدافع المصلحة القطرية لذلك فإن الوفاق العربى لا يزال دعوة على مستوى الخطاب وبعيد كل البعد عن التطبيق الفعلى نتيجة لتناقض مصالح النخب العربية الحاكمة وارتباط مصالحها فى الأساس برضا الشمال [الغرب بالتحديد] سواء فى شكل حماية سياسية وعسكرية أو دعم اقتصادى أو قيام بدور التوكيل أو الكمبرادور للانساق الاقتصادية المهيمنة فى عالمنا المعاصر ..هذه التوجسات لم تنجو منها المعالجات الصحفية للعلاقات العربية التى ترى فى المصالح القومية – فى الأغلب الأعم – أهتمام تال للمصالح القطرية وهناك العديد من الأحداث التى كشفت ذلك لعل أبرزها مؤتمر الدوحة وقضية القدس لا تكفى بأى حال من الأحوال التأكيد على عروبتها من خلال الخطاب الصحفى لضمان خلق موقف فعال لحل مشكلتها .

ثانياً : أن آليات العولمة والموثرة على البنى الاقتصادية والسياسية والثقافية والقيمية للعالم العربى لايُلمس إلا الحيرة فى التعامل معها .. فهى أقوى من أن نستبعدها ونتفلت من أسر جاذبتيها ونحن أضعف من أن نواجهها .. والكاتب

أو الصحفي العربي لابد وأن يعاني أزدواجية ماحين يرى نفسه يهاجم العولمة وهو في ذات الوقت مأخوذ تماما بآلياتها الإعلامية المتمثلة في القنوات الفضائية وشبكات المعلومات الدولية وبسبب غياب رؤية عربية موحدة تجاه القوى العالمية المتحكمة في العولمة لذلك تظل المواقف مهما تباينت سواء في التحفظ أو المساندة أسير الخطاب وليست رهن الفعل الناجز .

ثالثاً: تؤكد النتائج ماسبق أن أشارت إليه الدراسات في أن الدولة العربية ذات الشرعية المتآكله والهيمنة الكاملة والمغتربة عن ذاتها وجماهيرها قد خلقت نظاما إتصاليا تابعا لها يضفي الشرعية لتأمينها وتعزيز هيمنتها وسطوتها مما أسفر عن خلق انماط للعلاقة بين الإعلاميين والسياسيين في الوطن العربي غير سوية في مجملها كما أفقد وسائل الإعلام مصداقيتها وعمق اغتراب المواطن العربي عن ذاته خصوصاً في سياق الانتهاك المتواصل لحقوقه الأساسية والذي تؤكده التقارير التي أصدرتها المنظمة العربية لحقوق الانسان خلال حقبة التسعينيات إذ تشير إلى تراجع هامش الحريات الديمقراطية وتعرضها لانتهاكات جسيمة في العديد من الدول العربية والتي لم تعد تقتصر على السجن والتشريد والمطاردة الأمنية بل وصلت إلى حد الجلد الصحفيين في دولة عربية مثل اليمن [٣٩] .

رابعاً : كشفت الدراسة عن واقع التبعية المركبة التي يعاني منها الإعلام العربي والإعلاميون العرب وأعني بها التبعية للحكومات العربية في سياق التبعية للمصالح الغربية مما أسفر عن فقدان الإعلام العربي لمزاياه وخصوصيته القومية بمعنى أن الممارسات الإعلامية العربية تتبنى المصالح القطرية للحكومات العربية في إطار الإلتزام بالمعايير الغربية ومراعاتها للتحالف الوثيق بين هذه الحكومات والقوى العالمية ويتحرك الإعلام الحكومي وسط حقول من المحظورات السياسية والاجتماعية والثقافية .. وعلى الجانب الآخر تعاني الدراسات الإعلامية في الوطن العربي من

التبعيه الأكاديمية فهى تدرس بمناهج غربية ويتم تقييمها بنفس المعايير الغربية التى لاتصلح لقراءة الواقع الثقافى العربى فضلاً عن فك رموزه وادراك سياسته ومساراته . وقد تسبب ذلك فى اعاقة المسيرة المعرفية لعلوم لإعلام فى الأكاديميات العربية . ورغم كثرة ما أنتج من كتب وبحوث فى هذا المجال إلا إن عائدها المعرفى والفكرى هزيل فضلا عن غياب اى مردود نظرى بسبب محاصرة التوجهات النقدية والاغراق فى إستخدام مناهج وأطر نظرية لاتصلح فى أغلبها للكشف عما هو جوهرى فى البنية الثقافية والإعلامية العربية والتميز بينها وبين وما هو عارض أو وافد .

خامساً : فى ضوء الواقع الثقافى الراهن فى الوطن العربى الذى يتزامن فيه القديم والجديد والوافد والموروث دون تفاعل حقيقى وتهيمن فيه السياسة على الثقافة وتخضع المجتمعات العربية فى مجملها لتيارات ثقافية متناقضة تبرز على سطحها الثقافية الاستهلاكية التى تفرضها القوى العالمية [أمريكا بالتحديد] المسيطرة على الإعلام السمعبصرى وتعمل بإصرار على تخريب الثقافات القومية وتفتيتها ويقف فى مواجهتها كل من الثقافة التراثية التى يغلب عليها الطابع النقلى المعادى للنقد والإبداع والتفكير الحر و الثقافة القومية التى تحاول استعادة مواقعها التى سطعت خلال حقبة التحرر الوطنى العربية من خلال استلهام تراثها التحررى الوحدوى حيث تعيد طرح الأفكار تبرز أمامنا الضرورة القصوى لتشكيل جبهة عريضة من المثقفين العرب تسعى بجدية لتبنى استراتيجية قومية فاعلة وقادره على انجاز المهام التالية :

١- تجاوز الثنائية والإنشطار الثقافى فى الواقع العربى الراهن.

٢- مواجهة الاختراق الثقافى من خلال ثورة ثقافية شاملة ومتعددة المراحل تستهدف إعادة بناء الترث الثقافى العربى من الداخل من خلال الدراسة النقدية للتاريخ الثقافى للوطن العربى وتوظيف الجوانب الإيجابية للتراث لتأسيس مشروع

حضارى يستند إلى بنى اقتصادية واجتماعية مناهضة تماما للبنى التقليدية السائدة حالياً والتى تكرس المصالح لقطرية والرؤى الغيبية وعقلية الاستتباع للحكومات المحلية وللسوق العالمية .

٣- تجديد فاعلية المجتمع الثقافى والسياسى العربى من خلال السعى بكافة الوسائل لتوسيع هامش الديمقراطية وانتزاع اعتراف الحكومات العربية بحق جميع القوى الاجتماعية والسياسية والاقليات الثقافية والدينية فى المشاركة فى إدارة الشئون أوطانها والتمتع بعوائد ثرواتها القومية .

٤- التأكيد على ضرورة أحترام حقوق الانسان العربى وإعتباره قيمة حضارية فى حد ذاته وليس رقماً مهملاً فى خانة الطوائف والقبائل وأقبية السجون .

٥- تجديد فاعلية النظام الأقليمى العربى بالسعى لاعطاء دفعة تنشيطية لمؤسسات العمل العربى المشتركة والتى يخيم عليها الجمود والترهل .

٦- السعى لتحقيق الحد الأدنى من التنسيق العربى حول القضايا المشتركة .

سادساً : وتؤكد الدراسات والشواهد المعاصرة على أن الصيغة العصرية للوفاق العربى قد تجاوزت العموميات والشعارات الايديولوجية التى استنزفت طاقة وعمر عدة أجيال عربية . إذ أصبح تحقيق الوفاق العربى فى زمن العولمة وفى إطار تركه الحقبة النفطية وموروثات التجزئة والرؤى القطرية المحدودة أصبح مرهوناً بمجموعة من المنجزات الواقعية التى تدور حول تنفيذ مشروعات التنمية القومية وتصفية الفقر والأمية فى الوطن العربى ونشر التفكير العقلانى كاطار فكرى وكأسلوب للعمل والعلاقات السياسية بين الحكام والشعوب وبين الدول العربية على المستوى القومى والإهتمام بالبحث العلمى والسياسات التعليمية وضمان المشاركة الشعبية فى كافة الأنشطة السياسية والثقافية وإذا أردنا ان نترجم هذا التصور

الإستراتيجى العام لتحقيق الوفاق العربى إلى خطط وإجراءات عملية تستهدف تحديد الأدوار والوظائف العلامية فى هذا الصدد فإن الأمر حينئذ يستلزم التركيز على مايلى :

١- صياغة سياسات قومية إعلامية وتعليمية وثقافية تراعى الجمع بين خصوصيات كل قطر عربى مع الإلتزام بالثوابت العربية المستقاة من تاريخ حركة التحرير الوطنى العربية والتراث الثقافى العربى بكافة روافده الدينية والحضارية والحرص على ترجمة هذه السياسات إلى برامج مشتركة تلتزم الدول العربية بتنفيذها تحت إشراف الجهاز الثقافى للجامعة العربية .

٢- إعداد كوادر إعلامية عربية مؤهلة ومدربة ومسلحة بالرؤية الثقافية العربية المشتركة ولن يتحقق ذلك إلا من خلال سياسات عربية مشتركة فى مجال التعليم الإعلامى وبرامج مشتركة للتدريب على إستخدام تكنولوجيا المعلومات والإتصال بما يلبى الإحتياجات الإتصالية والثقافية للجماهير العربية فى الريف والحضر ويخلق رؤى مشتركة بين الجماهير لمواجهة التحديات المعاصرة .

٣- إعداد مسوح ودراسات ميدانية عن الرأى العام العربى خلفياته الثقافية واحتياجاته القومية وإتجاهاته إزاء السياسات الاعلامية والثقافية فى الوطن العربى على ان يستفاد بنتائجها فى رسم الاستراتيجية القومية فى المجالين الإعلامى والثقافى العربى على أن يتم إنجاز هذه الدراسات من خلال مراكز البحوث والمؤسسات الأكاديمية وتحت إشراف قومى .

٤- تبدو الأهمية الملحة للتنسيق والتكامل الإعلامى بين القنوات الفضائية والاقمار العربية هندسياً وبرامجياً . ويتحقق ذلك من خلال لجان قومية من الخبراء الإعلاميين والمثقفين العرب للإشراف على إختيار البرامج والمسلسلات والأفلام التى

تصلح للبث المشترك كما يبرز على الجانب الآخر ضرورة التنسيق فى مجال التنسيق فى مجال المعلومات من خلال السعى لبناء الشبكة العربية للإعلام والمعلومات مع مراعاة الاستفادة من الشبكات الدولية للمعلومات وخاصة شبكة الانترنت وتزويدها بصفة منتظمة بالمعلومات الدقيقة عن الوطن العربى وفى إطار التنسيق العربى فى مجال الإعلام تبرز أيضا ضرورة مواجهة القناة الفضائية الاسرائيلية التى تبث باللغة العربية واللغات الأجنبية والموجهة للشعوب الأخرى فى أمريكا وآسيا وأوربا وذلك من خلال إنتاج مواد إعلامية باللغات الأجنبية لكشف حقيقة السياسات الصهيونية فى الوطن العربى .

اخيراً تبدو الضرورة القصوى للسعى من أجل تيسير تداول الصحف العربية فى مختلف انحاء الوطن العربى دون التقيد بالتقلبات السياسية التى تتعرض لها العلاقات العربية فى معظم الأحيان .

الهوامش والمراجع

[١] أنظر عواطف عبدالرحمن : الإعلام العربي وتحديات العصر- مجلة عالم الفكر- المجلد ٢٣ - المجلس الوطني للثقافة والفنون للثقافة والآداب - الكويت - ديسمبر ١٩٩٤- ص١٨٦ .

[٢]ـــــــ عابد الجابرى : المسألة الثقافية - سلسلة الثقافية القومية مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ١٩٩٤-١٧٧-١٨٠.

[٣] أنظر عواطف عبدالرحمن : قضايا إعلامية معاصره - دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٩٦. ص ٣٢ ٣٨ .

[٤]ـــــــ معن بشور : السلام والتطبيع الثقافي والإعلامي - مجلة الدراسات الإعلامية - القاهرة - سبتمبر ١٩٩٦ ص٥٠ - ٥٥ .

[٥] انظر اسماعيل صبرى عبدالله : وحدة الأمة العربية - المصير والمسيرة مركز الاهرام للنشر - القاهرة ١٩٩٥ ص ١٥ ، ١٦ ، ص ٣٨ .

انظر سليمان صالح : حق الصحفي في الحصول على المعلومات - المجلة المصرية لبحوث الإعلام - العدد الأول - يناير١٩٩٧ .

[٦] انظر : جمال زهران : المواجهة بين النظام العربي والنظام الدولي جريدة الأهرام القاهرية ١٩٩٨/٨/٢٨ .

[٧] لمزيد من التفاصيل انظر: عواطف عبدالرحمن : قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث . سلسلة عالم المعرفة الكويت - ١٩٨٤ - ص ١٤٥ - ١٦٢ .

[٨] عصام المرسى : التدفق الاعلامي بين الدول العربية - مجلة الدراسات الإعلامية القاهرية - يناير١٩٩٥ - ص٢٢ ، ٢٣ .

[٩] انظر انشراح الشال : الإعلام الدولي عبر الأقمار الصناعية - دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٨٦ - ص٧٩ - ٨١ .

[١٠] محمود علم الدين : تكنولوجيا الإتصال في العالم العربي مجلة عالم الفكر - الكويت - ديسمبر ١٩٩٤ ص ١١٧ - ١١٩ .

[١١] المصدر السابق ص ١٣٠ - ١٣١ .

[١٢] انظر التقرير النهائي لليونسكو عن حلقة التدارس بشأن تعزيز استقلال وتعددية وسائل الإعلام العربية - صنعاء - اليمن يناير ١٩٩٦ - ص ٢٢ - ٢٤ .

ـــــــ : عواطف عبد الرحمن : هموم الصحافة والصحفيين في مصر - الفكر العربي - القاهرة ١٩٩٦ ص ١٢٣ - ١٤٢ .

[١٣] راسم الجمال : الإعلام العربي المشترك - دراسة في الإعلام الدولي العربي - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ١٩٨٥ - ص ١٢٣ - ١٢٧ .

[١٤] ياسر الفهد : المنظمة العربية للتربية والثقفة والعلوم ودورها في المجال الإعلامي - شئون عربية - العدد ٣٥ [يناير ١٩٨٤] ص ٢٢٥ .

[١٥] انظر كل من : مفيد شهاب [اعداد] جامعة الدول العربية ميثاقها وإنجازاتها [معهد البحوث العربية - القاهرة] ١٩٨٧ - ص٣٤٢ .

ـــــــ جيهان رشتي : الإعلام الدولي القاهرة - دار الفكر العربي ١٩٨٦. ص ٢٠١ - ٢٠٧ .

ـــــــ راسم الجمال : مصدر سابق ص ٥٦ - ٦٠ .

[١٦] أحمد فارس عبدالمنعم : التعاون الإعلامى العربى بين الانجاز والقصور – مجلة الدراسات الإعلامية – العدد ٧٤ – يناير ١٩٩٤ – القاهرة – ص ٣٢ ٣٤ .
[١٧] وثائق اتحاد الصحفيين العرب – الأمانة العامة للاتحاد – القاهرة –١٩٩٨ .
[١٨] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – الإعلام العربى حاضراً ومستقبلا – نحو نظام عربى جديد للإعلام والاتصال – تونس ١٩٨٧ – ص ١٧٠ – ١٧٥ .
[١٩] انظر كل راسم الجمال : الإتصال والإعلام فى الوطن العربى – مصدر سابق .
UNESCO Statistical Year Book.1992.
[٢٠] مصطفى المصمودى : النظام الإعلامى لجديد – سلسلة عالم المعرفة – الكويت ١٩٨٥ – ص ٣٣٩ .
[٢١] انظر عبدالقادر الادريس : الصحافة لعربية والتدفق الإعلامى مجلة الدراسات الاعلامية – عدد أبريل يونيو ١٩٩٥.
[٢٢] انظر عاطف عبد ربه : الشئون العربية فى الصحافة المصرية اليومية من ١٩٧٠ – ١٩٨٠ – رسالة ماجستير غير منشوره – كلية الإعلام – جامعة القاهرة ١٩٩٥ .
_______ عواطف عبدالرحمن : تجليات التبعية الاعلامية فى حرب الخليج – مجلة الدراسات الاعلامية – يناير١٩٩٢ .
_______ هشام عطية : تاثير السياسة الخارجية لمصر على المعالجة الصحفية للشئون الدولية – رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الإعلام – جامعة القاهرة ١٩٩٥ .
_______ محمد شومان : تطور فكرة القومية العربية الصحافة المصرية – ١٩٢٤ – ١٩٥٢ رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الإعلام – جامعة القاهرة ١٩٩٠ .
_______ حمدين صباحى : تطور مفهوم الوحدة العربية فى الصحافة المصرية١٩٥٢ – ١٩٦١ – رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الإعلام – جامعة القاهرة ١٩٨٥ .
_______ عواطف عبدالرحمن : القدس فى الصحافة العربية ١٩٧٠ – ١٩٨١ – فى الصحافة العربية المعاصرة دار الفارابى – بيروت ١٩٨٩ .
[٢٣] انظر جريدة الأهرام : محمد عبدالبديع السوق العربية المشتركة دوافع المستقبل ١٩٩٧/٨/٢ .
أمنية شفيق مناقشة عربية عن السوق المشركة ١٩٩٩٧/٨/٢ .
جمال الدين صادق اتحاد عربى جمركى ١٩٩٧/١٢/٩ .
هذا عدا [رأى الأهرام] عن السوق العربية المشتركة مثل سوق مشتركة .
[٢٤] انظر جريدة الحياة الدولية .
جهاد الخازن ١٩٩٧/٦/٦ .
رغيد الصلح : البرلمانيون العرب والسوق العربية المشتركة ١٩٩٧/٥/٨ .
فاروق الابير السوق العربية المشتركة خيارعربى لامفر منه ١٩٩٧/٦/١٧ .
[٢٥] انظر الوطن الكويتية : المقالات التى أشارت إلى السوق العربية المشتركة فى سياق موضوعات أخرى مايو يونية . نوفمبر ١٩٩٧ – عن أزمة العراق – مؤتمر الدوحة العلاقات العربية .
[٢٦] انظر جريدة الاهرام : احسان بكر . البداية الصحيحة ١٩٩٧/٦/٢٩ .
– لا أحد يلوم قطر فشل قبل ان يبدأ ١٩٩٧/١٠/٢٦.
– رأى الأهرام ماجرى فى قمة الدوحة ١٩٩٧/٧/٨ .
– جمال زهران مؤتمر الدوحه ومصداقية الموقف المصرى ١٩٩٨/٢/١٨ .
– اسامة الغزالى مصر ومؤتمر الدوحة ١٩٩٧/٢/١٨ .
– ابراهيم نافع مؤتمر الدوحة والموقف المصرى ١٩٩٧/١١/١٠ .
[٢٧] انظر جريدة الحياة : مقالات كل من ماجد كبالى ماورويرت بليترو . [١٩٩٧/٩/٢٧] ، كلوفيس مقصود [١٩٩٧/١٠/٢٠] ، حازم صفية .

[٣٠/١٠/١٩٩٧] ، عبدالوهاب بدرخان [٣٠/١/١٩٩٧] ، حسن أبو طالب [٥/١١/١٩٩٧] .
سليم نصار [٣٠/١٠/١٩٩٧] ، محمد سالم سرور . [١٥/١١/١٩٩٧] جـهـاد لخازن [١٦/١١/١٩٩٧] ، محمود عبدالفضيل . [١٦/١١/١٩٩٧] عبدالله المناع [٢٠/١١/١٩٩٧] عبدالوهاب بدرخان . [١٩٩٧/ ٢١/١١] .

[٢٨] انظر الوطن العربي الكويتية :
عبدالله النفيسي [٢٨/٥/١٩٩٧] ، يعقوب اليوسفي ١٤/٧/١٩٩٧ .
عبدالله النفيسي [٤/٧/١٩٩٧] ، عايد المناع [٥/٧/١٩٩٧]
عبدالله الشايجي [٧/٧/١٩٩٧] ، عدنان زيد الكاظمي ٥/٧/١٩٩٧ .

[٢٩] انظر جريدة الأهرام : رأى الأهرام ٤ ، ٥ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٨ فبراير١٩٩٨ ومقالات كل من سلامة أحمد سلامة ١١/٢/١٩٩٨ ، يحى ابراهيم ١٤/٢/١٩٩٨ ، فهمي هويدى ٢٤/٢/١٩٩٨ محمد عبد المنعم ٨/٢/١٩٩٨ ، زكريا نبيل ٧ ، ١٤ ، ٢١/٢/١٩٩٨ ، احسان بكر ١٠ ، ١٠/٢/١٩٩٨ ، عبدالرؤوف الريدى ٤/٢/١٩٩٨ ، مرسى عطا الله١٩/٢/١٩٩٨ .

[٣٠] انظر جريدة الحياة : جهاد الخازن [عيون واذان] ، عبدالوهاب بدرخان وخيرالله خيرالله ، حازم صاغيه ، سلامة نعمان ، محمد شومان ، كامران قره دا عى ، محمد الرميحى ، أمين هويدى ، جمال حميد ، صلاح النصراوى ، حسن أبو طالب طوال شهرى فبراير ومارس ١٩٩٨ .

[٣١] انظرجريدة الوطن الكويتية : المقالات والتعليقات الخاصة بالازمة العراقية وتطبيع العلاقات بين الكويت والعراق طوال شهر فبراير١٩٩٨ ، مايو – يونيو – نوفمبر١٩٩٧ .

[٣٢] انظر الأهرام القاهرية : مقالات أحمد يوسف القرعى ، وأحمد صدقى الدجانى ، وفهمى هويدى ، وإحسن بكر من ديسمبر مايو ١٩٩٧ – مايو ١٩٩٨ .
والوطن الكويتية : عبدالله النفيسى – محمد الرميحى [يونيو ١٩٩٧ – فبراير ١٩٩٨]
والحياة الدولية : رغيد الصلح – جهاد الخازن – حازم صاغيه وكلوفيس مقصود – خر الله خيرالله – صدقى الدجانى – مايو ١٩٩٧ حتى فبراير ١٩٩٨ .

[٣٣] انظر : الوطن الكويتية : مقالات راشد الردعان ٢٢/٢/١٩٩٨ ، جمال الكندرى ٢٨/٢/١٩٩٨ ، مسعود عبدالعزيز القطان ١٨/٢/١٩٩٨ ، عايد لمناع ١٦/٢/١٩٩٨ ، يعقوب اليوسفى ٦/٣/١٩٩٨ ، وبعض المقالات المتفرقة نشرت بالوطن خلال فترة الأزمة العراقية مع الأمم المتحدة .

[٣٤] تم إجراء عدة لقاءات ومناقشات علمية مع بعض الكتاب الصحفيين المتهمين بالشئون العربية وهم الاساتذة :
١– أمين محمد أمين رئيس قسم الشئون العربية بجريدة الأهرام .
٢– الكاتب الصحفى زكريا نبيل .
٣– الكاتب الصحفى سلامة أحمد سلامة .
٤– سامح السيد نائب رئيس القسم الدبلوماسى .
٥– الدكتور ايناس طه المحرره الشئون العربية بجريدة الاهرام .
٦– رضا هلال المحرر بالاهرام .
وقد تم اجراء هذه المقابلات بجريدة الأهرام خلال شهر يوليو وأغسطس ١٩٩٨ .

[٣٥] مقابلة مع الاستاذ / فهمى هويدى – الاهرام – أغسطس ١٩٩٨ .

[٣٦] مقابلة مع الاستاذ / سلامة أحمد سلامة مدير تحرير الأهرام أغسطس ١٩٩٨ . والاستاذ / فهمى هويدى ، الاستاذ / زكريا نبيل .

[٣٧] مقابلة مع الدكتورة / ايناس طه ، أمين محمد أمين ، فهمى هويدى .

[٣٨] أنظر تقارير المنظمة العربية لحقوق الانسان حول التشريعات والممارسات الصحفية خلل فترة التسعينيات.

صورة الغرب
في
الصحافة المصرية

صور الغرب فى الصحافة المصرية

المجال البحثى للدراسة:

تحاول هذه الدراسة رصد صورة الغرب فى الصحافة المصرية فى فترة التسعينيات ، والغرب هنا يشير الى كتلة دول الشمال المتقدم صناعياً وتكنولوجياً والتى تشكل منظومة سياسية واقتصادية وثقافية شبه موحده ، ورغم أنها تضم عدداً من الدول التى تمثل مجموعات لغوية متباينه وخلفيات ثقافية متنوعه إلا أنها تتميز بامكانية إدراجها فى كيان وكتلة واحدة انطلاقاً من توحد المرجعية السياسية الليبرالية والاقتصاد الرأسمالى والتحالف الاستراتيجى سياسياً وعسكرياً ، ويضم الغرب كلا من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبى ذاته ككيان يضم دول أوروبا الغربية وتتصدرها الدول الأوروبية ذات الدور البارز مثل انجلترا وفرنسا وهذه الدول هى التى تضطلع بالأدوار الرئيسية فى تحديد مصائر الدول العربية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وحتى الوقت الراهن أى انها تقوم بدور الفاعل الرئيسى الذى ينسب إليه الصفات والأدوار فى الخطاب الإعلامى والصحفى المعاصر فى العالم العربى وتستهدف هذه الدراسة رصد وإستخلاص المفردات والعناصر التى تشكل صورة الغرب فى الصحافة المصرية . وذلك كما جاءت فى منظومة الصحف المصرية، عبر مختلف الصياغات والسياقات ، مع ابراز مدى الاتساق أو التباين الحادث فى تقديم عناصر وسمات صورة الغرب وفقاً لتنوع الانتماءات الحزبية ، والأيديولوجية التى تنطوى فى إطارها الصحافة المصرية المعاصرة الأمر الذى يؤثر على عملية إنتاج هذه الصحف للمواد الصحفية التى تطرح تصوراتها وتقييماتها لأدوار الغرب والصفات المنسوبه له فى إطار الشئون السياسية والثقافية المختلفة التى تعالجها هذه الصحف .

وفى إطار هذه الرؤية تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على صورة الغرب كما

تطرحها الصحف المصرية فى إطار الابعاد التالية :

أولاً: فى مجال الشئون السياسية المطروحة فى الصحف المصرية :

وذلك من خلال إختيار فترات زمنية متباينة شهدت أدوراً وفعاليات ومواقف للغرب إزاء قضايا العالم العربى ، ومن هنا كان الحرص على إختيار فترة أزمة تمثلت فى أزمة الخليج [٢ أغسطس ١٩٩٠ - ٢٨ فبراير ١٩٩١] وهى الفترة التى شهدت غزو العراق للكويت وما تلى ذلك من أحداث إضطلع فيها الغرب بأدوار رئيسية وحتى نهاية الأزمة ، والتى شهدت أيضاً كثافة انتاج ملحوظة فى مجال الخطاب الإعلامى المصرى بشأن تقييم أدوار ومواقف الغرب تجاه الأحداث ، وجاءت المعالجات الصحفية لصورة وأدوار الغرب فى هذا الصدد متباينه ومتنوعة نظراً لتنوع المنظومة الأيديولوجية الحزبية التى تحكم انتاج وتقييم الصحف لصورة الغرب فى هذه الفترة .

أما الفترة الثانية فهى تمثل مجالاً لمسار العلاقات العادية والأدوار غير الطارئة لدول الغرب فى أحداث المنطقة العربية ، أى فى إطار الأدوار الدائمة للغرب فى مجال أحداث وفعاليات عملية التسوية السلمية للصراع العربى الاسرائيلى ، وقد رأينا أن تمتد هذه الفترة لتشمل عامى ١٩٩٧ ، ١٩٩٨ وبطريقة العينه البنائيه أو ما إصطلح على تسميته فى الأدبيات البحثية الأسبوع الصناعى لإعداد الصحف الصادرة فى هذه الفترة ، والتى شهدت ما يمكن أن يوصف بالمسار العادى فى أدوار الغرب فى قضايا المنطقة ، دون حدوث أزمات حاده أو تدخلات وأدوار طارئة من جانب الغرب كما هو الحال فى أزمة الخليج .

ثانياً: على المستوى الثقافى:

تم إختيار قضية الاحتفال بمرور قرنين على العلاقات المصرية الفرنسية وما أثارته من جدل فى الخطاب الإعلامى المصرى ، حيث شهدت كثافة فى الانتاج الصحفى بشأنها بما يسمح برصد دقيق لعناصر صورة الغرب فى مجال القضايا الثقافية .

ثالثا: فى مجال صورة المرأة الغربية :

وما تمثله هذه الصورة المقدمة عبر مختلف الإصدارات الصحفية ومنها صحافة المرأة ذاتها من سمات متمايزة تتضمن إضافة هامة عن نوعية الصورة التى تطرحها الصحافة المصرية عن المرأة الغربية ونوع النماذج النسائية التى تعرضها هذه الصحف ، وطبيعة الأنشطة والأدوار التى تقوم بها المرأة الغربية وتحظى بأولوية إهتمام فى الصحافة المصرية .

وهكذا ومن خلال هذه الأبعاد الثلاثة التى تتضمن رصد صورة الغرب فى مجالات إهتمام متنوعة [سياسية - ثقافية - اجتماعية] يمكن التعرف والوقوف على طبيعة الصورة المقدمة عن الغرب فى الإعلام المصرى المقروء وتم هنا التركيز على الخريطة الصحفية بإعتبارها تمثل مجال التنوع الفكرى والأيديولوجى فى منظومة الإعلام المصرى بحكم صدورها عن فعاليات حزبية ، بعكس كل من الاذاعة والتليفزيون المحكومتين بوجهة النظر الرسمية بإعتبارهما أجهزة تخضع للإشراف والإدارة الحكومية المباشرة .

هذا وقد تم هذا الرصد والتحليل لصورة الغرب دون إغفال السياقات والشروط الموضوعية المحيطة من خارج نطاق المنظومة الصحفية ذاتها والتى ساعدت على تشكيل صورة الغرب فى هذ المجال أو ذاك بتلك الطريقة أو بسواها .

موقع الدراسة فى إطار الدراسات السابقة :

قدمت الأدبيات الإعلامية المصرية فى هذا الصدد مجموعة محدودة من الدراسات فى فترات زمنية سابقة ، عنى بعضها برصد صورة الغرب عموماً أو إحدى الدول الغربية خاصة الولايات المتحدة وفرنسا فى الإعلام المصرى ، كما ضمت هذه الأدبيات إشارات ونتائج جاءت فى ثنايا دراسات عنت برصد قضايا ذات صلة كمحدد فرعى ضمن الدراسة الشاملة لقضايا الشئون الخارجية .وامتد

هذا الاهتمام برصد صورة الغرب ليشمل فترات زمنية ، تبدأ منذ عام ١٩٤٤ فى إطار رصد معالجات الصحافة المصرية لقضايا السياسة الخارجية فى الفترة من ٤٤ - ١٩٥٤ [١] وخلصت الدراسة - فيما يخص صورة الغرب - بأن جريدة أخبار اليوم ومنذ بدء ظهورها كانت أداة أساسية لتحسين صورة الولايات المتحدة وابراز الأدوار الإيجابية لها وتبنى توجهاتها ومواقفها إزاء معالجة قضايا السياسة الخارجية المثارة فى هذه الفترة .

وامتد حيز الإهتمام متضمنا دراسة كاملة ترصد صورة الولايات المتحدة الأمريكية كما قدمتها الصحافة المصرية فى حقبتى الستينيات والسبعينيات ، بإعتبار ما تميزت به كل حقبة منهما من إختلاف فى توجهات النظام السياسى المصرى إزاء أدوار وسياسات الولايات المتحدة ، وتأثير ذلك فى مجال صورة الولايات المتحدة فى الصحف ، وخلصت الدراسة إلى ارتباط سمات ونوع هذه الصورة بتصور صانع القرار التنفيذى وموقفه وتقييمه لأدوار الولايات المتحدة ، بحيث جاءت معالجات الصحف القومية محكومة بتأثير تبعيتها لنفوذ السلطة التنفيذية [٢] .

وتتواصل الدراسات السابقة فى هذا الصدد معنية برصد صورة الغرب حيث خلصت دراسة ثالثة فى مجال رصد صورة الولايات المتحدة الأمريكية فى فترة الثمانينيات [٨٠ - ١٩٨٩] إلى حرص الممارسة الصحفية فى مصر خلال هذه الفترة على صناعة صورة إيجابية ناصعة البياض للولايات المتحدة الأمريكية ، من خلال نشر إسهامات صحفية تقوم فى جوهرها على الترويج المستمر لأفكار تعنى بتبرير سياسات الولايات المتحدة ، وبما يكشف عن معالم السياسة التحريرية التى تقوم على الإلتزام بتجميل صورة الولايات المتحدة فى مختلف الظروف والأحوال [٣].

وفى هذا الصدد أيضاً سعت دراسة أخرى إلى رصد عناصر وسمات الصورة المقدمة عن فرنسا والفرنسيين فى جريدة الأهرام المصرية عام ١٩٨٧ وذلك عبر تحليل مضمون الأخبار والمقالات والمواد التحريرية المنشورة طوال عام ١٩٨٧ [٤] .

كذلك اهتمت بعض الدراسات برصد تأثير نمط تدفق الأفلام الأجنبية فى السينما والتليفزيون ، من خلال رصد وتحليل كم ونوع التدفق وطبيعة القيم والمضامين المقدمة ، وخلصت إلى أن النسبة الأكبر من الأفلام المستوردة فى مصر تأتى من دول الغرب خاصة الولايات المتحدة فى تأكيد على تأثير طبيعة ونوع العلاقات السياسية على نمط التدفق الإعلامى فى هذا الصدد ، وخاصة وأن فترة الدراسة [السبعينيات] قد شهدت إرتباطاً كبيراً بالولايات المتحدة وإنعزالاً عن الكتلة الشرقية وقتئذ ، فى تأكيد على تأثير المتغير السياسى على العمليات الإعلامية المختلفة ، وبما يتضمنه ذلك نوع الأفكار والقيم التى بثها عبر هذه الأفلام [٥] .

إستكمالاً للدراسة السابقة وفى ذات الفترة الزمنية يتم قياس نمط تدفق البرامج الأجنبية فى التليفزيون المصرى من تحليل مضمونها، وتم التوصل إلى أن نوع التدفق الوارد من دولة ما يعكس صلة سياسية وعلاقات اقتصادية وثقافية أوثق [٦] .

وهكذا تنطلق هذه الدراسة معتمدة على هذا التراث الاكاديمى محاولة أستشراف مجالات أحدث وأكثر اتساعاً وشمولاً فى مجال صورة الغرب . كما تقدمها منظومة الإعلام المصرى المقروء ، والإضافة الهامة لهذه الدراسة أنها تدرس الصورة كما تقدمها المنظومة الصحفية فى تنوع توجهاتها وأيديولوجياتها السياسية ، وهى فى هذا الصدد لاتقف عند حدود رصد صورة الغرب كما تقدمها الصحف القومية الموالية للحكومة بل أنها تتخطى حدود الجزء إلى شمول ورحابة وعمق الصحافة المصرية بشقيها القومى والحزبى فى تنوعها وتبايناتها ومدلولاتها الثرية ، حيث تعنى برصد صورة الغرب فى الخطاب الإعلامى المصرى المعاصر فى مختلف وسائله وتعبيراته الصحفية .

بل أن هذه الدراسة لا تتعامل مع المتغير الإعلامى فى مجال تقديم صورة الغرب بمعزل عن الشروط الموضوعية والسياقات السياسية والثقافية المحيطة ذات الإرتباط والتأثير على أداء المنظومة الإعلامية فى هذا الصدد ..

تساؤلات الدراسة وفروضها:

تنطلق هذه الدراسة من مجموعة تساؤلات وفروض تم إستقائها من الدراسات السابقة سعياً لتحقيق الهدف الرئيسى الذى تتطلع هذه الدراسة إلى انجازة وتدور تساؤلات الدراسة حول التعرف على عناصر خصائص صورة الغرب كما تقدمها وسائل الإعلام المصرية ، والعوامل والمتغيرات التى أثرت فى تكوين وتشكيل صورة الغرب على هذا النحو سواء من داخل المنظومة الصحفية ذاتها أو من خارجها ، أى مدى تأثر عملية طرح هذه الصورة الإعلامية للغرب بالشروط والمتغيرات السياسية والثقافية المحيطة والمتعلقة بموقف الصحافة المصرية من الغرب وسياساته ازاء العالم العربى ككل .

فروض الدراسة :

لقد تم وضع عدد من الفروض المتكاملة فى هذا الصدد والتى تعبر عن المشكلة الدراسة :

١ - إن صورة الغرب السياسية فى الصحافة المصرية [أى الأدوار والصفات المنسوبة له فى المجال السياسى] هى نتاج وإنعكاس لطبيعة أدوار ومواقف الغرب من القضايا العربية .

٢ - إن الولايات المتحدة الأمريكية تستحوذ على المعالجات المكثفة فى مختلف الصحف المصرية فى مجال الصورة المقدمة عن الغرب فى المجال السياسى ويعزى ذلك إلى كونها الفاعل الغربى الأكبر وصاحبه الأدوار المستمرة والأكثر خطورة إزاء قضايا ومشكلات المنطقة العربية .

٣ - إن الصورة السياسية للغرب وبالتركيز على الولايات المتحدة الأمريكية هى صورة سلبية تدين أدوارها ومواقفها إزاء قضايا المنطقة العربية ، وهذه الصورة تمثل نمط الأداء الإعلامى الدائم لمنظومة الصحافة المصرية على إختلافها ، سواء

فى فترات الأزمات أو الفترات العادية ، فى حين أن صورة باقى دول الغرب [الاتحاد الأوروبى - انجلترا - فرنسا] تعتمد على طبيعة الموقف المحدد وما يقومون به من أدوار تجاه قضايا المنطقة .

٤ - إن الصورة المقدمة عن الغرب فى مجال الشئون الثقافية فى الصحافة المصرية تشهد تبايناً ملحوظاً يتعلق بايجابياتها أو سلبيتها من جانب المنظومة الصحفية المصرية وذلك عكس الشئون السياسية .

٥ - إن صورة المرأة الغربية كما تقدمها الصحف المصرية تعكس تبعية واضحة لاجندة اهتمامات وسائل الإعلام الغربية من حيث النزوع إلى تقديم نماذج نسائية وعرض قضايا واهتمامات للمرأة الغربية دون مراعاة لمنظومة القيم الثقافية وطبيعة الظروف الموضوعية الخاصة بواقع المرأة فى مصر ، كما أنها لاتركز على قيم العمل والإبداع لدى المرأة العربية .

الصورة السياسية للغرب كما قدمها الخطاب الإعلامى المصرى :

أولاً- صورة الغرب فى فترات الأزمة :

صورة الغرب كما قدمها الخطاب الصحفى المصرى خلال أزمة الخليج [١٩٩١/٩٠] . فى مختلف عناصر المنظومة الصحفية والتى تشمل :

الصحف القومية [الأهرام] .

الصحف الحزبية [الأهالى - الشعب]

من خلال رصد وتحليل المعالجات التى قدمتها منظومة الصحف المصرية بتنوعها فى فترة أزمة الخليج ، تبين إنفراد الفاعل الخاص بالولايات المتحدة الأمريكية بالصفات والأدوار المنسوبة للغرب فى الأزمة ، وذلك نظراً للدور الأمريكى الحاسم والقائد فى الأزمة ، ويعالج البحث التصور الذى تقدمه منظومة الصحافة

المصرية القومية والحزبية ، والتى تمثل مجمل تباينات الخريطة الصحفية المصرية بشأن الولايات المتحدة الأمريكية زعيمة المعسكر الغربى .

ويتم دراسة هذا التصور فى ظل أزمة الخليج بداية من الغزو العراقى للكويت [٢ أغسطس ١٩٩٠] ، وحتى نهاية الأزمة بإنسحاب العراق من الكويت فى [٢٨ فبراير ١٩٩١] ، وذلك لإن عمق التدخل والدور الأمريكى فى هذه الأزمة أفسح المجال لإنتاج تصورات مكثفة بشأن الولايات المتحدة الأمريكية فى المنظومة الصحفية المصرية تأثرت بالايديولوچيات الحاكمة لمواقف الصحف فى تقييمها للتصور الخاص بالولايات المتحدة .

ويقوم الرصد فى هذا الصدد على تحليل الصفات والأدوار المنسوبة للولايات المتحدة فى الخطاب الصحفى المصرى وتقييم هذه الصفات والأدوار وتركيبها معاً لتكوين عناصر صورة الولايات المتحدة الأمريكية فى الخطاب الصحفى المصرى . وقد روعى ان تضم عينة الصحف مجمل التوجات والمرجعيات المتمايزة فى النظام الصحفى المصرى .

وبناء على ذلك إستقر الرأى على إختيار :

١ – صحيفة الأهرام القومية والتى تتبع فى سياساتها التحريرية توجهات السلطة الحاكمه عبر آليات السيطرة التنظيمية .

٢ – صحفية الأهالى الصادرة عن حزب التجمع اليسارى المعارض .

٣ – صحيفة الشعب الصادرة عن حزب العمل ذى الصبغة الدينية الاسلامية المعارض .

وقد تم الرصد عبر الكشف عن عناصر صورة الولايات المتحدة فى كل صحيفة من خلال الصفات والأدوار المنسوبة لها ويلاحظ ان كل صحيفة قدمت تصورها عن الولايات المتحدة فى إطار يضم الولايات المتحدة [أمريكا] كدولة ونظام سياسى .

-جـــــريـــــدةالاهــــــرام:

الواقع أن التصور الصحفي للولايات المتحدة فى الكتابات الخـاصـة بأزمة الخليج شهد تباينات دالة وذات أهمية ، ولما كان الخطاب الصحفي قد قدم مساندة وتأييدا شاملا للموقف المصرى الرسمى ، وأدان بصورة شاملة العراق والرئيس العراقى ، كان من المتصور أن يكون الموقف ممتداً وشاملاً لمعسكر المتحالفين مع الدور الرسمى فى أزمة الخليج بالتأييد والدعم ، وقد صدق هذا الموقف فيما يتعلق بالدول العربية حيث كان التصور الخاص بكل منها فى جريده الأهرام يأتى متسقاً مع التصور الرسمى لهذه الدولة ، لكن هذا لم ينطبق على الولايات المتحدة الأمريكية زعيمة التحالف الدولى ، وسبب ذلك ، يعود كما يرى الباحث إلى تراث من الممارسات الأمريكية والمواقف المناهضة للقضايا العربية العادلة ، بل أنه وفى أثناء الأزمة وقعت مذبحة الأقصى وقد جاء هذا ليؤثر فى النهاية على الأدوار المنسوبة لأمريكا فى الخطاب الصحفى **لجريدة الاهرام** ، بما يحمل تشكيكا فى دوافع ومبررات مواقفها فى أزمة الخليج ، وتم رصد خمس صفات إيجابية قدمها خطاب **جريدة الاهرام** ، وذلك فى مقابل صفة سلبية واحدة ، وقدم الصفة السلبية **انيس منصور** " أمريكا ذات الوجهين والثلاثة وجوه فى السياسية " [٧] ، وهو أيضا الذى يقدم الصفات الإيجابية الخمس حيث يقدم ما نسميه إبهار القوة الأمريكية فهى "قادرة وحدها على شل القوات العراقية فى ساعة واحدة براً وبحراً وجواً وتضليل الصواريخ وإعادتها لضرب القواعد التى خرجت منها ، .... ويمكنها إطفاء النار فى آبار البترول بطرق حديثه جدا فى مدى أسبوع واحد أيا كان حجم النيران ومساحتها " [٨] ، ينتقل بنا أنيس منصور إلى العوالم الخيالية أمريكية الصنع " لدى الأمريكان عجائب الهليوكوبتر التى تضرب الدبابات والطائرات ولديهم القنابل التى تقتل الأفراد ولا تحطم الأسلحة ، والتى تحطم الأسلحة ولا تقتل الأفراد، والصواريخ التى تطارد الطائرات فتقتل الطيار وتترك الطائرة تهوى وحدها " [٩] . والواقع أن

خطورة هذه الإطروحات هى ما تعنيه وتنقله للقارئ من شعور بالعجز والتدنى الشديد أمام القوة الأمريكية الجبارة وأن محاولة الوقوف ضد أمريكا يحتاج اعجازاً فوق طاقة البشر . والواقع أن تناقضات هذا الكاتب وتنقلاته الموقفية ، لا تقتصر على مارصدناه من أوصاف ينسبها للولايات المتحدة ، بل تتضمن الادوار التى يعزوها لها فى خطابه عن الأزمة ، ففى حين ينسب لها أدوارا سلبية " الإحتمال الأكبر أنها لن تترك الأراضى بعد انتهاء الحرب فهى لم تفعل ذلك فى ألمانيا واليابان وكوريا " [١٠] . وأنها " فبركت عدواً قوياً جداً لكى تواجهه بأعظم وأقوى ما اخترع الانسان من أسلحة الدمار الشامل " [١١] ، فإنه على الجانب الآخر يقدم لها أدوارا إيجابية "من المؤكد أن الأمريكان لن ينزعوا علم الأمم المتحدة من مقدمة القوات متعددة الجنسية " [١٢] ، " أمريكا استنفدت كل الوسائل السلمية لإقناع صدام بالإنسحاب [١٣] ، " لم تختر الحرب لقد فرضت عليها " [١٤] . وهكذا يراهن أنيس منصور بمواقفه المتناقضة على ذاكرة القارئ وانها سريعة النسيان ولن تلتفت لتحولاته الفجائية والحادة .

أما بخصوص عدد الأدوار السلبية التى قدمتها الأهرام عن الولايات المتحدة فقد بلغت فى مجموعها [٤٢] دورا سلبياً ، قدم أعلى نسبة منها الكاتب **صلاح الدين حافظ** ، حيث قدم [١١] دورا سلبياً منسوباً للولايات المتحدة فى كتاباته المختلفة طوال مراحل الأزمة والتى اتسمت بإتساقها وتوحدها الفكرى ، ومنذ بداية الأزمة وتوجه الحشود الأجنبية إلى الخليج يؤكد أن أمريكا " انتهزت الفرصة لاعادة القبض بيد من حديد على منابع النفط فى هذه المنطقة الحساسه التى لديها ٤٠٪ من الاحتياطى العالمى " ، ويستمر فى طرح الدوافع الأمريكية وينسب لها الأدوار السلبية " تهدف من الحرب تدمير القوى والقدرة العراقية تدميراً شاملاً يتجاوز الهدف الأصلى بتحرير الكويت " وأن أمريكا " تهدف من وراء هذه الأزمة إلى القيام بحملة تأديب وتهذيب تاريخية ضد أولئك العرب الذين ملأوا الدنيا

ضجيجاً مرة بإسم الوجدة القومية ومرة باسم الاسلام " ، كما قدم الكاتب **سلامه أحمد سلامه** [*] عده أدوار سلبية منسوبة للولايات المتحدة أيضا يطرح فيها الدور الامريكى فى إشعال الأزمة " نجحت من قبل فى دفع صدام إلى الحرب مع إيران حين كان من مصلحتها أن يتم ضرب نظام الخمينى، فماذا يمنعها من أن تستخدم نفس الأسلوب فى اتجاه آخر ولخدمة أهداف أخرى"، ويقدم الأدوار السلبية الأخرى عدد من الكتاب هم : **أنيس منصور ، رجب البنا ، د .اسماعيل صبرى عبدالله ، احسان بكر ، د. محمد السيد سعيد ، د. مصطفى محمود ، د . ليلى تكلا ، د . ممدوح البلتاجى** ، الأمر الذى يعنى أن ادانة الدور الأمريكى فى الأزمة كان هو المسار المسيطر على التصور الخاص بالدور الأمريكى فى خطاب **جريدة الأهرام** ولقى مشاركة جماعية من كتاب الصحيفة .

أما بخصوص الأدوار الإيجابية وعددها ١٠ أدوار قدمها الخطاب الصحفى **لجريدة الأهرام** بنسبة [١٩٪] من مجموع الأدوار المنسوبة للولايات المتحدة فى خطاب **جريدة الأهرام** فقد جاءت لتؤكد على حسن النية الأمريكى المتوافر من وراء تدخلها فى الخليج فيقدم **صلاح منتصر** طرحه القائل : " أمريكا جاءت دفاعا عن إستقلال الكويت وأمن السعودية وليس لكسر محاولات العراق لزيادة أسعار البترول" [١٥] ، ويدافع **نجيب محفوظ** عن الدور الأمريكى " القوات الامريكية ذهبت للسعودية للدفاع لا إلى الهجوم" [١٦] .

ويدافع **أحمد بهجت** عن الموقف الأمريكى الشرعى " قبلت تدخل هيئة الأمم المتحدة وحرصت على أن تستظل بالشرعية الدولية " [١٧] ، ويقدم **مرسى عطا الله** أدوارا تظهر الحرص الأمريكى على الحل السلمى لأزمة الخليج " لم تشأ أن تضيع أية فرصة ممكنة لتجنب خيار الحرب ، رغم حصولها على ضوء أحمر يتيح

[*] سلامة أحمد سلامة من قريب – جريدة الاهرام ١٩٩٠/٨/٢٠ .

إستخدام القوة بعد إنتهاء مهلة مجلس الأمن " [١٨] ، وتقدم إفتتاحيات الأهرام المعبرة عن سياساتها التحريرية دورين إيجابيين يفندان أية مقولات معارضة عن الأطماع الأمريكية " فهى أكدت أنها ستمتثل لكل ما تطلبه السعودية من سحب القوات بعد إنتهاء الأزمة " [١٩] ، وفى مواجهة من يتهم الولايات المتحدة بقصف الأهداف المدنية العراقية ، تقدم افتتاحية الأهرام ما ينفى ذلك " القيادة الأمريكية كما يشير بيانها كان بوسعها أن تنهى الحرب فى يومين ، أو على الأقل توجهها فى الطريق المرسوم لولا حرصها على تجنب ضرب الأهداف المدنية بطريقة عشوائية "[٢٠] .

وهكذا يقدم خطاب الأهرام الأدوار السلبية فى مواجهة الأدوار الايجابية الخاصة بالولايات المتحدة ، وتكون هى القوة الفاعلة الوحيدة الذى شهد التصور بشأنها تناقضاً ، بل غلبة الأدوار السلبية على الأدوار الايجابية ، والواقع أن هذا الأمر يمكن تبريره بالنظر لتنوع وإختلاف الكتاب الذين قدموا ادواراً سلبية عن الولايات المتحدة ، خاصة إذا مارصدنا المواقف الأمريكية المعادية للقضايا العربية ، وإنحيازها السافر إلى جانب اسرائيل فى شأن القضية الفلسطينية ، يضاف لذلك مبادرتها السريعة الى التدخل الفورى فى الخليج ، رغم أن القضيتين تشملان وجود إحتلال ، كما أن الموقف الأمريكى المتردد فى إدانة اسرائيل بعد قيامها بمذبحة المسجد الأقصى – وقد حدث فى وقت تزامن مع أزمة الخليج دفع بالشك إلى نفوس الكتاب عن الدور الأمريكى فى الخليج .

التصور الخاص بالولايات المتحدة الأمريكية
فى الخطاب الصحفى لجريدة الأهالى

فى مجال رصد تصور صحيفة الأهالى للولايات المتحدة الأمريكية ودورها فى الأزمة ، يجدر بنا التنوية إلى مرجعية أساسية يستند إليها الخطاب وتمثل أحد الثوابت فى طرحه بشأن السياسات الخارجية ، وهى خاصة بوضع الولايات المتحدة " كعدو " فهى الدولة الإمبريالية الجديدة وهى التى وقفت ضد المشروع الناصرى القومى ، وساندت وتحالفت مع العدو الرئيسى والأكبر للعرب [اسرائيل] فى تحطيم القوة العربية وإحتلال أراضى دولة فلسطين وساندت نزعاتها الإستيطانية ، وهى التى تقف فى وجه قوى التحرر العربية .

وقد جاءت أزمة الخليج من وجهة نظر هذا الخطاب لتدعم ذلك التصور مطلق السلبية وهو تصور يرفض بصورة مطلقة أى تواجد أمريكى فى المنطقة مفنداً لأية دعاوى يتستر خلفها هذا الوجود ، مذكراً بدورها المعادى للقضايا العربية العادلة وفى مناصرة اسرائيل وسوابقها فى إنتهاك الشرعية الدولية فى كل مكان ، ومؤكداً أنه لا يدفعها إلى المنطقة سوى مصالحها الخاصة ورغبتها فى تحطيم القوة العراقية وتقوية اسرائيل وأيضا طرح هذا الخطاب الرافض والمعارض للدور الامريكى فى الأزمة مؤكدة أنها هى التى دبرت واستدرجت العراق لغزو الكويت ، وبما يشكل خطاب إدانة شامل ومطلق للولايات المتحدة فى الأزمة .

- جريدة الأهالى :

هذا وقد قدم الخطاب الصحفى لجريدة الأهالى[٨٤]دورا سلبياً منسوباً للولايات المتحدة دون أية دور إيجابى وذلك بالإضافة إلى[١٢]صفة سلبية ، وبما يشكل تصوراً مطلق السلبية ورافضا للولايات المتحدة الأمريكية وتدخلها فى أزمة الخليج .

وقد جاءت هذه الصفات السلبية [لتصف] أمريكا بأنها " الشيطان " خارج على القانون .. صاحب سوابق ... مسجل خطر فى قوائم الأمم المتحدة ... ويصفها د .رفعت السعيد بأنها "ذئب مرتدى ثياب القديس"ويرى سيد العشرى أنها " الامبريالية .الأمريكية " ويصفها الفريق أول محمد فوزى بأنها معتد أكبر معتاد الاجرام " وهى " الاستعمار الأمريكى " على حد وصف د. نوال السعداوى ، وهى "العدو الأمريكى" على حد وصف د.رفعت السعيد وقواتها كما يرى د . رفعت سيد أحمد هى " قوات الشيطان الأمريكى " ويصفها د . أنور عبد الملك بأنها " دولة عدوانية " ، وهى كلها صفات تصب فى خانة تشويه الصورة[٢١] .

وقد تم رصد الأدوار السلبية المنسوبة للولايات المتحدة [٨٤] دورا بنسبة ١٠٠٪ أدواراً مطلقة السلبية فى إطار أربعة محاور تتكامل لتقديم تشكيكا فى دوافع التواجد الأمريكى العسكرى المعلنة ورفضاً مطلقاً له ورفض أى تحالف معه :

– المحور الأول وينسب لها تدبير الأزمة والتخطيط لها حتى تتاح لها فرصة التدخل فهى كما يرى د . حسن نافعه " لعبت دورا رئيسيا فى استدراج العراق لغزو الكويت " وهى التى " دبرت كل أحداث الخليج لتسيطر على المنطقة حيث يوجد بها ٤٠٪ من إحتياطى البترول العالمى " وهى " كانت تعد خطة منذ فترة تتمثل فى ضرورة توحيد دويلات الخليج وضرورة إحداث تغيير فى المنطقة يستتبعه قدومها للأزمة بقواتها العسكرية " ويستمر هذا الطرح الذى يؤكد الدور الأمريكى فى التدبير للأزمة حيث ترى . ملك عبد العزيز أن " أمريكا هى التى أعطت الضوء الأخضر لصدام حسين لتوقعه فى الفخ ويقوم بمغامرته المشئومة " [٢٢] .

– أما المحور الثانى فى إطار الأدوار السلبية فيشمل نفى أية دعاوى شرعية تستخدمها أمريكا لتبرير تدخلها فى الأزمة مع الإشارة لسوابقها فى إنتهاك

الشرعية فهى " لا يعنيها فى كثير أو قليل حرية شعب الكويت بل تستهدف شيئاً واحداً هو تدمير قوة عربية فعالة هو العراق وإعادة رسم خريطة الوطن العربى وتهذيبه لكى لا يفكر أحد فى رفع رأسه مرة أخرى " وان " الأمريكان لم يأتوا لحماية أمراء النفط ، ولكن للإستيلاء على منابع النفط وإحتلالها إلى أبد الأبدين " ، ويستمر هذا الخطاب والذى تمثل الأدوار المنسوبة فيه للولايات المتحدة أكثر الأدوار السلبية كثافة حيث يرى محمد سيد أحمد ان " القوات الأمريكية لم تجئ لحماية مقررات الشرعية الدولية ، بل جاءت قبل ذلك لحماية أمن البترول وأمن الاقتصاد الرأسمالى العالمى " [٢٣].

ويؤكد ذلك د . ميلاد حنا " فأمريكا لم تكن تتحرك لولا أن بترول السعودية هو عصب حياتها وتحركها تحت الشرعية الدولية من أجل مصالحها فهى " غزت فيتنام وجرينادا وبنما وقبضت على زعيمها ووضعته فى السجن " وهى " اعتدت جهاراً ونهاراً على دولة صغيرة هى أمريكا الوسطى والتهمتها فى ساعات وغيرت نظم الحكم فيها بالقوة وعلى هواها " [٢٤].

– أما المحور الثالث الذى يأتى فى إطاره الادوار السلبية المنسوبة للعراق فهو يتعلق بدورها فى مناهضة القضايا العربية العادلة ودعمها غير المحدود ومساندتها المادية والمعنوية لطيفتها اسرائيل العدو الأكبر للعرب . وتأتى هذه الأدوار لتقدم تصورا لأمريكا " العدو " للعرب والمناصرة لاعدائهم فهى " التى قدمت تأييدا غير مشروط لاسرائيل " . وأمريكا أيضا هى التى " ساعدت اسرائيل على إحتلال أراضى فلسطين وسيناء والجولان وجنوب لبنان وعززتها بالمال والدعم السياسى واستخدمت حق الفيتو لمنع إدانته " وهى أيضا " تواجه إستيلاء اسرائيل على أراضى الغير باللين ، بينما تلجأ إلى الحرب فى مواجهة العراق " ، " وهى فى استراتيجيتها تقوم على منع أى قوة إقليمية فيما عدا اسرائيل " [٢٥].

أما المحور الرابع الذى تدور بشأنه الادوار السلبية المنسوبة للولايات المتحدة فهى تتعلق بالأدوار التى ينسبها لها خطاب جريدة الأهالى من القضاء على القوة العسكرية العراقية أحد روافد القوة العربية وذلك لتدعيم سيطرتها على المنطقة وتقوية المركز الاقليمى لحليفتها اسرائيل . حيث يرى د . نعمان جمعه " أنها تستهدف إضعاف أكبر ثلاثة جيوش فى المنطقة " وأن " التحرك الأمريكى لا يترك للعراق فرصة للتراجع وينتهز الفرصة للقضاء على أقوى جيش فى المطقة العربية يمكن أن يهدد مصالحها " وهى تهدف إلى " السيطرة على مناطق البترول وتوجيه ضربة قاصمة للعراق تمنع تحوله لدولة اقليمية كبرى تهدد الهيمنة الاسرائيلية " وهى تهدف " منذ بدأت الحرب إلى تدمير العراق اقتصاديا وعسكريا ثم التدخل بغلظة فى الشئون الداخلية له لاسقاط نظام الحكم " [٢٦].

وهكذا تتكامل هذه المحاور الأربعة لتقدم تصوراً مطلق السلبية وشديد المعارضة والرفض للدور الامريكى فى أزمة الخليج .

- جريدة الشعب :

التصور الخاص بالولايات المتحدة الأمريكية فى خطاب جريدة الشعب :

يأتى التصور المقدم فى كتابات جريدة الشعب عن الولايات المتحدة سواء على مستوى الصفات أو الأدوار المنسوبة لها ، ليشمل تأكيداً متزايداً على المناهضة المطلقة لها و عداء يجد مرتكزاته فى سوابق تاريخية ممتدة للسياسات الأمريكية فى مناهضة القضايا العربية العادلة ، حيث يتم استدعاء هذا المخزون من تراث الممارسات الأمريكية وبعثه ثانية فى أزمة الخليج لتأكيد التصور السلبى عن الولايات المتحدة ، وهو توجه ينحو إلى تفنيد أطروحات الخطاب الرسمى للسلطة المصرية المؤكد على الأدوار الايجابية للولايات المتحدة فى الأزمة .

وقد تم رصد [٤٧] صفة للولايات المتحدة طوال مراحل الأزمة ، وكلها صفات سلبية مطلقة . وتتنوع الصفات السلبية المنسوبة للولايات المتحدة فهى " الشيطان الأكبر ، شيطان هذا العصر، الباغية ، عدو الأمة ،أكبر مجرم فى التاريخ المعاصر ، قوة كافرة ملحدة ، زارعة العدو الصهيونى فى بلادنا . دولة الاستكبار العالمى " وجنودهم هم " الغزاة ، الكافرون ، أعداء الإسلام ، المتكبرون ، أعداؤنا ، الصليبيون ، الصليبيون الجدد " وشعبها " لا يفهم معنى العدالة ، أحد الأعداء لنهضتنا الإسلامية .... " ، ويلاحظ فى هذه الصفات ميل كبير لترديد الصفات التى أطلقها الخطاب الرسمى العراقى وإعادة إنتاجها نصياً [٢٧].

أما الأدوار المنسوبة للولايات المتحدة فهى [١٣١] دوراً وكلها أدوار مطلقة السلبية وهى متنوعة وتشترك فى ادانة الأدوار الأمريكية فى الأزمة .

ففى مواجهة الأطروحات المؤيدة للتواجد الأمريكى فى الخليج وتحت شعار تنفيذ مبادئ الشرعية الدولية ، يقدم خطاب جريدة الشعب ما ينفى شرعية هذا الدور الأمريكى ويؤكد على سوابقها فى إنتهاك الشرعية فهى " غزت بنما وقبضت على رئيسها دون احترام للقوانين الدولية " ، كما أنها " إستخدمت أسلحة كيماوية ضد الفيتناميين ، وقتلت منهم ما يزيد على مليونين ، وطاوعها قلبها على إلقاء قنبلة ذرية على أعدائها فى هيروشيما ونجازاكى " ويتم التاكيد على أن أمريكا تستخدم شعار الشرعية فقط فى مواجهة الدول العربية بينما يختفى فى مواجهة خرق اسرائيل لها فهى " داست على حقوق الشعب الفلسطينى على مدار ٤٠ عاماً كاملة " ، كما أنها " لا تتوانى عن إستخدام الفيتو فى وجه أى قرار يدين اسرائيل من مجلس الأمن فى إعتدائها الوحشى على الفلسطينيين " ، كما أنها " تستعمل الأزمة لتثبت وجودها ولإستنزاف ثروات المنطقة وحماية اسرائيل والحفاظ على تفوقها التقنى والعسكرى على العرب مجتمعين " ، كما أن " أمريكا تخطط للسيطرة على المنطقة الإسلامية ، ومنع دولها من تجاوز الخطوط المرسومة لها فى القوة والتصنيع خاصة الحربى " .

ثانياً : صورة الغرب فى فترات مسار العلاقات العادية خلال عامى ١٩٩٧-١٩٩٨:

-جريدة الأهرام:

ركزت الصورة السياسية المقدمة عن الغرب فى جريدة الأهرام على فاعلين رئيسيين ، أحدهما الولايات المتحدة الأمريكية التى حظت بالكثافة الأكبر فى مجال الأدوار والصفات المنسوبة لها ، أما الفاعل الثانى فقد تمثل فى الاتحاد الأوروبى ككيان حاول القيام بدور فعال فى قضايا العالم العربى خلال هذه الفترة ، وإن حظى الاتحاد الأوروبى بكثافة محدودة فى مجال الأدوار والصفات المنسوبة له ، وذلك على النحو التالى :

أولاً: صورة الولايات المتحدة فى خطاب جريدة الأهرام:

انطلاقاً من انتماء الأهرام لمنظومة الصحف القومية التى تحرص فى معالجاتها للقضايا المحلية والعربية على الالتزام بتوجهات ومواقف القيادة السياسية المصرية ونظراً للأدوار غير العادلة والمواقف المنحازة لاسرائيل على طول الخط التى تتخذها الولايات المتحدة بشأن القضايا العربية والتى شهدت أيضاً نقداً لها فى الخطاب السياسى المصرى الرسمى خلال هذه الفترة لذلك جاء خطاب جريدة الأهرام ليقدم إدانة شاملة لمواقف وأدوار الولايات المتحدة .

وقد تجسد ذلك فى المحاور التالية :-

المحور الأول :

إتهام الولايات المتحدة بإتخاذ مواقف عدائية تجاه القضايا العربية ، والتحيز التام للسياسات الاسرائيلية وقد برز ذلك لدى معظم كتاب الرأى بالأهرام . إذ يرى

سلامه أحمد سلامه ان الولايات المتحدة " تنصرف إلى الدفاع عن السياسات الاسرائيلية فى مجلس الأمن وفى الجمعية العامة للأمم المتحدة وفى الضغط على الفلسطينيين لإجبارهم على إستئناف التعاون الأمنى مع السلطات الاسرائيلية [٢٨]، كما يرى د . برهان غليون فى مقاله بجريدة الأهرام "أن الإدارة الأمريكية إستخدمت حق الفيتو ضد أى قرار يردع اسرائيل بما يؤكد أن أمريكا تؤيد وتشجع علناً أكثر الحكومات تطرفاً فى اسرائيل على متابعة سياسة الاستيطان " [٢٩] وأن " الأمريكيين متحاملون على العرب وكارهون لهم ويقدمون صورة نمطية لبلاد العرب على أنهم برابرة وسفاحون ويحبون النساء " [٣٠] . كذلك يرى عاطف الغمرى أن " الكونجرس الأمريكى يتحيز لاسرائيل ويؤكد نفس مصطلحاتها . مثل أن مصر تمارس حرباً باردة مع إسرائيل [٣١] ، وأن الولايات المتحدة " اتخذت منذ البداية موقفاً غير منصف ومتحيز وقدمت دعماً عسكرياً وسياسياً واستراتيجياً لاسرائيل " [٣٢] ، وأن الولايات المتحدة الأمريكية " تؤكد على أن القدس الشرقية ليست أرضاً محتلة بعكس نص القرار رقم ٢٤٢ نتاج لتأثير اللوبى الصهيونى " [٣٣].

المحور الثانى :

أما المحور الثانى ويتناول صورة الولايات المتحدة كما قدمتها جريدة الأهرام فقد جاء ليدينها عبر تقديم أدوار وصفات تؤكد على محاولتها الهيمنة على النظام العالمى وتوجيه الشئون الدولية لصالحها فهى " تدخلت لحل الأزمة بين الكوريتين رغبة منها فى احتكار السوق الكورى [٣٤]، وأن الولايات المتحدة الأمريكية " تسعى لتهيمن على العالم منذ إنهيار الاتحاد السوفيتى " [٣٥]وهى فى هذا الإطار أيضاً " دولة متكبرة تريد أن تكون هى الأولى دائماً ولا تتمنى للإتحاد الأوروبى النجاح لانه يهدد ولو جزئياً نفوذها فى منطقة الشرق الأوسط " [٣٦] ، وتستمر الإدانة لتؤكد معاداة أمريكا للإسلام " فهى تعادى الإسلام وتصوره كما لو كان دين همجى ووحشى " [٣٧].

المحـــور الثالث:

أمـا المحـور الثـالث فـهـو يركـز عبـر الأوصـاف والأدوار على إدانة الأدوار الأمريكية فى الخليج العربى إذ يشير إلى أن الولايات المتحدة " تثبت عينها على منطقة الخليج من أجل إحكام قبضتها على منطقة الخليج وضمان تدفق البترول إلى مراكز إستهلاكه الغربية بالمعدلات المطلوبة وأسعار مناسبة " [٣٨] ، وأن وزير الدفا ع الأمريكى قال فى إصرار غريب أن الوضع العسكرى للقوات الأمريكية فى الخليج سيبقى على ما هو عليه " [٣٩] وتتطرق إدانة أدوار الولايات المتحدة الأمريكية فى هذا الصدد لما تقول به من أدوار فى العراق ، فالإدارة الأمريكية " تقوم باثارة قضايا فرعية لا نهاية لها من أجل إطالة أمد عملية نزع أسلحة الدمار الشامل العراقية ، أى أن المسئولين الأمريكيين يسعون لإثارة حالة مستمرة من الشك تجاه مواقف ونوايا النظام العراقى " [٤٠] .

ثانيا: صـورة الاتحـاد الاوروبـى:

قد حظت الصورة بنطاق محدود من المعالجات الصحفية فى جريدة الأهرام ركزت على الموقف الاوروبى المتزن والموضوعى تجاه أحداث وفعاليات الصرا ع العربى الإسرائيلى وإشارة لكونه أصبح قوة ذات تأثير سياسى وعسكرى وأنه يحاول ويسعى لتحقيق أدوار مستقلة عن الولايات المتحدة فى مجال الشئون الدولية المختلفة ، وهى صورة إيجابية وأن كانت محدودة الكثافة ، إلا أنها تشمل إشادة باستقلالية ونزاهة دور الاتحاد الأوروبى تجاه القضايا العربية .

صـور الغـرب فـى الصـحـف الحزبيـة:

الشعب - الأهالى - الوفد

رغم اختلاف المنطلقات الايدلوجية التى استندت إليها الصحف الحزبية [الشعب – الأهالى – الوفد] فى معالجاتها للشئون الغربية إلا أنها تتفق فى كثير من

محددات الصورة التى طرحتها عن الولايات المتحدة وأوربا الغربية فإذا كانت جريدة الشعب قد انطلقت من مرجعية إسلامية توجه خطابها الصحفى فى مختلف الأحداث والقضايا السياسية والثقافية مما كان له انعكاسه المباشر على كافة الأطروحات التى قدمها عن الغرب . فإن جريدة الأهالى ذات التوجه اليسارى قد التقت مع جوهر الخطاب الصحفى الذى قدمته جريدة الشعب ذات التوجه الإسلامى عن الغرب وسياساته ومواقفة من القضايا العربية . كذلك تشابهت إلى حد كبير الرؤية التى طرحتها جريدة الوفد ذات التوجه الليبرالى عن الغرب مع التصور العام الذى تبنته كلا من الشعب والأهالى .

وقد لوحظ أن الولايات المتحدة الأمريكية تشغل الحجم الأكبر من الأخبار والتحليلات والمقالات التى عالجت من خلالها الصحف الثلاث القضايا والسياسات الغربية . فيما أحتلت باقى الدول الغربية وعلى الأخص أوروبا هوامش الصورة . كما لوحظ أن صحيفة الوفد قد اقتصرت على المعالجات الخبرية فى حين غلبت مادة الرأى على معالجات كلاً من جريدتى الشعب والأهلى .

وتفصيلاً لذلك تحددت عناصر الصورة المقدمة عن الولايات المتحدة الأمريكية فى الخطاب الصحفى فى كل من الشعب والأهالى على النحو التالى :-

أولا: صورة الولايات المتحدة فى جريدة الشعب:

[أ] بدت صورة أمريكا على أنها دولة لا تهتم بالقيم ولاتلتزم بالتعاليم الدينية [فهى دولة مختلة أخلاقياً مما شجع على إنتشار كثير من أمراض المجتمع فى أمريكا][٤١].

[ب] أنها دولة تحاول نشر بذور الفتنه وهدم العادات والتقاليد فى المجتمع المصرى إذ أن أكبر مهام الجامعة الأمريكية على سبيل المثال فى مصر أن تدور أبحاثها حول الأقليات العرقية وهدم اللغة العربية والعادات والتقاليد المصرية وهى

بالتالى أفرزت وكلاء للغرب يبشرون بالثقافة الأمريكية ، ولقد اعترف مسئولو المخابرات الأمريكية بأن الجامعة الأمريكية تلعب دوراً كبيراً فى توجيه المنطقة [٤٢] .

[ج] أنها دولة مفلسه روحياً إذ أنها تتجه – وباقى دول الغرب – إلى المادية فى حياتها دون أن تتلمس أو تنتهج أى تعاليم روحانية أو قيم دينية ، ولعل أبرز دليل على ذلك عمليات الإنتحار الجماعى التى شهدتها أمريكا فى الفترة الأخيرة [٤٣]

[د] أن أمريكا تسعى لإبادة العرب الفلسطينيين وتشجيع إسرائيل لاحتلال الأرض العربية طبقاً – كما يقولون – لكتالوج التوراه من النيل إلى الفرات . وتدلل جريدة الشعب على ذلك بوجود منظمة أمريكية تسعى إلى جمع ١٠٠ مليون دورلار للاستيلاء على الضفة الغربية [٤٤].

[و] تعتبر أمريكا الإسلام عدوها الأول فهى تسعى للاعتداء على إيران باعتبارها القوة الإسلامية المنظمة التى تهدد مصالح أمريكا [٤٥].

[هـ] كما ظهرت صورة الولايات المتحدة الأمريكية كذلك كدولة يهيمن عليها اليهود ولقد أفردت الشعب أكثر من خبر ومادة للرأى بخصوص هذه الجزئية منها مثلاً [أنه يظهر بوضوح سيطرة اليهود على الصحف الأمريكية وبالتالى فإن إسرائيل توجه سياسات الكونجرس والبيت الأبيض ، وأمثلة ذلك إمتلاك اليهودى أدولف أوكس للنيويورك تايمز منذ سنة ١٨٩٦ وإمتلاك اليهودى ايجين ماير للواشنطن بوست منذ سنة ١٩٣٣ أما وول ستريت جورنال فهى ملك لشركة داوچونز التى يرأسها بيتركان ، ولذا فإن هيمنة اليهود على الصحافة الأمريكية وعلى الإعلام الأمريكى بصفة عامة أدت إلى تسخير هذا الإعلام فى كثير من الأحيان لخدمة قضايا اليهود بصرف النظر عن باقى قطاعات الشعب الأمريكى [٤٦].

[ى] كما ظهرت أمريكا أيضاً بصورة المعتدى على العراق " فهى تستعد للعدوان على العراق بسبب أزمة عدم تعاونها مع المفتشين الدوليين" . [٤٧] وهى أيضا تشن حربا بيولوچية ضد شعب العراق عن طريق وباء خطير يسبب تعفن اللحم الحى

والموت خلال أيام [٤٨] . ومما يؤكد كذلك ظهور أمريكا بصورة الدولة الظالمة المعتدية [هو إعلانها استمرار الحصار لأجل غير مسمى على العراق] [٤٩] .

٨ – ويظهر كذلك من خلال التحليلات الصحفية لصورة أمريكا فى جريدة الشعب أنها دولة قوية عسكريا واقتصاديا .

فهى [تستأثر بنصف تجارة السلاح العالمية وتثير النزاعات المحلية لتصريف أسلحتها فهى تعمل فى ٤٧٪ من تجارة السلاح العالمية تليها روسيا ١٧٪ ثم فرنسا ١٢٪ وبريطانيا ١٠٪] [٥٠] .

٩ – كما صورت الشعب أمريكا بصورة المستهين بالآثار الإسلامية . وظهر ذلك فى تحقيق كبير أفردته الشعب . جاء فيه أن [أمريكا تستهين بالتراث الإسلامى والآثار الإسلامية فتريد تحويل قاعة عثمان كتخدا المعروفة بقاعة محب الدين الشافعى لمقهى ومطعم] [٥١] .

ثانيا: صورة الولايات المتحدة فى خطاب جريدة الأهالى:

[أ] ظهرت أمريكا فى صورة الدولة الظالمة فهى تستخدم الفيتو لصالح اسرائيل على حساب فلسطين وهى تريد " إجهاض الجزئية التى تحققت بعد الموقف الجماعى الذى إتخذته المجموعة الأوربية إلى جانب الدول العربية فى مجلس الأمن والجمعية العامة" [٥٢] وتتساءل الأهالى عن مدى جدية النوايا الأمريكية فى القيام بدور الزعامة للتسوية بين فلسطين وإسرائيل وهل هى وسيط مجدى أم شريك كامل أم أن موقعها يستدعى وقفه مع الصديق للتحقق من أن هناك صداقة أصلاً [٥٣] .

[ب] بدت أمريكا كذلك كدولة لا تهتم إلا بمصالحها " فإن إى حل تتقدم به أمريكا للشرق الأوسط لابد ان تحكمه فى النهاية المصالح الأمريكية وها هى تفرض

الحصار على ارجاء من الوطن العربي وتقف بجنودها فى أماكن أخرى وتكسب صفقات سلاح فى عدد من الدول العربية وهى تريد أن تستكمل هذا كله بالتنقل الحر إلى تل أبيب"[٥٤] .

[ج] وظهرت أمريكا بصورة البلطجى [فالعدوان الأمريكى على السودان وأفغانستان ليس إلا بلطجة وإرهاب دولة][٥٥] .

[د] وظهرت امريكا بصورة الدولة التى تكيل بمكيالين – وهنا يلاحظ أن هذه الصورة عن أمريكا قد تكررت فى جميع صحف العينة البحثية [الأهرام – الشعب – الاهالى – الوفد] . وقد أبرزوا هذه الازدواجية التى تمثلت فى عدم تردد أمريكا فى توجيه ضرباتها لرؤوس الإرهاب فى السودان وافغانستان . ولكنها تعجز عن إظار أى تصميم أمام الاسرائيليين . وهى تحاول كذلك بشتى الطرق أن تقهر الإسلام والمسلمين بل وتحاول جر أوروبا إلى بغض المسلمين[٥٦] .

[هـ] كما ظهرت صورة كلينتون فى الأهالى كرمز من رموز القوة الغربية بصورة غير أخلاقية وخاصة بعد فضيحة مونيكا بل إن جريدة الأهالى أبرزت فى معالجتها الصحفية أن " عدوان أمريكا على السودان وأفغانستان غير أخلاقى وهدفه التغطية على مونيكا جيت[٥٧] وأن [كلينتون أصبح شخصية أكثر إنهزاماً][٥٨] .

ثالثاً: صورة الولايات المتحدة فى خطاب الوفد:

تعددت جوانب صورة امريكا فى الخطاب الصحفى لجريدة الوفد وذلك على النحو التالى :-

١ – أنها دولة تعتدى على حق العرب الفلسطينيين فى أراضيهم " فليس هناك خلاف على أن أمريكا تحظى الآن بغضب شعوب المنطقة لأن الشعوب تعلم أن اسرائيل لم تتمادى فى تحطيم مسيرة السلام إلا بسبب تأييد أمريكا لها [٥٩]

٢ – أنها دولة متغطرسه وظالمة " تفرض حصار تجويعى رهيب على العراق لأكثر من ٦ سنوات ولم تكترث بأطفال يموتون ومرضى لا يجدون الدواء وشعب يحتضر " [٦٠].

٣ – إنها دولة تكيل بمكيالين فهى على سبيل المثال " تعرض ليبيا لحصار أمريكى مباشر منذ سنة ١٩٨٠ ، وتحاصر السودان وتفرض عليها عقوبات على حساب شعبها ، وتحاصر مصر فى قراراتها التى تمس السياسة الأمريكية المتبعة فى قضية الشرق الأوسط [٦١] " وهى أمام ذلك [لا تفعل سوى مجرد الكلام والمناقشات أمام الهجمات الصربية الوحشية على مسلمى كوسوفا] [٦٢]

صورة الغرب الأوروبى فى الصحف الحزبية :

شغلت أوروبا المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية من حيث الإهتمام الصحفى . وتفاوتت الرؤية التى قدمتها كل من الشعب والأهالى والوفد عن أوروبا الغربية إذ تراوحت ما بين الايجابية والسلبية وذلك على عكس صورة الولايات المتحدة التى غلب عليها الطابع السلبى . وتفصيلاً لذلك طرحت صحفية الشعب صورة أوروبا على النحو التالى :

١ – ركزت الشعب على الجوانب السلبية من خلال بعض مواد الرأى التى تناولت قضية اغراق أوروبا لمصر بتقاوى البطاطس الرديئة التى رفضت دخول محصولها بعد ذلك حيث اغرقت مصر بـ ٢٥٠ ألف طن من تقاوى البطاطس المستوردة من ٧ دول أوربية منها بريطانيا وهولندا والمجر ورومانيا وبولندا وايرلندا [٦٣].

٢ – ركزت الشعب أيضاً على السلبيات الأخلاقية فى بعض دول الغرب مثل هولندا وبلچيكا عندما ذكرت فى سياق بعض التحقيقات أنهما بلاد اللواطين فى العالم[٦٤] .

٣ – أشادت الشعب بالجوانب الايجابية لدى أوروبا الغربية والتى تمثلت فى تحقيق الوحدة بين الدول الأوروبية رغم الإختلافات العديدة القائمة بينها . والإشادة أيضاً بالتقدم العلمى فى الغرب وحرصه على النظام والنظافة والدقة [٦٥] . هذا وقد لوحظ أن الصور الصحفية التى كانت تصاحب هذه المواد تخلو من الجوانب الإيجابية أو الجمالية بل كانت فى الأغلب صورة شخصية لبعض الزعماء أو القادة الأوروبيين وهم متجهمين .

أما صحيفة الأهالى فقد عرضت فى خطابها الصحفى صورة إيجابية للدول الأوروبية حيث ركزت على مواقفها الإيجابية مع فلسطين فى مواجهة أمريكا واسرائيل فى الأمم المتحدة وأيضا أبرزت المشروعات الاستثمارية وجوانب القوة الاقتصادية والعلاقات التجارية بين مصر ودول أوروبا الغربية .

ولم تختلف صورة أوروبا الغربية فى صحيفة الوفد عن الصورة التى قدمتها الصحيفتان الأخرتان [الشعب والأهالى] إذ ركزت الوفد على وقفة أوروبا الإيجابية أمام تعنت وسلبية أمريكا فى قضية الشرق الأوسط . كذلك لم تغفل الجوانب السلبية فى صورة أوروبا والتى تمثلت فى الأزمة بين مصر ودول الاتحاد الأوروبى بسبب الاغراق ولجوء أوروبا إلى فرض رسوم اغراق على الصادرات النسيجية المصرية لمدة ٥ سنوات وتتزعم هذا الموقف كل من فرنسا وايطاليا [٦٦] . وقد أبدت صحيفة الوفد تعاطفها الكامل من الوقف المصرى مؤكدة أنها ترفض نظام الحصص الذى يريد الأوروبيون تطبيقه على الصادرات المصرية وخاصة المنتجات الزراعية [٦٧].

صورة الغرب الثقافية فى الخطاب الصحفى المصرى :

دراسة لقضية العلاقات المصرية الفرنسية بمناسبة مرور مائتى عام على الحملة الفرنسية :

تعد مسالة الإحتفال بمرور مائتى عام على مجئ الحملة الفرنسية لاحتلال مصر من أهم الموضوعات التى شغلت الصفحات الثقافية فى الصحف المصرية منذ

منتصف عام ١٩٩٧ ولقد اعتبرت غالبية هذه الصحف أنه من غير اللائق الإحتفال بذكرى هذا الحدث . أى أنها هاجمت وبشدة مجرد الفكرة الداعية لذلك وجاء على رأس هذه الصحف جريدة الشعب الناطقة باسم حزب العمل وتبعتها فى ذلك مجلة روز اليوسف . وعرضت صحيفة الأهرام وصحيفة الأهالى المعبرة عن حزب التجمع وجهتى النظر المؤيدة والمعارضة للإحتفال . كما اهتمت صحيفة الوفد ومجلتى المصور وأكتوبر بالحدث ولم تغفله .

بالنسبة لصحيفة الأهرام فقد عالجت فكرة الإحتفال بشكل متوازن بأن عرضت وجهات النظر المتباينة فيه . فنشرت مقالاً للدكتور **فؤاد زكريا** : بعنوان "**الحملة الفرنسية ودهاء التاريخ** " حيث أيد فكرة الإحتفال مركزاً على الجوانب الإيجابية التى احدثتها الحملة وقارن ذلك بالمشاركة العسكرية التى قدمتها مصر لليمن خلال الحقبة الناصرية ، لم نكن فيها نستهدف شعب اليمن ذاته ، بقدر ما كنا خاضعين لمنطق التنافس على النفوذ مع بعض القوى التى كانت تناوئ النظام المصرى فى ذلك الحين وستدرك أن الجيش المصرى عندما ذهب إلى اليمن قد فعل شيئاً مماثلاً لما فعله جيش نابليون عندما غزا مصر ومعه المطبعة [أعظم وأول اختراع حضارى فى العصر الحديث] ومئات من العلماء والمتخصصين فى شتى فروع العلم والذين جعلوا من تلك الحملة بداية لإكتشاف مصر .. أن هذا وحده هو الذى سيحتفظ به التاريخ للحملة الفرنسية على مصر وللحملة المصرية على اليمن وهذا فى كلتا الحالتين شئ يستحق الاحتفال " .

أما عرضها للجانب المعارض للإحتفال بذكرى الحملة الفرنسية فقد تمثل فى سلسلة المقالات التى نشرتها الأهرام للعديد من الكتاب وأبرزهم د . **مصطفى عبدالغنى** [٦٨] فى مقاله الأسبوعى حيث أكد على الطابع الإستعمارى للحملة الفرنسية أنها من الفظائع ما لا يعد ولا يحصى : بمتابعة ما كتب أو ما قيل لاحظنا أننا امام ثنائية فى الفهم : الإستعمار / الحضارة ، لاتلبث أن تتوحد فى قضية

واحدة ، قضية تشير إلى الفرنسين كمستعمرين ولا تلبث القضية الأخرى أن تقترب أكثر فأكثر من الحضارة ، فيغيب المستعمر وويلاته التى عرفناها من مصادر عديدة إبان مجئ الحملة ويتحول إلى حضارة وحسب والواقع أن المراهنة على أن الحملة الفرنسية جاءت كمستعمر واقع لا يقبل المجادلة فظائع الحملة تسود مراجع كثيرة من فظائع شبراخيت ومعركة الأهرام وصولاً إلى كل ما ارتكبه كليبر بفظاظة لم نعرفها فى عصر چنكيزخان من قبل . يجب أن نقول أن الغرب جاء إلينا فى نهاية القرن الثامن عشر كمستعمر . أرسلت الثورة الفرنسية وعصر التنوير من يبحث لها عن أسواق جديدة فكان الصراع بين الفرنسيين والانجليز سابقاً على ظهور الحملة فى مصر وماترتب عليها من القتل والتسفيه والحرق وما تلى ذلك مما عرفناه من التاريخ الانسانى يتلاشى معه الأثر الحضارى " . ويستخلص د . عبدالغنى فى النهاية وجهة نظره قائلاً أن : " الحملة الفرنسية ليست أكثر من حملة صليبية ثامنة سبقتها الحملات الصليبية المعروفة فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر ويمكن التدليل على عنف الغرب وسوء نيته إلى أبعد من ذلك وهو ما تعرفنا عليه فى العصر الحديث فى كثير من الأمثلة [٦٨] " .

ويشبه د . مصطفى عبد الغنى ما ابتغته فرنسا من فكرة الإحتفال بذكرى غزوها مصر بمحاولات الولايات المتحدة الأمريكية من فرض هيمنتها على العالم بأسره " الدلالة التى يجب أن نشدد عليها الان خروجاً من العموميات ، أن الحديث عن الحملة الفرنسية ليس غير حديث عن الحملات التى من الغرب ، وآخرها مانعايشه ونشهده الان من الهجمة [الحملة] الأمريكية الوقحة ولا نحتاج إلى تأمل كبير لنلاحظ نفس الشبه الذى يخيم على كل هذه الحملات فالغرب وبتعبير مارجريت تاتشر انتهى عقب سقوط الكتلة الشرقية وحين سئلت ابان حرب الخليج فى بداية التسعينيات عن العدو الازلى لم تكن فى حاجة إلا لهز الكتف وهى تردد الإسلام أنه عدو الغرب من الفرنسة إلى الأمركة [....] ، الامبريالية والرأسمالية [....] هو ما

لاتستطيع الخلاص منه كلما تحدثنا عن الحملة الفرنسية كإحدى حملات الصراع بين الغرب والشرق أو بين الشمال والجنوب . وهو ما يبدو أكثر حين يصور أن نهاية التاريخ هو انتصار الغرب النهائى .[٦٩]

وقد نشر الأهرام عدة أخبار تخص العلاقة المصرية الفرنسية من زاوية الحملة الفرنسية وهى أخبار سلبية فيما يخص الجانب الفرنسى . فنشرت خبراً نقلاً عن صحيفة الاكبريس مفاده أن شعب مصر قد صمد صموداً أدى إلى كسر شوكة قوات نابليون الزاحفة وأن كبرياء نابليون سقطت فى وحل مصر .

ومن عينة هذه الأخبار . الخبر الذى عرض كتاب فرنسى جديد يكشف أن نابليون بونابرت لم يتخلى عن حلم العودة من جديد لاحتلال مصر بعد فشل الحملة الفرنسية ومهد بالفعل لغزوها مره بإرسال عشرة جواسيس [٧٠] .

هذا وقد حفلت الأهرام بالعديد من الردود على ما كتبه د . **فؤاد زكريا** وأجمعت معظمها على خطأ المقارنة بين نابليون الذى جاء مصر غازياً وفاتحاً وعبدالناصر الذى أرسل القوات العربية إلى اليمن بناء على طلب القيادة اليمنيه ولمساعدة شعب اليمن فى حربه ضد ظلم الائمه واستبدادهم وقهرهم للشعب اليمنى . وقد تمثلت هذه الردود فى كتابات لعديد من المفكرين وأساتذة الجامعات وكتاب الأهرام أنفسهم ولعل أبرز هذه الردود ما كتبه د . **مصطفى عبد الغنى** .

أما **مجلة روز اليوسف** : فقد شنت حملة منظمة ضد فكرة الإحتفال بذكرى الحملة الفرنسية على مصر. فقدمت تحقيقين يلخصان موقف المجلة من هذا الحدث. فقدم **وائل عبدالفتاح** تحقيقاً مطولاً شن فيه هجوماً على مؤيدى فكرة الإحتفال .[٧١] [حملة فرنسية جديدة على مصر] هذا هو الاسم المتداول للمعركة التى تدور دفاعاً عن الاحتفال ، وأصبح اسماً شعبياً للمعركة التى وصلت ذروتها الاسبوع الماضى إلى مجلس الشعب حينما اعتذر وزير الثقافة **فاروق حسنى** عما قاله فى دفاعه عن الإحتفال ووصفه بأنه زلة لسان ، والحقيقة أنها زلة موقف .. لأن

الإحتفال لم يفرق بين نابليون وفرنسا ولا بين الاستعمار والثقافة . وبدلاً من إحتفال الثقافة المصرية بأفكار وإبداعات ديكارت وسارتر وجان جاك روسو وبلزاك ورامبو وغيرهم من علامات الثقافة الفرنسية .. إحتفل فاروق حسنى بنابليون بونابرت . وتناول التحقيق محاولات قام بها الجانب المصرى المؤيد لفكرة الإحتفال والتى تمثلت فى تغيير مسميات هذا الإحتفال : " والكارثة أن الهجوم لم يقنع **الوزير فاروق حسنى** بالتراجع بل دفعه لاستخدام حيلة تخفى الإحتفال تحت عناوين مبهره مثل الإحتفالات بالعلاقات الثقافية بين مصر وفرنسا وهو عنوان آثار ضجة لانه يربط صراحه العلاقات الثقافية بالتاريخ الذى شحن فيه نابليون جنوده الى مدينة الاسكندرية ولكن الأذكياء فى الطرف الفرنسى طلبوا تعديل العنوان لتخفيف تأثير الكارثة والموافقون فى الطرف المصرى وصلوا لهذه الصيغة السحرية : مصر فرنسا آفاق مشتركة . أى أن الثقافة هى الغلاف الجذاب الأنيق الذى يتم خلاله تمرير فكرة أن نابليون تفضل علينا بإحتلال مصر لكى ينقذها من الظلام الذى كانت تعيش فيه وهى اسطورة من حق فرنسا أن تروجها وتحتفل بها " .

وقدم **عبدالله كمال** تحقيقا حول نفس الموضوع أكد فيه على أن : " لم يكن الهدف حضارة أو ثقافة ولا يحزنون . كان الهدف هو الاستعمار .. وقد كان ما فعلته الحملة الفرنسية ينطبق تماماً على هذا المعنى ولا يخرج عنه [...] والأدلة كثيرة على أن الغرض لم يكن مدنياً ولم يكن انقاذ مصر من الجهل وانما كان اضطهاداً وعنفا وقتلى وصراعاً من أجل إنقاذ فرنسا فى منافستها الدائمة مع انجلترا وكان الضحايا هم أجدادنا ثم جاء الأحفاد ليتناسوا الان كل هذا ويزعموا أن الحملة كانت بداية العلاقات الثقافية بين مصر وفرنسا [٧٢] .

كذا قدم **محمد عوده** رؤيته فى فكرة الإحتفال وذلك بأن وضح أنه " ليست قضية أن نحتفل أو لا نحتفل بمرور مائتى عام على الحملة الفرنسية إلى مصر أو بالعلاقات الفرنسية المصرية . القضية بماذا نحتفل [....] نحتفل بإنتصار الشعب

الصغير الاعزل على أقوى جيش في العالم وقائده الاسطورى ، ويكسب أول حرب تحرير شعبية فى التاريخ الحديث والتى شقت الطريق للشعوب المقهورة لنيل حريتها ولتقويض أخطر مشروع استعمارى للسيطرة على الشرق والعالم ثم بأستيعاب كل دروس الحملة لإقامة أول وأقوى دولة شرقية عربية ... لم يزعم أى معلق أو مؤرخ فرنسى مصرى شرقاً أو غرباً ان نابليون بونابرت جاء إلى مصر فى ملحمة حضارية تنويرية ليحمل إليها علوم وفنون الغرب ويبشر بمبادئ الثورة الفرنسية فى الحرية والمساواة والإخاء[٧٣] .

- جريدة الشعب :

ومن الصحف التى عارضت بشدة فكرة الإحتفال بمرور مائتى عام على قدوم الحملة الفرنسية على مصر صحيفة الشعب لسان حال حزب العمل المعارض فقدمت . زينب عبدالعزيز مقالاً هاجمت فيه الفكرة من أساسها لأن الحملة الفرنسية كانت حملة دموية وانها أبادت العلماء المصريين وتساءلت عن العلاقة التى تربط بين التنوير وبين دك الجامع الأزهر وسرقة الآثار ونشر الفساد وإباحة بيع الخمور [٧٤] .

كما عرضت الصحيفة [الشعب] عرضاً مطولاً لكتاب د. **ليلى عنان** استاذة الحضارة الفرنسية : " الحملة الفرنسية تنوير أم تزوير " والذى أكد على أن الحملة الفرنسية كانت ركاماً من الاساطير نسجها الأباء والمؤرخون ورجال الثورة الفرنسية . كما طالب مثقفوا سويسرا وألمانيا وإيطاليا وهولندا بالاحتفال بالغزو الفرنسى لأراضيهم أسوة بالمصريين . والكتاب بشكل عام اثبت أن الثورة الفرنسية كانت اسطورة كبرى تولدت منها سلسلة من الأساطير والأوهام[٧٥] .

وفى عدد ٢ يونيو ١٩٩٨ ربطت صحيفة الشعب بين مجئ الحملة الفرنسية وبين بداية التدخل فى شئون الأقباط المصريين فى تحقيق بعنوان : الجذور التاريخية تدخل الغرب فى شئون أقباط مصر إبان الإحتلال الفرنسى على أساس أن نابليون تعمد إشعال النعرات الطائفية بتكوين فيلق المعلم يعقوب ونصارى الشام .

أما صحيفة **الأهالى** فقد اهتمت بهذا الموضوع وعرضت عدة رؤى فى هذه المسألة منها المؤيد ومنها المعارض فنشرت الجريدة موضوعاً تناول تصريح لوزير الثقافة ومعارضا فيه الإحتفال حيث طالب **حازم شحاته** محرر الموضوع بضرورة تقديم الإعتذار من جانب رئيس فرنسا عن جرائم حملة نابليون [٧٥] .

أما أبرز الموضوعات والحوارات التى عبرت عن وجهة النظر الأخرى ، فكان الحوار الذى أجراه **مجدى حسين** مع **كامل زهيرى** : وجاء فى الحوار تأكيداً من جانب **زهيرى** على أن لفرنسا عدة أخطاء : الحملة الفرنسية ومن قبلها الحملة الصليبية وحرب ١٩٥٦ ان هذه الأخطاء : " لم تمنعنا من توثيق العلاقات الثقافية [بين مصر وفرنسا] وترجمة مانريدة فى هذا الإطار " [٧٦] .

ومن ذلك مانشرته صحيفة الاهالى بقلم **عطية الصيرفى** : "من الثابت أن الحملة الفرنسية على مصر رغم صفتها الاستعمارية كانت بمثابة شروق من الغرب انبثقت منه حياة جديدة تماماً . الحملة اسرنسية كانت عسكرة المدفع والمطبعة والعلم والعلماء كانت بمثابة بروفة لحكم محمد على وتأسيس مصر الحديثة بثرواتها الصناعية والزراعية والإنشائية والتعليمية ومن وجهة نظر كاتب المقال فان الاحتفال بالحملة الفرنسية : " ليس احتفالاً بها كغزو ولكنه إحتفال ببعث الوطنية المصرية الحديثة وإحتفال بمولد الثورة المصرية الحديثة فى عام ١٧٩٨ " [٧٧] . ولم تغفل مجلة المصور الحديث عن خطر الإحتفال بذكرى الحملة الفرنسية فقدمت تصريحاً **لكامل زهيرى** [٧٨] يؤكد فيه بأن مصر لن تحتفل بذكرى الحملة الفرنسية وأنها لن تعيد الإعتبار لديليسبس . نفس وجهة نظره التى أكدها فى جريدة الأهالى . حمل التصريح كما نشرت المجلة تحقيقاً كبيراً يحمل وجهات نظر المؤيدين والمعارضين للإحتفال ونشرت [٧٩] فيه تصريحا لوزير الثقافة أكد فيه على أن مايتردد يمثل وجهة نظر ضيقة وغير منصفة أما المؤيدون فى التحقيق فقد أكدوا على أننا المستفيدين

ثقافياً وسياحياً [هدى وصفى] وغيرنا تاريخ الإحتفال ومضمونه [كامل زهيرى] أما المعارضون فطالبوا بالإحتفال بذكرى ثورة القاهرة أو الإحتفال بإكتشاف حجر رشيد وأكدوا على أن الفرنسين لم يتركوا المطبعة .

جــــريــــدة الـــوفـــد:

وقد شاركت صحيفة الوفد بدورها فى معالجة الموضوع : فقدمت تحقيقاً حول الجدل الذى أحدثته فكرة الإحتفال بمرور مائتى عام على الحملة الفرنسية وأبرزت فيه الآراء المؤيدة [يونان لبيب رزق] الإحتفال ثقافى وفرصة لكسر الهيمنة الأمريكية ومصر استفادت علميا والآراء المعارضة [طارق البشرى] الحملة الفرنسية كانت غزواً عسكريا وفرنسا مطالبة بالإعتذار للشعب المصرى [-٨] .

صــورة المــرأة الغربيــة فــى الصحافة المصرية :

فى ضوء الإطلاع على الصحف اليومية سواء القومية " الأهرام " أو الحزبية الشعب " ، " الأهالى " ، " الوفد " وذلك فى إطار الدراسة الإستطلاعية لوحظ إفتقار هذه الصحف للمادة الإعلامية عن المرأة الغربية لاسيما الصحف الحزبية والتى خلت بعضها تماماً من أبواب للمرأة كجريدة الشعب .

أما الأهرام فقد ركزت الصفحات الخارجية على صور عامة تتعلق بمهام وظيفية ترتبط بالمرأة الغربية مثل " جولات أولبرايت " وبالتالى فهذه الأخبار لا تحقق الهدف من الدراسة في التعرف على الجوانب المختلفة لصورة المرأة الغربية فى الصحافة المصرية ولذلك تم التركيز على صورة المرأة الغربية فى مجلتى حواء ونصف الدنيا لتخصصهما فى شئون المرأة مما اتاح لنا التركيز على المادة الإعلامية ذات العلاقة بالمرأة سواء على المستوى المحلى أو العالمى لرصد معالم الصورة الخاصة بالمرأة الغربية فى الصحافة المصرية .. وتم إختيار شهرى مارس

وإبريل ١٩٩٨ ويعزى هذا الإختيار إلى تزامن هذه الفترة مع الإحتفالات السنوية بيوم المرأة العالمى حيث تم إخضاع كافة الأشكال الصحفية [خبر – قصة إخبارية – حديث – تحقيق – ريبورتاج – مادة فكاهية .... إلخ] وكذلك كافة الموضوعات [سياسية – اقتصادية – اجتماعية – ثقافية – ...... إلخ] للعرض والتحليل .

وقد اسفرت الدراسة المسحية عن النتائج التالية :

أولاً : من ناحية الشكل :

لا توجد أجزاء فاصلة خاصة بأخبار وموضوعات متعلقة بالمرأة الغربية حيث تواجدت المادة الإعلامية الخاصة بالمرأة الغربية فى نفس الصفحات التى تتناول أخبار المرأة فى مصر أو الوطن العربى .

٢ – لم تشغل المادة الإعلامية الخاصة بالمرأة الغربية فى مجلتى الدراسة مساحات كبيرة . بل كانت نسبتها قليلة لم تتجاوز ١٠٪ من إجمالى المادة الإعلامية الموجودة فى كل عدد من أعداد المجلتين على حده .

٣ – غلب إستخدام الشكل الخبرى سواء كان خبراً أو قصة إخبارية فى تناول الموضوعات الخاصة بالمرأة الغربية فى مجلتى حواء ونصف الدنيا .

٤ – لوحظ أن معظم الصور المستخدمة فى كلتا المجلتين كانت لنساء أو فتيات غربيات سواء كان ذلك مع أخبار خاصة بهن أو أخبار عامة وإن زاد إستخدامها بشكل ملحوظ فى مجلة نصف الدنيا .

ثانياً : من ناحية المضمون :

١ – أتسمت الأخبار والموضوعات الخاصة بالمرأة الغربية فى كلتا المجلتين بالسطحية الشديدة حيث ركزت تلك الموضوعات على نجوم الفن والأزياء فى الدول الغربية وزوجات السياسيين البارزين .

ومــن الأمثلة على ذلك:

مانشرته مجلة نصف الدنيا عن النجمة العالمية " فرح فاوست " عن أنها أجرت عملية لإستعادة جمالها "[٨١] .

وأيضا الأخبار التى نشرتها عن زوجة كوفى عنان وهى سويدية الجنسية مضمونها أنها تتميز بالهدوء وأنها رسامة وقاضية فى نفس الوقت " [٨٢] .

٢ – برزت صور نجوم هوليود فى مقدمة الصور المرسومة عن المرأة الغربية أو التى تعكسها المادة الإعلامية بشكل بارز سواء عن نجمات عروض الأزياء ، أو زوجة رجل السياسة التى تقف وراء زوجها وتكون أحد أسباب نجاحه فى السلك الدبلوماسي أو العمل السنياسى بشكل عام ثم الأميرات فى المجتمع الغربى وقد جاء هذا الترتيب على هذا النحو فى كل من مجلتى الدراسة .

ومن الأمثلة على ذلك :

مانشرته مجلة نصف الدنيا عن نجمة هوليود " بروك شيلدز " وفقدانها رشاقتها بعد الزواج .

وأيضا نشرت العديد من الأخبار عن أميرات موناكو " إيرا وكارولين " سواء كانت أخبار شخصية أو الموديلات التى يقومون بإرتدائها فى الحفلات .

– وقد ركزت على " ديانا جارتز " وهى عارضة أزياء حول جمالها ورقة شخصيتها [٨٣] .

– كما نشرت مجلة حواء عن زوجة تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا وأبرزت دورها فى مساندة زوجها .

٣ – اختفت تماماً صورة المرأة الأوروبية أو الأمريكية العاملة أو الفتاة الجامعية أو حياة المرأة الغربية التى تنتمى إلى الطبقة الوسطى بشكل عام وذلك فى مجلتى الدراسة .

٤ – برزت صورة عامة عن المرأة الغربية من خلال الترجمات التى نشرتها الدراسة نقلاً عن بعض الدراسات البريطانية والأمريكية . حيث نشرت مجلة نصف الدنيا [٨٤]، تعليقا على نتائج الدراسة البريطانية عن المرأة وجاء فى سياقه أن المرأة تتجه للسيطرة فى العالم بعد أن أصبحت تتفوق على الرجل فى مختلف المجالات وأن النساء أكثر ذكاء وقدرة على التعامل والتواصل الإجتماعى وأنهن عندما يكبرن يتفوقن فى العمل ويحصلن على أعلى المراكز .

استخلاصات عامة:

١ – من خلال العرض السابق يمكن القول أن مجلتى حواء ونصف الدنيا رسمتا صورة تقليدية وسطحية للمرأة الغربية فهى إما نجمة مشهورة أو عارضة أزياء تجنى آلاف الدولارات من خلال عروضها أو زوجة لأحد السياسيين البارزين وتلعب الدور القوى والناجح فى حياته أو أنها إحدى الأميرات بالعائلات الملكية بأوروبا . دون أن ترصد الصور الأخرى للمرأة الغربية فى إطار الظروف المجتمعية الخاصة بها ، وبالتالى يمكن القول أنها ركزت على فئات دون أخرى مما أدى إلى أن تعكس مجلتى الدراسة صورة ناقصة ومشوهة إلى حد ما عن المرأة الغربية تختلف عن الواقع العام الذى تعيشه كل من المرأة الأوربية و الأمريكية .

٢ – التركيز على بعض النماذج النسائية الغربية بإعتبارها " قدوة " ذات طابع جذاب وخاص جداً مما يؤدى إلى حدوث تناقض بين هذه النماذج وما يطرحه الواقع المصرى من نماذج كادحه وجاده للمرأة المصرية فى مختلف العصور ومن أبرزالأمثلة على ذلك ما طرحته الصحافة المصرية عن نموذج المرأة الصلبه القوية المضحية المتفانيه فأشارت إلى روزا كيندى والدة الرئيس الأمريكى الراحل جون

كيندى وتغافلت عن آلاف النساء المصريات - العربيات اللوائى ضربن المثل الأعلى فى العطاء لاسرهن واوطانهن فى مختلف المجالات .

٣ - التركيز بشكل واضح على نماذج معينة أو أسماء بعينها وتتبع أخبارها بشكل دائم ومتكرر دون وجود مبررات للتركيز على هذا النموذج مثل " إيملدا ماركوس " ، " ديانا " ، " صوفيا لورين " مما يشير إلى وجود تبعية ، واضحة فى الإهتمام بموضوعات المرأة الغربية .. أى تبعية الصحافة المصرية للإعلام الدولى الذى يركز على هذه الشخصيات النسائية فى أوربا وأمريكا .

وأخيراً لاشك أن الصور التى تعكسها الصحافة المصرية عن المرأة الغربية سوف تسفر عن حدوث فجوة على المستوى المعرفى لدى القارئ بين واقع المرأة الغربية الحقيقى والصورة المبهرة التى عكستها الصحافة المصرية ، وبالتالى فإن الصورة الصحفية المشوهة سوف تؤدى فى التحليل الأخير إلى صورة ذهنية مشوهة عن المرأة الغربية لدى القارئ المصرى والعربى .

الخاتمة

لقد أسفر الرصد والتحليل الامبيريقى لعالم الصوره الاعلامية التى طرحتها الصحافة المصرية القومية والحزبية عن الغرب [الولايات المتحدة الامريكية واوربا الغربية] خلال حقبة التسعينات عن مجموعة من النتائج يمكن الإستناد إليها فى التأكيد على صحة الفروض التي تصدرت هذه الدراسة ويمكن اجمالها على النحو التالى :

١ - فيما يتعلق بالصورة السياسية للغرب اثناء فترات الازمة انفردت الولايات المتحدة الامريكية بالصفات والادوار المنسوبة للغرب خلال ازمة الخليج [١٩٩٠ - ١٩٩١] وذلك نظراً للدور الامريكى الحاسم والقائد سواء فى اتخاذ قرار الحرب او ادارة العلمليات العسكرية ضد العراق حتى تم استعاده استقلال الكويت وقد اجمع الكتاب والصحفيون المصريون على ادانة الدور الذى قامت به الولايات المتحدة فى حرب الخليج سواء الصحف القومية التى تمثلها الاهرام أو الصحف الحزبية والمعارضة فقد قدمت الاهرام خطابا صحفياً يعكس غلبة الادوار السلبية المنسوبة للولايات المتحدة [٤٢ دوراً سلبيا] على الادوار الايجابية [١٠ أدوار ايجابية] وذلك فى تناقض واضح مع التصور الرسمى ومع السياسة التحريرية للاهرام ذاتها التى إتخذت موقفاً مؤيداً للولايات المتحدة الامريكية فى معالجتها للازمة ولكنها أفسحت مساحة لوجهة النظر الأخرى للتعبير عن مواقف معارضة لاطروحات النظام .

ومؤكد هذه النتيجة على صحة الفرض الاول للدراسة والذى يشير الى [ان صورة الغرب السياسية هى نتائج إنعكاس لطبيعة ادوار ومواقف الغرب من القضايا العربية] إذ تأكد وجود إرتباط بين سمات صوره الغرب السياسية كما قدمتها الصحافة المصرية وطبيعة الممارسات والادوار الفعلية التى يقوم بها الغرب فى

القضايا المصيرية والحاسمة فى العالم العربى وقد إتضح ذلك من خلال غلبة الادوار السلبيه المنسوبه للولايات المتحدة والتحالف الغربى على الادوار الايجابية اثناء حرب الخليج .

٢ – كشفت الدراسة عن تجليات التبعية الإعلامية أثناء حرب الخليج والتى برزت على مستويين المستوى المحلى الذى تمثل فى تبعية الصحف القومية [وتمثلها فى هذه الدراسة جريدة الاهرام] للقيادة السياسية مما انعكس على الافتتاحيات واراء بعض الصحفيين الذين حاولوا دحض الصوره السلبية للولايات المتحدة ودول التحالف الغربى أثناء حرب الخليج من خلال دفاعهم عن مشروعية التدخل لتحرير الكويت وتأديب العراق . اما المستوى الثانى للتبعية فقد برز من خلال الاعتماد شبه الكامل على الصحف الغربية وتقارير مراسليها فى الخليج والنقل عن الاذاعات المرئية والمسموعة الامريكية والأوروبية وقد بدا الأنقسام واضحاً بين الإعلام الرسمى ومحاولاته لرسم صورة ايجابية عن الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين اثناء حرب الخليج وبين الإعلام الحزبى المعارض للممارسات الغربية وتدخلاتها السافرة ضد المصالح العربية وقد كشف ذلك عن الحلقة الرئيسية للازمة الراهنة التى يعانى منها الإعلام العربى ككل وفى قلبه الإعلام المصرى .

إذ تشير هذه الحلقة الى العلاقة العضوية بين الإعلام العربى وأنظمة الحكم التى تحرص على توظيف وسائل الإعلام فى عمليات الضبط الاجتماعى وحماية الاوضاع السياسية والاجتماعية القائمة وذلك من خلال اعاده إنتاج وتشكيل الصور الذهنية لدى الجماهير العربية سواء عن الافراد أو الجماعات او الدول بما يضمن تزييف الرأى العام العربى من خلال السيطرة على الوعى والادراك عبر عمليات النشر المتكرر والالحاح على عناصر وسمات محدوده توجه وتشكل تصورات الجماهيرية هذا الصدد .

٣ – ومن الشواهد التى اكدت صحة الفرض الاول ما كشفت عنه الدراسة من استمرار الصور السلبية للولايات المتحدة فى الخطاب الصحفى المصرى فى فترات السلم ايضاً وذلك بسبب استمرار مواقفها من القضايا العربية وانحيازها الكامل للسياسات الاسرائيلية وقد برز ذلك سواء فى الخطاب الصحفى الرسمى ممثلاً فى الصحف القومية او الخطاب الصحفى المعارض والذى تمثله الصحف الحزبية . هذا فيما برزت صورة ايجابية لدول الاتحاد الاوربى فى الخطاب الصحفى المصرى فى نهاية التسعينيات ومرجع ذلك الى المواقف المعتدله والمتزنة نسبيا تجاه التى التزمت بها الدول الاوربية تجاه تطورات الصراع العربى الاسرائيلى خصوصاً بعد مجئ الليكود الى الحكم وتعثر عمليات التسوية بين اسرائيل والدول العربية . مما شجع الصحافة المصرية على الاشادة باستقلاليه ونزاهة الموقف الاوربى تجاه القضايا العربية وان كان ذلك لم يحل دون تصدى الصحافة المصرية لبدايات الصراع الاقتصادى الاوربى العربى فى رحلة العولمة والذى جسدته ازمه الاغراق للسلع المصرية .

٤ – اكدت هذه الدراسة صحه الفرض الثانى الذى يشير الى أن الولايات المتحدة الامريكية تستحوذ على الجزء الاكبر من مساحة الاهتمام الصحفى المكثف فى مجال الصوره التى تطرحها الصحافة المصرية عن الغرب فى المجال السياسى وقد برز ذلك سواء فى فترات الازمة التى تمثلها حرب الخليج او فى فترات السلم التى شهدت اختلافاً واضحاً فى الصور التى تطرحها الصحافة المصرية عن الولايات المتحدة والتى اتسمت بالسلبيه الشديدة وتلك الصور الايجابية والتى حواها الخطاب الصحفى المصرى عن الدول الاروبية رغم محدودية المعالجات الصحفية التى حظيت بها . ويعزى ذلك فى المقام الاول الى التطورات التى طرت على الساحه الدولية بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وانفراد الولايات المتحدة الامريكية بقيادة العالم من خلال السيطرة على اسواقه واستراتيچياته العسكرية والسياسية والسيطرة على شبكات الإتصالية والمعلوماتية .

٥ – رغم إنتماء غالبية الصفوه المثقفه من الكتاب و الصحفيين المصريين الى الثقافة الغربية وعلى الاخص الاوروبية حيث تعلمت فى إطار النظم التعليمية المستقاه من التراث الغربى الاوروبى ونهلت من مصادر الثقافة والفنون والابداع الاوروبى وإن كانت قد تاثرت بثقافة الصوره المرئية والمسموعة الامريكية التى تكتسح العالم فى الوقت الراهن .

إلا ان محاولة الإحتفال بمرور مائتى عام على العلاقات الثقافية بين مصر وفرنسا قد كشفت عن الانقسام الحاد داخل صفوف النخبة المثقفة فى مصر إذ عارض اغلب المثقفين المصرين فكرة الإحتفال اصلا خصوصا وانها تجرى فى سياق اسوأ أحداث الغزو العسكرى الذى تعرضت له مصر فى تاريخها الحديث والمتمثل فى الحملة الفرنسية [١٧٩٨ – ١٨٠١] . وجاء موقف الفئة المؤيدة محاولا التخفيف من واقع التبعية للفكر الاوربى وذلك بالحرص على التمييز بين الغزو الفرنسى لمصر وبين الآثار الثقافية التى خلفها هذا الغزو . وقد خاضت الصحافة المصرية هذه المعركة بكل تجلياتها حيث حملت صفحاتها اراء التنديد والاشادة وكشف عن مكونات الصراع الخفى بين هؤلاء الذين ينتمون بصوره شبه مطلقة الى الفكر الغربى ويحاولون طمس وتغييب حقيقة الادوار السياسية المعادية للعالم العربى والتى استهلها الغرب الاوروبى بالحملة الفرنسية وبين اولئك المثقفين الذين انبهروا بالتراث العقلانى الليبرالى للغرب ولكنهم يحتفظون بالذاكره الوطنية التى لهم و تراث المقاومة البطولية والتضحيات التى قدمها الاجداد دفاعا عن حقوق وكرامة وثروات الوطن فى مواجهة الغزاه الاوروبيين .

وقد أكدت هذه النتيجة صحة الفرض الثالث الذى اشار الى [ان صوره الغرب فى المجال الثقافى فى الخطاب الصحفى المصرى قد شهدت تباينا ملحوظا فيما يتعلق بايجابياتها وسلبياتها] .

٦ – كشفت الدراسة عن غياب صورة المرأة الغربية فى الصحافة المصرية إذ لم يتم عرضها إلا بشكل محدود وفى سياق يؤكد رسوخ نمط التبعية الإعلامية والثقافية للغرب لدى معظم القائمات بالتصال فى مصر ، وتتجلى هذه التبعية فى التشبه بالصور الذهنية التى تبناها الإعلام الغربى عن المرأة والتى تدور حول ادوارها التقليدية وسماتها الانثوية . ولذلك لوحظ إختفاء صوره المرأة الغربية العاملة والمبدعه والمناضلة فيما انتشرت صورة المرأة الجميلة والانيقة والمثيرة . وقد تاكد بذلك صحه الفرض الرابع الذى يشير الى ان [صورة المرأة العربية كما تقدمها الصحافة المصرية تعكس تبعية واضحة لاجندة اهتمامات وسائل الإعلام الغربية من حيث النزوع الى تقديم نماذج نسائية وعرض قضايا واهتمامات المرأة الغربية التى تركز على قيم العمل والابداعات لدى المرأة الغربية] .

الهوامش والمراجع

١ – آمال سعد المتولي : معالجة الصحف المصرية الحزبية والمستقلة لقضايا السياسة الخارجية ، رسالة دكتوراه [جامعة القاهرة : كلية الإعلام ، ١٩٩٦] .

٢ – حماد إبراهيم حامد : صورة الولايات المتحدة الأمريكية في الصحافة المصرية ، دراسة مقارنة بين حقبتي الستينات والسبعينات رسالة ماجستير [جامعة القاهرة : كلية الإعلام ، ١٩٨٦] .

٣ – إيناس محمد أبو يوسف : صورة العالم الثالث في الصحافة المصرية والأمريكية خلال الفترة من [٨٠ – ١٩٨٩ ، رسالة دكتوراه جامعة القاهرة : كلية الإعلام ، ١٩٩٥ .

٤ – Tayie Samy,:Images de la France et des francies Dans la Presse Egyptienne, Communication Research, Faculty of Mass Communication, Issue6,1991,pp.5-36.

٥ – حسن عماد عبد المنعم مكاوي : تدفق الأفلام الأجنبية في السينما والتليفزيون في جمهورية مصر العربية ، رسالة ماجستير ، [جامعة القاهرة : كلية الإعلام ، ١٩٧٩] .

٦ – عدلي سيد محمد رضا : تدفق البرامج من الخارج في تليفزيون جمهورية مصر العربية مع تحليل مضمون بعض المواد الأجنبية في التليفزيون العربي ، رسالة ماجستير ، [جامعة القاهرة : كلية الإعلام ١٩٨٩] .

٧ – انظر انيس منصور : رمواقف ، الأهرام ، ١٩٩٠/٨/٧ ، ص ١٥ .

٨ – انظر انيس منصور : مواقف ، الأهرام ١٩٩٠/١٠/٢ ، ص ١٤ .

٩ – انظر انيس منصور : مواقف ، ١٩٩٠/١١/١٠ ، ص ١٢ .

١٠ – انظر انيس منصور : مواقف ، ١٩٩٠/٨/١٣ ، ص ١٦ .

١١ – انظر انيس منصور : مواقف ، ١٩٩٠/٩/٢٢ ، ص ٢٠ .

١٢ – انظر انيس منصور : موافق ،١٩٩٠/٨/١١ ، ص ١٦ .

١٣ – انظر انيس منصور : مواقف ، ١٠/ / ١٩٩٠ ، ص ٢٦ .

١٤ – انظر صلاح منتصر : مجرد رأى ، الأهرام ، ١٩٩٠/٨/١٦ ، ص ٧ .

١٥ – انظر نجيب محفوظ : حرب الرهائن ، الأهرام ، ١٩٩٠/٩/٦ ، ص ٢ .

١٦ – انظر أحمد بهجت : صندوق الدنيا ، الأهرام ١٩٩٠/١٠/١٧، ص ٢ .

١٧ – انظر مرسي عطا الله : الأهرام ، ١٩٩٠/١٠/١٨.

١٨ – انظر إفتتاحية الأهرام ، ١٩٩١/١/٢٠ .

١٩ – انظر مجموعة من الكتاب المصريين والعرب : ملف أزمة الإعلام في أزمة الخليج ، مجلة الدراسات الإعلامية ، عدد خاص ٦٤ يوليو ، سبتمبر ١٩٩١.

٢٠ – انظر الأهالي ، ٢٥ ديسمبر ١٩٩٠ .

٢١ – انظر الأهالي ، يناير ١٩٩٠ .

٢٢ – انظر الأهالي . ٢٥ ديسمبر ١٩٩٠ – يناير ١٩٩١ .

٢٣ – انظر الأهالى ، نوفمبر الى يناير ١٩٩١ .
٢٤ – انظر الأهالى ، يناير ١٩٩١ .
٢٥ – انظر جريدة الشعب ، خلال الفترة من سبتمبر ١٩٩٠ – يناير ١٩٩١ .
٢٦ – سلامة أحمد سلامة : من قريب ، الأهرام ، ١٩٩٧/٤/٣٠ ، ص ٧ .
٢٧ – د . برهان غليون : نحو مراجعة تاريخية لأسس العلاقات العربية الأمريكية ، ١٩٩٧/٥/٥ ، ص ١١ .
٢٨ – رضا هلال : هوليود كل هذا العداء للعرب ، الأهرام ١٩٩٧/٤/١ ، ص ٧ .
٢٩ – عاطف الغمرى : أهمية ما قيل عن مصر فى مؤتمر إيباك ، الأهرام ، ١٩٩٧/٤/١٦ ، ص ١١ .
٣٠ – سلامة أحمد سلامة : نجاح هناك وفشل هنا ، الأهرام ، ١٩٩٨/٤/١٦ ، ص ٧ .
٣١ – هدى توفيق : كلينتون بين العرب واسرائيل ، الأهرام ، ١٩٩٧/٣/١٩ ، ص ١١ .
٣٢ – عامر سلطان : مشوار السلام ، الأهرام ، ١٩٩٧/٣/٢ ، ص ٩ .
٣٣ – منصور أبو العزم : العالم بين الهيمنة الأمريكية وتعدد الأقطاب ، الأهرام ، ١٩٩٧/٥/٢٠ ، ص ١٠ .
٣٤ – سامح عبد الله : التعاون الأوربى المتوسطى فى الأهرام ، ١٩٩٧/٤/٣٠ ، ص ٨ .
٣٥ – رضا هلال : كل هذا العداء للعرب ١٩٩٧/٤/١ ، ص ٧ .
٣٦ – المجدوب ، الأبعاد الاستراتيجية لأزمة الخليج ، الأهرام ١٩٩٧/٣/١٥ ، ص ٨ .
٣٧ – إحسان بكر : بعد أن صمتت المدافع ، الاهرام ١٩٩٨/٣/١ ، ص ١٠ .
٣٨ – د . أحمد إبراهيم محمود : حتى لا تقع أزمة عراقية أمريكية أخرى ، الاهرام ، ١٩٩٨/٣/١ ، ص ١٠ .
٣٩ – شهادة أمريكية بقلم د . أحمد عبد الرحمن : الشعب ، ١٩٩٧/٤/١ .
٤٠ – هدى مكاوى : اختراق المجتمع المصرى من خلال مراكز البحوث الشعب ، ١٩٩٧/٤/١ .
٤١ – جميل الطلياوى : الانتحار الجماعى وإفلاس أمريكا الروحى الشعب ، ١٩٩٧/٤/٨ .
٤٢ – محمد عبد القدوس : من النيل إلى الفرات ، هدف معلن لاسرائيل ولأمريكا الشعب ، ١٩٩٨/٨/٤ .
٤٣ – صلاح بديوى : استعدادات أمريكية اسرائيلية للإعتداء على إيران الشعب ، ١٩٩٧/٤/١٥ .
٤٤ – محمود سلطان : عدد ١٩٩٨/٨/٤ .
٤٥ – ربيع شاهين : أمريكا تستعد للعدوان على العراق بعد انسحاب بتلر ، الشعب ، ١٩٩٨/٨/٧ .
٤٦ – أمريكا تشن حرب بيولوجية ضد شعب العراق ، الشعب ، ١٩٩٨/٨/١١ .
٤٧ – صلاح بديوى : باتلر يفجر أزمة أخرى مع العراق وموقف جديد لواشنطن ، الشعب ، ١٩٩٨/٨/١٤ .
٤٨ – قطب العربى :أمريكا تستأثر بنصف تجارة السلاح العالمية وتثير النزاعات المحلية لتصريف اسلحتها ، الشعب ، ١٩٩٨/٨/١٨ .
٤٩ – على القماش : الأمريكان يقدمون عقد إذعان لتحويل أثر اسلامى إلى مقهى ومطعم ، الشعب ، ١٩٩٨/٨/٢١ .
٥٠ – أحمد سيد حسن : كامب ديفيد طوق نجاه لكلينتون وعرفات ونتنياهو ، الأهالى ، ١٩٩٧/٤/٩ .
٥١ – أحمد سيد حسن : وقفة مع الصديق ، الأهالى ، ١٩٩٧/٤/٩ .
٥٢ – اسماعيل صبرى عبد الله : ألفاظ ومعانى ، الأهالى ، ١٩٩٧/٩/١٢ .
٥٣ – محمد سيد أحمد : إدانة شعبيه شامله للبلطجة الأمريكية ، الاهالى ، ١٩٩٨/٨/٢٦ .
٥٤ –أبو المعاطى السندى:هل تنجح أمريكا فى جر أوروبا إلى حرب مقدسه ضد المسلمين ، الأهالى، ١٩٩٨/٨/٢٦ .

٥٥ – نبيل مجلي : عدوان أمريكي غير أخلاقي لتغطية فضيحة مونيكا ، الأهالي ، ١٩٩٨/٨/٢٦ .
٥٦ – نبيل مجلي : كلينتون المهزوز سجين البيت الأبيض ، الأهالي ، ١٩٩٨/٨/١٩ .
٥٧ – رأي الوفد ، عدد ١٩٩٨/٨/٩ .
٥٨ – سناء السعيد : نظرة موضوعية في السطوه الأمريكية ، الوفد ، ١٩٩٧/٤/٢٠ .
٥٩ – " كلينتون وبلير يناقشان سبل وقف هجمات الصين الوحشية " ، ١٩٩٨/٨/٨ .
٦٠– مجاهد العروسي:أوربا أغرقت مصر بتقاوي البطاطس الرديئة ورفضت دخول انتاجها ، الشعب ، ١٩٩٨/٨/١١ ،
٦١ – أشرف خليل : ٧ مليون سائح سنويا لامستردام ، الشعب ، ١٩٩٨/٨/١٨ .
٦٢ – أشرف خليل : بروكسل تشهد ميلاد الوحده العام القادم ، الشعب ، ١٩٩٨/٨/١٨ .
٦٣ – فتوح الشاذلي : تصاعد الأزمة بين مصر ودول الاتحاد الأوربي ، الوفد ، ١٩٩٨/٨/١٥ .
٦٤ – مصر ترفض الشروط لأوربية لاتفاقية الشركة ، الوفد ، ١٩٩٧/٤/٢٢ .
٦٥ – مصطفى عبد الغني : الحملة الفرنسية ورطانة المثقفين ، الأهرام ، ١٦ فبراير ١٩٩٨ .
٦٦ – مصطفى عبد الغني : الحملة الفرنسية الأمريكية ، الأهرام ، ٢٣ فبراير ١٩٩٨ .
٦٧ – كبرياء نابليون وآثرها على المصريون ، الأهرام ، يوليه ١٩٩٨ .
٦٨ – ديليسبس الأب : أخطر جاسوس لنابليون في مصر ، الأهرام ، ١٦ يونيو ١٩٩٧ .
٦٩ – وائل عبد الفتاح : وداعاً بونابرت : أهلا فارق حسني روزاليوسف ، ١٩٩٨/٢/١٦ .
٧٠ – عبد الله كمال : الحملة الفرنسية استعمار لاهزار ، شيخ الاسلام بونابرت ، روزيوسف ، ١٩٩٨/٢/٢٣ .
٧١ – محمد عودة : الحملة الفرنسية لماذا نحتفل وبماذا ؟ ، روز اليوسف ، ١٩٩٨/٥/٢٥ .
٧٢ – زينب عبد العزيز:الإحتفال بالحملة الفرنسية إحتفال باستعمارنا وإبادة علمائنا، الشعب ، ٢٠ ديسمبر ١٩٩٧ .
٧٣ – الحملة الفرنسية تنوير أم تزوير وركام من الأساطير تسجها الأباء والمؤرخون ورجال الثورة ، عرض هدى مكاوي ، الشعب ، ٢٦ مايو ١٩٩٨ .
٧٤ – حازم شحاته : تصريح مستفز جديد لوزير الثقافة : من يعارض الاحتفال بالحملة الفرنسية جاهل ، الأهالي ، ١٤ يناير ١٩٩٨ .
٧٥ – كامل زهيري يرد على منتقدي الاحتفالات المصرية – الفرنسية ، حوار مجدي حسين ، الأهالي ، ٢١ يناير ١٩٩٨ .
٧٦ – عطية الصيرفي : الأهالي ٢٨ يناير ١٩٩٨ .
٧٧ – تصريح لكامل زهيري : لن نحتفل بذكرى الحملة الفرنسية ولا نعيد ، الاعتبار لديليسبس ، المصور ، ١٩٩٨/٥/١٠ .
٧٨ – رغم رفض المثقفين واصرار الوزير ، بدأت إحتفالات الحملة الفرنسية ، حلمي نمنم ، المصور ، ١٩٩٨/١/٢ .
٧٩ – الجدل مستمر حول الاحتفال بمرور مائتي عام على الحملة الفرنسية :تحقيق محمود علي، الوفد ، ٢٠ ، يناير ١٩٩٨.
٨٠ – مجلة نصف الدنيا ، ٥ أبريل ١٩٩٨ .
٨١ – مجلة نصف الدنيا ، ١٢ أبريل ١٩٩٨ .
٨٢ – مجلة نصف الدنيا ، ٢٦ أبريل ١٩٩٨ .
٨٣ – مجلة حواء ، ١٨ أبريل ١٩٩٨ .
٨٤ – مجلة نصف الدنيا ، ١٩ أبريل ١٩٩٨ .

قضايا البيئة

بين

الصحافة والرأى العام

قضايا البيئة بين الصحافة والرأى العام

لقد تركت لنا الحضارة العربية قبل الإسلام إرثا أدبيا مرموقا تمثل فى الشعر الجاهلى الذى خلد علاقة التواصل الحميمة بين الانسان العربى وبيئته الصحراوية وإضافت الحضارة الإسلامية خاصة فى العصرين العباسى والأندلسى اضافات بازة فى الإهتمام بالبيئة الطبيعية تمثلت فى سياسات الحكام الذين أبدوا إهتماماً غير مسبوق فى العناية بتنمية الثروات الزراعية والإهتمام بالانواع النادرة من النباتات والحيوانات كما سجلت كتابات الشعراء والعلماء العرب هذا الجانب . ثم جاء كتاب وفلاسفه عصر النهضة الاوروبيين الذين طرحوا إبداعاتهم من خلال تصورهم لمجتمع جديد يعتمد على العلم وفلسفة العلوم كوسيلة اساسية لتغيير العالم والسيطرة على الطبيعة وتحقيق مستويات حياتية أفضل للبشرية . وقد تجسد ذلك بوجه خاص فى كتابات ديكارت وفرانسيس بيكون وعلى الاخص فى كتابه المعروف باسم [اطلنطا الجديدة] [١].

ومع انطلاقة الثورة الصناعية فى أوروبا وامتلاك الاوروبيين للقدرة التكنولوجية التى ساعدتهم على إجراء تعديلات جوهرية على البيئة الأوروبية ثم تنامى وإتساع مجالات الصناعة الآلية الحديثة بسمتيها الاساسيتين المتمثلتين فى شهيتها غير المحدودة للطاقة والمواد الأولية وحاجتها المتزايدة إلى أسواق جديدة مما دفع الاوروبيين إلى عمل لم يسبق له مثيل فى التاريخ الا وهو غزو كل بقاع الارض المعروفة آنذاك والمجهولة وكان ذلك ايذانا ببدء مرحلة الاستعمار الاوربى لمجتمعات الجنوب والذى يجسد أبشع أشكال العنف التاريخى حيث أدى إلى تفكك البيئة فى دول الجنوب بإخضاعها لمنطق الآلة وعدوانه على البيئات الزراعية بتغيير معالمها العمرانية وإدخال معالم عمرانية تخدم ثقافة الغزاه على حساب الثقافات المحلية

وفرض نمط إنتاج إستغلالى أدى إلى ازدياد مساحات الفقر وتفاقم ظاهرة النزوح إلى المدن أو خارج الأوطان [٢].

ولقد برزت مشاكل البيئة بصفة ملحة عندما اتضح إختلال التوازن بين الإنسان وبيئته فبعدما كانت البيئة بناء حضرياً متماسكاً يتجاوب مع حاجات الإنسان ويساهم فى نموه وازدهاره الثقافى أصبحت البيئة محيطاً مختل البناء يخضع لقوى عملاقة طاغية هى قوى التكنولوجيا ورؤوس الاموال حيث تتوارى فيه إنسانية الانسان وقيمة الروحية وهويته الثقافية ويسيطر عليه الإحساس بالغربة والاستلاب .

وفى إطار التداعيات السلبية التى أفرزها التقدم التكنولوجى فى الدول الصناعية فى الشمال طرحت تحديات بيئية جديدة لم تعد مناقشتها والإهتمام بحلها مقصوراً على الدوائر العلمية فحسب . بل ادت بعض الكوارث البيئية الناتجة عن تلوث الهواء والماء والتى تعرضت لها بعض المناطق الصناعية فى اوروبا والولايات المتحدة إلى تصاعد الوعى البيئى لدى الشعوب الأوروبية والامريكية خلال حقبة الخمسينيات أما الستينيات فقد شهدت إتساع مظاهر الاحتجاج الشعبى الامريكى ضد حرب ڤيتنام وعلى الاخص ضد إستخدام القوات الامريكية للمبيدات التى إستخدمت ضد الڤيتناميين . كما كان لصدور كتاب راشيل كارسون فى نهاية عام ١٩٦٣ الذى سلط الضوء على الآثار السلبية للتكنولوجيا والمبيدات الكيماوية الحشرية تأثيراً حاسماً فى موافقة الكونجرس الامريكى على إصدار قانون السياسة الوطنية للبيئة عام ١٩٦٩ ويقضى بضرورة دراسة الآثار السلبية للمشروعات الصناعية قبل الترخيص باقامتها [٣].

هذا وقد تواصل الإهتمام الجماهيرى بقضايا البيئة فى كل من أوروبا وكندا واليابان وبعض الدول النامية حتى عام ١٩٦٩ ، عندما اقترحت حكومة السويد عقد مؤتمر الامم المتحدة بشأن حماية البيئة البشرية عام ١٩٧٢ فى استوكهولم . ويعد

هذا المؤتمر أهم نقطة تحول فى تاريخ الرعى البيئى ولعل من أبرز انجازاته انشاء برنامج الامم المتحدة للبيئة فى نفس العام .

وقد أوضح هذا المؤتمر الطابع العلمى لمشكلات البيئة رغم إختلاف أولوياتها فى دول الشمال عنها فى دول الجنوب كما أبرز المفهوم الشامل لقضايا البيئة الذى يتجاوز النظرة التقليدية القاصره على جوانب البيئة الطبيعية ويؤكد على علاقة البيئة وتأثرها بالاوضاع السكانية والاجتماعية والحضارية ونسق العلاقات الدولية السائدة وعلى الأخص التعاون الاقتصادى الدولى الذى يشمل قضايا الديون والتجارة والاعانات .

هذا وقد اضطلعت الجماعات العلمية والمنظمات غير الحكومية بدور رئيسى فى النهوض بحركة الوعى البيئى حيث قدم علماء البيئة اسهامات بارزة فى مجالات الزراعة والصحة العامة ونبهوا مبكراً الى الاخطار البيئية الناجمه عن سوء استخدام الموارد وكثافة إستخدام التكنولوچيا . وقد أسهم التفاعل بين هؤلاء العلماء والمنظمات غير الحكومية ووسائل الإعلام فى خلق وعى جماهيرى متزايد بالقضايا البيئية مما خلق بدوره ضغوطا سياسية دفعت الحكومات الى اتخاذ مواقف مسئوله إزاء مشكلات البيئة .

وهناك ثلاث توجهات أساسية سيطرت على مواقف وإتجاهات حماة البيئة . يطالب انصار التوجه الأول بضرورة إرساء تشريعات بيئية قويه ويركزون على الحلول التكنولوجية لمشكلات البيئة . أما التوجه الثانى فيركز أصحابه على ضرورة تشجيع جماعات الضغط للتأثير ، على صناع القرار لانتهاج السياسات الكفيلة بحماية البيئة من الاخطار التى تتهددها . ويتبنى أنصار التوجه الثالث رؤية نقدية لقضية التكنولوچيا والطاقة حيث يدعون إلى ضرورة العمل على تطوير تكنولوچيا

بديله وتشجيع الإعتماد الجماعى على الذات وينتمى أغلب أنصار هذا التيار الى دول الجنوب[٥].

الإعـلام والبيئة:

قبل أن نتطرق الى تناول مسئوليات الإعلام تجاه قضايا البيئة سواء فى دول الشمال الصناعى المتقدم أو دول الجنوب النامى علينا أن نشير فى عجاله الى بعض الحقائق التى تلقى بظلالها السبنية والايجابية على كافة الممارسات البيئية والإعلامية معا **أولها** : ان العالم لايزال يعيش فى ظل نظام اقتصادى وسياسى واجتماعى وحضارى تعمل آلياته تلقائيا لصالح المركز الذى يتكون من عدد محدود من الدول الغربية ويفرض سياساته على الاطراف أى دول الجنوب من خلال أساليب متنوعة تتفاوت ما بين القوه العسكرية التى تستخدم فى العدوان المباشر أو التهديد به واشكال الهيمنه الاقتصادية التى تشمل مجالات الصناعه والتكنولوچيا ورؤوس الأموال وأخيراً انماط السيطرة الإعلامية التى تتمثل فى وكالات الانباء الغربية والاقمار الصناعية ووكالات الإعلان - تكنولوچيا الإتصال وبنوك المعلومات .

ثانيا : الدور الذى تقوم به الشركات المتعدده الجنسية فى مجال الإعلام البيئى والمعروف انها تزيد عن ٣٧ ألف شركة عالمية تهيمن على ٨٠٪ من التجارة العالمية و٧٥٪ من الاستثمارات الخارجية وتتحكم فى نقل التكنولوچيا وتفرز مصانعها نصف الغازات المسببه للتغيرات المناخية . وهناك علاقة ود مفقود بين هذه الشركات وجماعات حماية البيئة . ولقد عمدت هذه الشركات الى إنشاء مكاتب للعلاقات العامة تنتشر فى كافة انحاء العالم وتعمل بدأب ومثابره على استقطاب رجال الإعلام والعمل على تحويلهم الى أدوات دعائية لها من خلال إتخاذ مواقف حيادية أو سلبية تجاه قضايا البيئة او إستخدامهم لخلق البلبله لدى الرأى العام

عندما تستفحل الأمور البيئية ويصبح من المحال تفاديها كما تستعين هذه الشركات بوكالات الإعلام لمواجهة خصومها من أنصار حماية البيئة .

ثالثا : الدور الذى تقوم وكالات الاعلان الدولية [٢٥ وكالة دولية منها ٢٢ وكالة امريكية] فى الترويج للتكنولوچيا الملوثه للبيئة وتشجيع الانماط الاستهلاكية التى تهدف فى الاساس الى الحاق الضرر بخطط التنمية الوطنية فى دول الجنوب فضلا عن تأثيرها السلبى على حرية الرأى فى وسائل الإعلام . ولا شك أن هذه الاعلانات تضع وسائل الإعلام فى مأزق حرج يهدد مصداقيتها امام الرأى العام إذ انها تتبنى الدفاع عن قضايا البيئة والتنمية المتواصلة وفى ذات الوقت تنفرد صفحتها وتخصص بعض برامجها للاعلان عن السلع الملوثه للبيئة والمهدده للصحة العامة [٦].

رابعا : التقدم التكنولوچى الهائل الذى أحرزته وسائل الإعلام ووصولها الى مجموعات سكانية متنوعة وعدم أقتصارها على سكان المدن والعواصم مما أدى إلى حدوث تحول اساسى فى طبيعة الادوار والوظائف الى تقوم بها وسائل الإعلام المقروء والمرئى والمسموع فى معالجاتها لمختلف أوجه النشاط الاجتماعى والسياسى والثقافى وفى قلبها قضايا البيئة والتى تتحدد اصلا وفق القوانين العامه التى تحقق مصالح القوى الاجتماعية التى تتحكم فى مصادر الثروة الاقتصادية والسلطة السياسية .

وتشير الدراسات والبحوث الى ان نقطة الانطلاق فى الإهتمام الإعلامى بقضايا البيئة قد بدأت ثم تنامت وأتسعت بعد مؤتمر ستوكهلم الذى يعد البداية العالمية للوعى البيئى خصوصاً وأنه أكد على حق الانسان فى الإعلام البيئى ضمن الاعلان الدولى عن حقوق الانسان البيئية الذى اصدرة عام ١٩٧٢ . وقد لعب برنامج الأمم المتحدة للبيئه الذى يعد من ابرز ثمار هذا المؤتمر دوراً بارزاً فى تزايد

الإهتمام الإعلامى بقضايا البيئة منذ نهاية السبعينات وطوال حقبة الثمانينات حتى بلغ ذروته العالمية فى مؤتمر الارض فى البرازيل ١٩٩٢ .

وتؤكد كافة الدراسات التى اجريت للتعرف على مستوى الوعى البيئى السائد فى دول الشمال الصناعى على أن وسائل الإعلام المقروء والمرئى والمسموع تلعب دوراً مركزياً فى تشكيل الوعى البيئى لدى الجمهور العام سواء فى إطار تزويده بالمعلومات البيئية الصحيحة أو فى تشكيل الاتجاهات والمواقف تجاه قضايا البيئة وأيضا فى تحديد الاولويات البيئية على كافة المستويات المحلية والاقليمية والدولية . ويتفاوت الدور الذى تقوم به كل وسيلة إعلامية فى المجال البيئى طبقا للقدرة الذاتية على التأثير التى تنفرد بها كل وسيلة مقروءه كانت او مرئية ومسموعه .... فقد أوضحت إستطلاعات الرأى التى اجريت فى هذا الصدد على ان التليفزيون يتقدم سائر وسائل الإعلام كمصدر رئيسى للمعلومات البيئية بالنسبة للجمهور العام فى الريف والحضر بينما شغلت الصحافة المرتبة الأولى بالنسبة للنخب المثقفة والقيادات والخبراء فى إستقاء المعلومات ومتابعة القضايا البيئية .

ولا شك ان ارتفاع معدلات الاميه وأنتشار العوز الاقتصادى والجمود الاجتماعى فى اغلب دول الجنوب النامى يؤثر بصورة حاسمه على مستوى وفاعلية وسائل الإعلام فى تشكيل الوعى البيئ . فى مصر على سبيل المثال يعتبر التليفزيون والصحف المصدران الرئيسيان للمعلومات البيئية سواء بالنسبة للجمهور العام او الصفوه فى المدن والمراكز الحضرية اما فى الريف يسود الراديو والتليفزيون وفى المناطق النائية يعتبر الراديو هو المصدر الرئيسى للمعلومات والأخبار [٧] .

نماذج الاهتمام الإعلامى بالبيئة :

تشير الخبرة العالمية فى هذا المجال إلى وجود نموذجين رئيسيين يسيطران على خريطة الإهتمام الإعلامى بالبيئة فى شمال العالم وجنوبه يعتمد النموذج

الاول ، على الإهتمام الموسمى المؤقت المرتبط بالأزمات والنكبات البيئية وغالبا ما يصاحبه نمط التغطية الإعلامية القائم على الإثاره والاكتفاء بالجوانب الصارخة فى الاحداث البيئية وتحاشى الاشارة الى أسباب مع الميل الى التهويل والمعالجة السطحية علاوة على إنتهاء الإهتمام الإعلامى بإنتهاء الحدث وعدم الحرص على متابعته أو تفسير اثارة . ولاشك ان هذه المعالجات المبتوره والمتعجله لا تعرض المشكلات والقضايا البيئية فى سياقها الصحيح مما يؤدى الى التضليل احياناً علاوة على تشويه الوعى البيئى ويرى اصحاب هذا النموذج الذى مازال يسيطر على ضفتى العالم شماله وجنوبه ان الإهتمام بقضايا البيئة لا يزيد عن كونه إستجابه لما تفرضه إحتياجات السوق الإعلامية . وقد يفسر ذلك كثيراً من السمات السلبية التى يتسم بها هذا النموذج الذى يستمد اسسه النظرية من المفهوم الغربى الذى يركز على الوظاعف التسويقية للإعلام ويحصر ادواره فى تلبية إحتياجات السوق دونما النظر إلى وظائفه التربوية والتثقيفية .

ويلعب المفهوم الغربى للإعلام الخبرى واولوياته دوراً رئيسياً فى تكريس انماط التغطية المشوهة لقضايا البيئة . وتتفاقم المحنة عندما يتعلق الأمر بكارثة بيئيه تقع فى جنوب العالم ففى ضوء اشكال السيطرة الإعلامية المتعددة التى يمارسها الإعلام الغربى على وسائل الإعلام بالدول النامية تبرز أمامنا حقيقة القيم التى يتبناها الإعلام الغربى ويمارسها فى معالجاته ومواقفه من شعوب الجنوب ويمكن الاستشهاد بالعديد من الامثله ابرزها تغطية زلزال تانج شان فى الصين عام ١٩٧٦ والذى راح ضحيته ما يقرب من مليون شخص والتى استغرقت ٩ دقائق فقط فى جميع شبكات التليفزيون الامريكى هذا بينما استغرقت تغطية حادث تشير نوبل فى الاتحاد السوفيتى ١٩٨٦ [١٢٩ دقيقة] رغم أن ضحاياه لم يتجاوزوا ٣١ قتيلا .

كذلك تخضع المعالجات الإعلامية لقضايا البيئة فى اطار هذا النموذج لآليات المنافسة التى تفرضها السوق الإعلامية الغربية ، ويمكن الأستشهاد بالعديد من

الأمثلة واكثرها وضوحا مشاكل الجفاف والقحط فى افريقيا ، فقد لوحظ انه عندما اذاعت محطة الـ بى . بى . سى البريطانية أول تقرير عن المجاعة فى اثيوبيا عام ١٩٨٤ علقت صحيفة سن البريطانية التى تتميز بإتساع قاعدة قرائها [١١مليون] بأنها لا تهتم بهذا الموضوع ولا تضعه على قائمة اولوياتها ولكن بعد مرور خمسة ايام نشرت مانشيت عن [السباق فى إنقاذ الاطفال ضحايا المجاعة فى اثيوبيا] وكذلك كان رد فعل شبكات الاذاعة والتليفزيون البريطانى بالنسبة لهذا الموضوع ولعل ذلك يفسر مدى تأثير عوامل المنافسة الإعلامية التى تحدد مواقف الصحف وسائر وسائل الإعلام تجاه قضايا البيئة [٨].

أما **النموذج الثانى** للاهتمام الإعلامى بقضايا البيئة فهو يعتمد على النظرة المتكاملة لهذه القضايا سواء فى علاقتها العضوية بالقضايا المجتمعية الاخرى [السياسة والاقتصادية والثقافية] أو فيما تتميز به من سمات الاستمرارية وعدم الانقطاع مما يستلزم معالجات إعلامية تتسم بالشمول ومتابعة إعلامية متصلة وغير متقطعة ولاتقتصر فقط على الازمات والنكبات . ويطرح هذا النموذج نمطين من أنماط المعالجة الإعلامية للبيئة وهما النمط التعليمى والنمط النقدى . ويرتكز النمط التعليمى على رؤية ترى أن نشر المعلومات الصحيحه عن البيئة ليس كافياً بل لابد من توعية الجمهور بحقوقه البيئية والمسئوليات المترتبة على هذه الحقوق اما النمط التربوى النقدى فهو يضيف إلى النمط السابقة إهتمامه بمحاولة إشراك الجمهور فى عملية تقييم الموضوعات البيئية التى تنشرها وتذيعها وسائل الإعلام بحيث يسهم المتلقى فى تعديلها او تطويرها .

ويتميز النمط النقدى فى معالجة قضايا البيئة بقدرة اصحابه من الصحفيين والإعلاميين على تقديم رؤية نقدية لكشف كافة اشكال التضليل الإعلامى التى يقدمها انصار النموذج الأول كذلك يمتلكون القدرة والامكانيات المعرفية على مواجهة إدعاءات الحكومة وأصحاب المصالح التجارية والصناعية الذين يحاولون تجميل وجه سياساتهم ومشروعاتهم الضارة بالبيئة .

ويحرص أصحاب هذا الإتجاه [النقدى] على الإنطلاق من المستوى الواقعى لوعى الجماهير بقضايا البيئة وربط المعالجات الإعلامية بالمصالح الاقتصادية والاجتماعية والإهتمامات والقيم الثقافية للجماهير كأفراد وجماعات فى إطار ظروفهم وإمكانياتهم الفعلية مع العمل على إبراز العلاقة الجدلية بين مشكلات البيئة والمشكلات الحياتية للجماهير ومدى تأثير ذلك على مستوى ونوعية الحياة وذلك بالإكثار من نشر التجارب الاخرى للشعوب التى نجحت فى القضاء على بعض المشكلات البيئية بإعتبارها جزء من المشكلات الحيوية التى تمس مصالح الجماهير بصورة مباشرة وليس فقط بإعتبارها جزء من إهتمامات الدولة أو بإعتبارها مشكلات عالمية لا يقدر على حلها الأفراد .

وتتميز التغطية الإعلامية لقضايا البيئة فى إطار هذا النموذج بالطابع التربوى الذى يراعي التدرج فى عرض المشكلات البيئية ونشر إسهامات الجماعات غير الحكومية ومتابعة الأزمات البيئية بصورة علمية هادئة طويلة النفس مع تجنب التهويل او المبالغة .

ويرى أصحاب هذا الاتجاه بأن إستجابة الجمهور بالإسهام فى حل مشكلات البيئية يرتبط بمدى حصول افراد هذا الجمهور على حقوقهم المعيشية فى العمل والسكن والتعليم والعلاج والمشاركة السياسية فالمواطن المحروم من حقوقه الاساسية لا يستطيع ولا يرغب فى الإسهام فى حل المشكلات البيئية .

ولا شك أن التحدى الذى يواجه النمطين التعليمى والنقدى يأتى من سيطرة النمط الاول القائم على الإثاره والتغطية الجزئية المشوهة لقضايا البيئة على معظم المواد الإعلامية المقروءه والمرئية والمسموعة حيث تقع وسائل الإعلام فى اغلب الاحيان كفريسه فى ايدى اصحاب هذا النمط الذين يستخدمونها للترويج لسياساتهم ومصالحهم فى إطار تنافسى بغيض يقوم على حجب المعلومات عن

الجمهور مما يتعارض مع ميثاق الحقوق البيئية الذى ينص على حق كل مواطن فى الإعلام البيئى الصحيح والمتكامل . ولا تقتصر سلبيات التغطية الإعلامية لاحداث البيئة على ما سبق اليه بل تكتمل الحلقة السلبية بعامل آخر يتمثل فى قصر نفس وسائل الإعلام التى لا تقف طويلا امام أى مشكلة او قضية بيئية تحتاج الى جهد إستثنائى لمتابعتها وتفسيرها من خلال تنويع القوالب الإعلامية المستخدمة فى عرضها ومعالجتها مما ينعكس بصورة سلبية على الإهتمام الجماهيرى الذى يظل يلهث خلف اى حدث جديد تحتضنه وسائل الإعلام دون ان يتاح له فرصة تكوين موقف متكامل تسنده المعرفة العلمية والاراء المختلفة حول اى قضية او حدث بيئى [٩] .

ازمة الإعلام البيئى فى الوطن العربى :

رغم الإسهامات الهامة التى قدمها الإعلام الدولى والمحلى على امتداد العقدين الماضيين فى جعل المشكلات البيئية جزء من قضايا الرأى العام حيث اصبحت البيئة قضية حيه منظورة لدى كل من النخب المثقفة والجمهور العام . كذلك أكدت الدراسات الغربية ان البيئة اصبحت تحتل موقع متقدما فى قائمة الإهتمامات الإعلامية اذ تشغل المركز الثانى فى قضايا العلم والتكنولوجيا بعد الطب والصحة كما إشارت إستطلاعات الرأى التى اجريت فى كل من كندا وبريطانيا والولايات المتحدة ومصر الى ان موقع البيئة يتراوح بين المرتبة الاولى والثانية لدى الرأى العام الذى اتضح فى اجاباتهم عن السؤال الشائع ما هى المشكلات التى تواجه المجتمع فى الوقت الحالى ؟

رغم كل هذا الإهتمام الإعلامى الذى تحظى به قضايا البيئة إلا أن الخبرة العالمية والمحلية تشير الى مجموعة من السلبيات التى تتمحور حول الرؤية الخاطئة لمفهوم البيئة لدى الإعلاميين مما أدى الى ما يلى :

١ – احادية المعالجة الإعلامية .

٢ – الإقتصار على التغطية الخبرية وقلة التحقيقات الصحفية الموثقة عن البيئة .

٣ – النخلط بين الموضوعات الاعلانية المدفوعة الاجر والموضوعات الإعلامية .

فضلاً عن إنحياز أغلب هذه المعالجات لوجهة نظر الحكومات بسبب إعتمادها على المصادر الرسمية . علاوة على الإهتمام بالقضايا البيئية العالمية على حساب القضايا المحلية .

ولاشك ان هذه السلبيات وسواها تعكس المعوقات العديدة التى تحول دون توصيل الرسالة البيئية الى جمهورها كما تفصح عن فشل وسائل الإعلام فى القيام بدورها التثقيفى فى مجال البيئة . ومن ابرز هذه المعوقات :

١ – قصور مفهوم البيئة لدى الإعلاميين وإفتقارهم الى التأهيل العلمى المتخصص والثقافة البيئية المتكاملة علاوة على قلة الدورات التدريبية التى يشاركون فيها والتى يمكن ان تسهم فى تطوير إمكانياتهم المهنية .

٢ – إنعدام وقلة المصادر المعرفية الدائمة والمتجددة عن القضايا والمشكلات البيئية .

٣ – الدور السلبى الذى يقوم به أصحاب المصالح التجارية والصناعات المعادية للبيئة فى شراء سكوت الصحفيين والإعلاميين عن طريق الاعلانات وغيرها من الاساليب المقنعه .

٤ – غياب إستطلاعات الرأى التى تحدد مستويات الوعى البيئى لدى الشرائح المختلفة للجمهور العام والنوعى والتى تساعد فى رسم السياسة الإعلامية الخاصة بالبيئة وتتيح للقائمين بالإتصال حسن إختيار المضامين البيئية والاساليب الإعلامية الملائمة لتوصيل الرسالة البيئية الى جمهورها .

٥ – الإعتماد على المعلومات البيئية المترجمه والتى تعكس الاولويات البيئة فى دول الشمال المتقدم صناعياً .

٦ – غياب التنسيق بين كافة الاطراف المعنيه بالإعلام البيئى فى مصر وفى

مقدمتها وسائل الإعلام المقروء والمرئى والمسموع من ناحية وبين الباحثين البيئيين والإعلاميين وبين هؤلاء جميعا و الشركات الصناعية والمعلنين مما يؤدى الى بعثرة الجهود وتكرارها وأنغلاق دائرة الإهتمام بالبيئة على فئات محدوده من المتخصصين وأصحاب المصالح[١٠].

الراى العام العربى والاولويات البيئية :

يختلف الإهتمام الجماهيرى بالمشاكل البيئية الوطنية من بلد الى آخر كما يختلف من مكان الى آخر فى نفس البلد وفى ضوء الوعى البيئى بصورته الراهنة تبرز مجالات جديدة للصراع والاختلاف الجذرى بين الدول الصناعية والدول النامية وبين حماية البيئة والنمو الاقتصادى وبين الاجيال الحالية والاجيال القادمة ولاشك أن الجدل حول هذه القضايا سوف يستمر لفترة طويلة فى القرن المقبل وما بعده . وتعد إستطلاعات الرأى العام من ابرز الاساليب العلمية ذات المصداقية العالية للتعرف على مستوى ونوع الوعى البيئى السائد كما تساعد على تحديد الاولويات البيئية لدى القطاعات المختلفة من الرأى العام الشعبى والرسمى . ويلاحظ ان إستطلاعات الرأى التى اجريت فى نهاية الستينات واوائل السبعينات كانت تركز على قضايا بيئية محلية محددة مثل تلوث الهواء أو المياه بينما شملت إستطلاعات الرأى التى اجريت خلال حقبة الثمانينات القضايا البيئية الوطنية والاقليمية والعالمية الى جانب القضايا المتعلقة بالاوضاع الاجتماعية الاقتصادية والسياسات البيئية والتنمية ونوعية الحياة[١١].

ويلاحظ أن معظم إستطلاعات الرأى التى اجريت حول الاولويات البيئية ومحاور الإهتمام البيئى قد تمت فى الدول الصناعية وعلى الاخص الولايات المتحدة واليابان وكندا واستراليا بينما لم يتوفر للدول النامية إستطلاعات رأى مماثلة ، والإستطلاع الوحيد الذى إتسم بطابع شبه عالمى [رغم التحفظات والمآخذ العلمية على العينة والإجراءات] يتمثل فى المسح المتعدد للجنسيات الذى قامت به شركة

لويس هاريس الامريكية بتكليف من برنامج الامم المتحدة للبيئة للتعرف على إتجاهات ومفاهيم الجماهير والقيادات للقضايا البيئية وشمل ١٤ بلدا [١٢] .

ورغم إختلاف الاولويات البيئية لدى كل من الرأى العام المنتمى للدول الصناعية والاخر الذى يعبر عن الدول النامية طبقا للنتائج التى تم الحصول عليها من هذا المسح ، غير ان السمة المشتركة بين الدول الصناعية والنامية تتمثل فى ان الرأى العام أصبح بوجه عام يستثار بشدة عند وقوع أحداث بيئية خطيرة فمثلاً وصل الإهتمام الجماهيرى بالمواد الكيماوية الخطرة والقوة النووية ذروته عقب حوادث سيبرو [١٩٧٦] ، وبوبال [١٩٨٤] ، والراين [١٩٨٦] وتشير نوبل [١٩٨٦] .

وهنا يبدو واضحاً مدى تأثر الرأى العام بتغطية وسائل الإعلام لهذه الحوادث. كما أظهر هذا الإستطلاع إتفاقاً عاماً بين الجمهور والقيادات حول المشاكل الرئيسية التى تعانى منها البيئة والتى تتمحور حول تدهور الاراضى الزراعية والتصحر وإزالة الغابات وتلوث المياه وتغيرات المناخ والإشعاع وتلوث الهواء والنفايات الكيمائية . ويلاحظ أن الجميع يتطلع الى بيئة صحية سليمة الا ان اختلاف الاحوال الاقتصادية يخلق وجهات نظر متباينة واحياناً متصادة حول مشاكل البيئة ، فالدول الصناعية تعتبر تلوث الهواء خطرا على الصحة ولكنها تبدى اهتماماً أكثر بتردى نوعية الحياة وكثيراً ما تمتد اهتمامات هذه الدول الى المستقبل البعيد/فهى تهتم بمشكلات مثل الدفء العالمى وتدمير طبقة الاوزون أما الدول النامية فينصب اهتمامها على الحياة ذاتها بدلاً من نوعية الحياة ولذلك تشغلها مشكلات أخرى فورية وعاجلة مثل ندرة المياه العذبة والتصحر وتدهور الاراضى [١٣] الزراعية كما انها تعطى أولوية للنمو الاقتصادى . وقد كشفت دراسة فى الرأى بين الجمهور والخبراء حول بعض القضايا البيئية عن اختلافات جذرية فبينما اعرب الجمهور عن إهتمامه الكبير إزاء الطاقة النووية والنفايات المشعة وحوادث المصانع الكيميائية ، صنف الخبراء هذه القضايا على انها ذات خطورة متوسطة أو محدودة .

وعلى النقيض وضع الخبراء قضايا مثل مبيدات الافات وتلوث الهواء داخل المبانى وتعرض العمال للمواد الكيماوية وإرتفاع حرارة العالم فى مرتبة عالية من الخطورة بينما إعتبرها الجمهور ذات خطورة متوسطة أو محدودة . ويعزى هذا التباين فى الرأى بين الجمهور والخبراء الى عدة اسباب أولها [طبقا لتفسير وكالة الحماية البيئية الامريكية] ان الجمهور لم تتح له جميع المعلومات التى اتيحت للخبراء فضلاً عن الاختلاف فى مفهوم الاخطار لدى كل من الجمهور والخبراء [١٤] .

ونضيف الى ذلك سبباً آخر لا يقل أهمية ويتعلق بالدور الذى تلعبه وسائل الإعلام المقروء والمرئى والمسموع فى تشكيل الوعى البيئى وتحديد الاولويات البيئية لدى الجمهور وهذا يقودنا الى الإشارة بالتفصيل الى النتائج التى اسفرت عنها بعض الدراسات والبحوث العربية التى اجريت مؤخرا للتعرف على إتجاهات الجمهور [الصفوة - الجمهور العادى] فى كل من مصر وسلطنة عمان إزاء قضايا ومشكلات البيئة[١٥].

وقد أسفرت هذه الدراسات عن مجموعة من النتائج الهامة نوجزها على النحو التالى :

[١] ان هناك إدراكاً صحيحاً من جانب الصفوة المصرية والعمانية وقضايا البيئة سواء على المستوى العالمى أو المحلى - هذا بخلاف الجمهور العادى الذى سمع عن مشكلات البيئة وان لم يتضح نوع او مستوى إدراكه للقضايا البيئية .

[٢] اتفق كل من الصفوة والجمهور العادى فى مصر على أن الانفجار السكانى والتلوث يعتبر ان من أهم القضايا البيئية بينما تبين ان اهم المشكلات البيئية التى يعانى منها العالم فى رأى الجمهور العام فى سلطنة عمان هى التلوث بكافة مجالاته ثم ثقب طبقة الاوزون ويليه التصحر وعلى المستوى المحلى جاءت مشكلة الملوحة فى المياه نتيجة سوء إستخدام المياه الجوفية على صدر قائمة الاولويات البيئية .

[٣] تصدر التليفزيون قائمة المصادر التى امدت الجمهور العام [صفوة - جمهور عادى] بالمعلومات عن قضايا البيئة ومشكلاتها يليه الصحف والمجلات ثم الاذاعة.

وسائل الإعلام والبيئة:

أكدت الدراسات العديدة التى اجريت فى كل من الدول الصناعية المتقدمة فى الشمال والدول النامية فى الجنوب للتعرف على مستوى الوعى البيئى السائدة فى هذه الدول ان وسائل الإعلام المقروء والمرئى والمسموع تلعب دوراً مركزياً فى تشكيل الوعى البيئى لدى الجمهور العام سواء فى مجال تزويده بالمعلومات الكامله والصحيحه عن قضايا البيئة أو فى تشكيل الإتجاهات والموقف تجاه هذه القضايا وايضا فى تحديد الاولويات البيئية على كافة المستويات المحلية والاقليمية والدولية وهناك مجموعة من الإعتبارات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية تحدد الادوار المتشابكة التى تقوم بها وسائل الإعلام فى مجال تشكيل الوعى البيئى بصورة صحيحة أو تزييف هذا الوعى وكذلك يتفاوت الدور الذى تقوم به كل وسيلة إعلامية فى هذا المجال طبقا للقدرة على التأثير والفاعلية الذاتية التى تنفرد بها كل وسيلة اعلامية مقروءة كانت أم مرئية ومسموعة ، فقد أجمعت استطلاعات الرأى التى اجريت فى كل من دول الشمال الصناعية المتقدمة ودول الجنوب النامية على ان التليفزيون يتقدم سائر وسائل الإعلام كمصدر رئيسى للمعلومات البيئية بالنسبة للجمهور العام فى الريف والحضر بينما شغلت الصحافة المرتبة الاولى بالنسبة للنخب المثقفة والقيادات والخبراء فى إستقاء ومتابعة القضايا والمشكلات البيئية ، فقد أوضحت الدراسات الأمريكية ان الصحف والتليفزيون تمثل المصادر الرئيسية [١٦] للمعلومات البيئية وبينت انه كلما زاد تعليم الكبار زاد تفضيل الصحف على التليفزيون ، هذا بينما أوضحت الدراسات التى إجريت فى بريطانيا ان اكثر من نصف العينة المدروسة يثقون فى برامج التليفزيون بشأن التاثيرات البيئية للقوة النووية و ٣٣٪ فقط اعربت عن ثقتها بالصحف والمجلات [١٧].

ويلاحظ ان إرتفاع معدلات الامية وإنتشار العوز الاقتصادى فى دول الجنوب النامى يؤثر بصورة حاسمه على دور وفاعلية وسائل الإعلام فى تشكيل الوعى البيئى فمثلاً يعتبر التليفزيون الصحف فى مصر هما المصدران الرئيسيان للمعلومات البيئية سواء بالنسبة للجمهور العام او الصفوة فى المدن الرئيسية والمراكز الحضرية أما بالنسبة للمناطق الريفية يسود الراديو والتليفزيون . وفى المناطق النائية يعتبر الراديو هو المصد الرئيسى للمعلومات والاخبار [١٨] وقد تفاوتت هذه المؤشرات فى دراسة أخرى اجريت الإستطلاع الرأى العام فى سلطنة عمان حول القضايا البيئية اذ جاءت الصحف فى المقدمة [٤٠٪] تلتها الاذاعة المسموعة [٣٦٪] ثم التليفزيون [٣٠٪] بالنسبة للجمهور العام اما بالنسبة للقيادات فقد شغل الراديو المرتبة الاولى وتساوت معه الصحف ثم جاء بعدها التليفزيون كمصدر للمعلومات البيئية[١٩].

وبالنسبة للمناطق الريفية فى دول الجنوب حيث تزداد وطأة المشكلات البيئية يلاحظ إنعدام الدور البيئى لوسائل الإعلام ويتفوق عليها وسائل الإتصال التقليدى مثل الموسيقى والمسرح والاغانى والرقص الشعبى . وقد أكدت بعض دراسات اليونسكو التى إجريت فى نيبال وسرى النكا والهند مدى قوة تأثير هذه الوسائل فى خلق الوعى البيئى [٢٠] ورغم ما تؤكده الدراسات والشواهد على أهمية بل وخطورة الدور الذى تقوم به وسائل الإعلام فى المجال البيئى الا أنه لوحظ من خلال الدراسات التى إجريت للتعرف على حجم ونوع المعالجات الإعلامية لقضايا البيئة ان هذه القضايا لم تزل حتى الان تشغل اولوية هامشية سواء بالنسبة للإعلام المرئى أو المسموع أو المقروء اذ تحظى الموضوعات السياسية والاقتصادية والجرائم والرياضة والفن بأولويات مطلقة ويعزى ذلك الى اسباب عديدة بعضها يتعلق بالسياسات الإعلامية للدول والبعض الآخر يرجع الى إنعدام الوعى البيئى لدى القائمين بالإتصال أى الإعلاميين علاوة على حداثة ظهور البيئة كقضية إعلامية

فالأخبار والمعلومات المتعلقة بالبيئة لم تفرض وجودها على وسائل الإعلام الا بعد مؤتمر ستوكهلم ١٩٧٢ .

دور الصحافة في المجال البيئي:

اجمعت الدراسات التى اجريت فى دول الشمال المتقدمة صناعياً ودول الجنوب النامية على ان الصحف والتليفزيون يمثلان المصادر الرئيسية للمعلومات البيئية سواء بالنسبة للجمهور العام او الصفوه من سكان المدن والمراكز الحضرية .

أما فى المناطق الريفية فى دول الجنوب حيث تزداد وطأة المشكلات البيئية وترتفع معدلات الأمية والعوز الاقتصادى فيلاحظ إنعدام الدور البيئى لوسائل الإعلام حيث تتفوق عليها وسائل الإتصال التقليدى والتى تعتمد على مخزون التراث الشعبى من الامثال والاغانى والمأثورات . كذلك لوحظ من خلال الدراسات التى اجريت للتعرف على نوع وحجم المعالجات الإعلامية لقضايا البيئة ان هذه القضايا لم تزل تشغل اولوية هامشية سواء بالنسبة للإعلام المقروء أو المرئى والمسموع قياساً الى الموضوعات السياسية والاقتصادية والجرائم والرياضة والفن التى تحظى باولويات شبه مطلقه خصوصا فى الصحافة .

وفى إطار الجدل المثار حول دور وسائل الإعلام فى تشكيل الوعى البيئى يبرز الوضع الخاص للصحافة وتميزها عن سائر وسائل الإعلام بما تمتلكه من قدرات ذاتية فى التأثير على الوعى العام من خلال تشكيل الصور الذهنية لدى الجمهور عن القضايا المحورية فى مجال البيئة . فالصورة الذهنية تتشكل عبر فترة زمنية يتم خلالها إحداث التراكم المعرفى المطلوب حول القضايا البيئية ذات الطبيعة المتشابكة بقصد تحقيق اهداف معينه وهذا الدور بالتحديد لايتأتى لأى وسيلة إعلامية اخرى سوى الصحافة . كذلك تستطيع الصحافة أن تقوم بدور نقدى ملموس فى تشكيل السياق العام لفهم وإدراك قضايا البيئة بمنظور كلى متكامل من

خلال تحديدها لقائمة الاولويات البيئية على المستوى المحلى والاقليمى والعالمى . واجمالاً تستطيع الصحافة من خلال قوالبها الخاصة [الخبر - التقرير - التحقيق - الحديث - التعليق - الاعمده] ان تبرز قضايا بيئيا معينة وتسلط عليها الضوء وتواليها ابا لمتابعة والرعاية مما يؤثر فى النهاية بصورة حاسمه فى تشكيل اتجاهات الرأى العام إزاء قضية البيئة بمستوياتها الكلية والفرعية . ومع تفاوت وتباين قائمة الاولويات البيئية من فترة الى اخرى حيث كانت الموضوعات البيئية المثارة إعلامياً فى نهاية الستينات وحتى منتصف السبعينات تدور حول التلوث والسكان وصون الطبيعة أما الآن فالعالم مهموم بقضايا التصحر والاوزون وأثر الصوبات الخضراء وسوء إستخدام المبيدات وتدهور الإنتاجية الزراعية كيف تعاملت الصحافة مع هذه القضايا والاولويات البيئية وما هى المفاهيم والقيم ومستويات الأداء الصحفى الذى تأثر بها المنتج الإعلامى الذى قدمته الصحافة البيئية وهل يمكن إستخلاص السياسات التحريرية التى التزمت بها الصحافة إزاء قضايا البيئة ..؟

تشير بعض الدراسات الامبيريقيه القليلة التى اجريت فى مصر عن الصحافة وقضايا البيئة الى تزايد موضوعات البيئة على صفحات المصرية فى الأعوام الاخيرة . والواقع ان قضية الكم فى التغطية الإعلامية والصحفية لقضايا البيئة لاتمثل أهمية ملموسه خصوصاً وان الطابع السائد فى هذه المعالجات لم يخرج حتى الان عن الاطار الصحفى التقليدى . فالطابع الخبرى مع القصص الخبرية عن معظم الوقائع البيئية هو الأسلوب السائد فى معظم المعالجات الصحفية . كما أن الخطاب الصحفى موجه فى الاساس الى المسئولين والخبراء البيئيين ويتجاهل عن غفله او عمد المواطنين من الجمهور العام . كذلك تكتفى الصحافة المصرية المصرية بنقل الحدث البيئى والتعليق عليه احيانا تاركه المبادره للمسئولين الحكوميين أو رجال الصناعة مما يحصر الإعلام البيئى فى دائرة رد الفعل وتفعل الصحف

المصرية نفس الشئ بالنسبة للبحوث البيئية فهى تكتفى بنشر بعض اجزائها فى سطور جافة ميته ولاتحاول ان تخلق منها قضايا جماهيرية حيه تثير اهتمام الرأى العام.

ولابد ان تثير هذه المؤشرات السؤال التالى : ما هى العوامل التى تتفاعل سلباً وايجاباً كى تخرج لنا هذا النمط الإعلامى [الصحفى] المفتقر الى الفاعلية فى تغطية قضايا البيئة ؟ .

قبل ان نتطرق الى الأجابة على هذا السؤال علينا ان نوضح ان المراحل الصحفية التى تمر بها المادة البيئية من المصدر الى عملية إنتقاء بعضها وإغفال الاخرى ثم تحديد طريقة صياغتها صحفيا اى تحريرها واخراجها كل هذه العمليات يتحكم فيها الصحفى حتى تخرج بصورة معينة وتؤدى الى تحقيق تأثيرات معينه إيجابية و سلبية - فعدما يشير الصحفى الى المصدر بقوله [صرح مصدر بيئى مسئول ......] سوف تؤثر الماده الإعلامية البيئية بصورة تختلف عما لوقال الصحفى [صرح عالم البيئة فلان ....] وكذلك عما لو قال [صرح فلان رئيس جمعية حماية الأشجار ....] وأيضا عندما يشير بعض الصحفيين الى مزايا بعض انواع التكنولوچيا متجاهلاً مساوئها او اخطارها بالنسبة للبيئة - وكذلك عندما يكتفى الصحفى بوصف الحدث البيئى ويعجز عن تفسيره أو يلجأ الى بعض العلماء والمتخصصين ثم يخفق فى عرض رؤيتهم العلمية بصورة مبسطة وواضحة /.

كل هذه العوامل أو ما يسمى بمقومات الصياغة الصحفية مضافاً اليها طبيعة المصادر التى يعتمد عليها الصحفى فى إستقاء المعلومات البيئية تؤثر بصورة حاسمة فى تحديد مستوى ونوعية المنهج الإعلامى الصحفى عن البيئه . ويضاف اليها العوامل التالية :-

١ - نوع الدورية الصحفية اذا كانت يومية او اسبوعية او شهرية فالصحف اليومية تحول بطبيعتها دون التناول المتعمق لقضايا البيئة ولا تسمح إلا بالمعالجة الخبرية التقليدية بكل سلبياتها .

٢ – السياسة التحريرية للصحيفة التي تحددها عوامل كثيرة كعلاقاتها بالسلطة السياسة ودوائر صنع القرار وتوجهات القائمين عليها وشبكة المصالح التى تربطهم بأصحاب النفوذ الاقتصادى والسياسى ونوع الجمهور الذى تتوجه اليه الصحيفة الصفوة ام الجمهور العام فى المدن او الريف .

واهم من ذلك كله مستوى الوعي البيئى لدى القيادات الصحفية ومدى إيمانهم بقضية حماية البيئة والحفاظ عليها من التدهور .

٣ – المستوى العلمى والمهنى للصحفيين المشتغلين بقضايا البيئة وقد أكدت الشواهد العديدة المستقاه من الدراسات ومن الخبرة الشخصية ومن اعترافات الصحفيين انفسهم الحقيقه المؤسفة وهى افتقارهم الى الخلفية العلمية التى تؤهلهم لفهم الكثير من خفايا المشكلات البيئية.فضلاً عن تخلف ادائهم المهنى وخضوعهم لما يسمى بالبيروقراطية الصحفية التى تعوق بالفعل تطور ادائهم الصحفى وتحول دون استفادتهم بالخبرات العالمية المعاصرة من خلال الدورات التدريبية والاحتكاك بالخارج .

واذا كان تناول اى قضية بيئية يتطلب الإستعانة بقاعدة معرفية وعلمية تسمح للصحفى بامكانية معالجة موضوعات البيئة بالوضوح والدقة والشمول المنشود فلاشك ان عدم توفر هذا الشرط لدى الصحفى يدفعه الى الإستعانة بالعلماء والمتخصصين فى علوم البيئة وحتى فى هذه الحالة لا يستطيع الصحفى أن ينقل ارائهم بنفس الدقة والشمول والوضوح بسبب إفتقاره الى الخلفية المعرفية المطلوبة .

٤ – ضعف التأهيل المهنى للصحفيين مضافا اليه العامل السابق وهو افتقار المعرفة العلمية الصحيحة بقضايا البيئة يؤثر بصورة سلبية فى التعامل مع القضايا البيئية إذ يؤدى الى عدم القدره على التمييز بين القوالب الخبرية والقوالب الصحفية الاخرى الاكثر صلاحية لمعالجة قضايا للبيئة الى الخلط وسوء الاختيار فعدم مراعاة العنصر الزمنى فى التفرقة بين الاحداث البيئية العاجله وبين القضايا البيئة التى تتراكم إخطارها بمرور الزمن يؤدى الى وقوع الصحفى فى مأزق الخلط .

مثال : قضية التصحر والجفاف التى لم ينتبه لها الإعلام الا فى الثمانينات فى حين ان إخطارها بدأت تدق اجراسها منذ الاربعينيات . ولعل ذلك يرجع الى طبيعة العمل الصحفى الذى يلاحق الاحداث الآنية ويركز على عناصره ولا يعير الاهتمام الكافى للقضايا او الموضوعات ذات الطبيعة التراكمية والتى لا تعترف بالحدود الجغرافية مثل قضايا البيئة .

٥ – غياب دراسات الجمهور فقد أتضح ان الصحف المصرية لا تهتم بتخصيص ميزانيات الاجراء البحوث الضرورية للتعرف على جمهور القراء وبالتالى فان الصحفيين المشتغلين بقضايا البيئة يتوجهون الى جمهور لايعلمون عنه شيئا سواء ما يتعلق بمستوى الوعى البيئى لدى افراد الجمهور أو السمات الاجتماعية والثقافية والنوع وفئات الاعمار وسائر الملامح التى تحدد نوعية الجمهور المستهدف.

٦ – غياب قائمة الاولويات البيئية لدى الصحفيين المشتغلين بقضايا البيئة مما يوقعهم فى الخلط وعدم التمييز بين القضايا البيئية . مثل قضايا المياه والتصحر والتنوع البيولوجى والتغير المناخى وبين الانشطة البيئية التى تتمثل فى السياسة الحكومية والقرارات والتشريعات البيئية والبحوث البيئية وبين القطاعات التى تتسبب فى خلق مشكلات البيئة مثل قطاع الزراعة والصناعة – القطاع العسكرى – إنتاج الطاقة والمرور وبين الآثار الاجتماعية والبشرية المترتبة على سوء استخدام موارد البيئة مثل امراض الفشل الكلوى وفقدان المناعة والتلوث السمعى والبصرى ....الخ .

وفى النهاية لابد ان يثار السؤال التالى :

ماذا يحتاج الإعلام العلمى البيئى فى مصر والعالم العربى كى يصبح عصريا وملتزما وقادرا على تحقيق اهدافه ....

وسعيا للاجابة على هذا السؤال فأننا نرى ان هناك شقين للإجابة يتضمن الشق الاول الجوانب البشرية ويتضمن الشق الثانى الجوانب المعرفية ونوعية الاداء الصحفى .

ويستلزم الشق الاول ضرورة توفير الامرين التاليين :-

١ – وجود قيادات إعلامية تملك رؤية متكاملة عن البيئة فى إطارها الطبيعى

والبشرى والاجتماعى والسياسى وتتحسس المخاطر البيئية دون مبالغة أو تهويل .

٢ – إعداد كوادر إعلامية مؤهلة ومدربه وقادرة على التصدى لكافة العراقيل التى يضعها صناع القرار والقيادات الصحفية امام القضايا البيئية والاهتمام بمتابعتها ومعالجتها بصورة صحيحة ومتكامله . واذا كان التدريب هو الحل الامثل المتاح حالياً لتطوير المستوى المهنى والثقافى للصحفيين المشتغلين بالبيئة الا ان الحل الطويل المدى الذى يمتد بآثاره الى المستقبل المتوسط والبعيد يكمن فى تأهيل الاجيال الجديدة من الإعلاميين وهذا الحل يبدأ فى مرحلة التعليم الجامعى على الأقل .

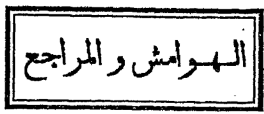
أما الشق الثانى فهو يؤكد على مايلى :-

١ – ضرورة توفير مصادر معلومات عصرية ومتطوره عن المشكلات والقضايا البيئية على المستوى المحلى والاقليمى والدولى .

٢ – إعداد احلقات نقاشية ودورات تدريبة تضم الإعلاميين والبيئيين للسعى سوياً من اجل التوصل الى اختيار انسب الاساليب الإعلامية لمعالجة قضايا البيئة والسعى لإقامة شبكات إعلامية – تعليمية للإعلام والتعليم البيئى وهنا يوصى .

بعض الخبراء العاملين المتخصصين فى البيئة والإعلام [٢١] بمحاولة الإستفادة من آليات الإعلام التعبوى اى الإعلام الذى يعبئ الجمهور ويدفعه الى الفعل سواء على المستوى الفردى فى الحياة الخاصة أو المستويات الاجتماعية الاخرى فى المدرسة والنادى واماكن العمل والمسجد والكنيسة وسواء كان المتلقى مواطناً عادياً او مسئول تنفيذياً او استاذاً جامعياً . ويبدو ان هذا النوع من المعالجة الإعلامية المتسمه بطابع التحريض والتعبئة هو أنسب الاشكال الإعلامية لمعالجة قضايا البيئة إذ انها لاتدع للمرء إحتمال الوقوع فى الحيره او التردد إزاء قضيه حيويه تمس حياته بصورة صميمية وان كانت تبدو احيانا غير ذلك .

كذلك يوصى بإستخدام أسلوب الحملات الصحفية لمعالجة القضايا البيئية ذات البعد التنموى والتى تحتاج الى التراكم المعرفى والمتابعة المتواصلة .



(1) R.J.Mc Craken: Soil,Scientists and Civlisation. Soil Science Society of American Journal, Vol.51,(1034) P.1395.

نقلاً عن الجمهور والبيئة ١٩٨٨ ، برنامج الامم المتحدة للبيئة ، نيروبي .

(2) E. Cornish: The Study of the Future. Washington D.C.1977. PP.58-59.

٣ – انظر رضا بوكراع : الآثار البيئية للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية ، مرجع التعليم البيئى فى الوطن العربى ، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ، تونس ١٩٨٨ ، ص : ٥٧ – ٥٠٩ .

٤ – عصام الحناوى : نحو خطة قومية لتنمية الوعى البيئى ، فى كتاب (البيئة والوعى البيئى) المركز القومى للبحوث بالتعاون مع معهد جوته ، القاهرة ١٩٩٠ ، ص : ٨٩ .

٥ – برنامج الامم المتحدة للبيئة : إنقاذ كوكبنا – التحديات والآمال نيروبى ، ١٩٩١ ، ص : ٢٠٩

٦ – انظر عواطف عبد الرحمن : الوعى البيئى بين الإعلام والتعليم – مجلة الدراسات الإعلامية ، العدد ٦٨ ، القاهرة ، سبتمبر ١٩٩٢ ، ص: ٣٥ ، ٥٥ .

٧ – انظر سلوى إمام وعاطف العبد : الإعلام وقضايا البيئية دراسة تطبيقية على جمهورية مصر العربية ، وسلطنة عمان ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص : ٢٣٦ – ٢٤٤ .

٨ – انظر :

(SA) Edna F. Einsiedel: From Disaster Reporting to in-depth coverage. In: Media Developmnt-2-1990. London. PP.3-9.

(SB) Suhonen,P.: Environmental Issues, The Finnish Press and Public Opinion. Gazette. Vol.51,2,1993. Netherland. PP.91-113.

١٠ – انظر نجوى كامل وآخرون : عرض نقدى للدراسات التى تناولت الإعلام والبيئة ، الحلقة النقاشية عن البيئة والتعليم الاعلامى ، قسم الصحافة كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، يوليو ، ١٩٩٢ ص : ٨ – ١٨ .

(11) Suhonen: op. cit. PP.101-104.

١٢ – هذه البلدان هى : الارجنتين – المانيا الاتحادية – جمايكا – زيمبابوى – السنغال – الصين – كينيا – المكسيك – المملكة العربية السعودية – النرويج – نيجيريا – الهند – المجر – اليابان .

١٣ – انظر :

أ – برنامج الامم المتحدة للبيئة : انقاذ كوكبنا – التحديات والآمال ، نيروبى ، ١٩٩١ ، ص ٢١١ .

ب – برنامج الامم المتحدة الانمائى : تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٢ ، ص ١٨ .

(14) UNEP: The Puplie And Environment Ment1988 Opcit. PP.29-31.

١٥ – انظر سلوى امام : الإعلام وقضايا البيئة – دراسه تطبيقية على جمهورية مصر العربية ، عاطف العبد : دراسة تطبيقية على سلطنه عمان ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٩١ .

(16) R.E.05Tman, J. L. Parker: Puplic's Environmental Information Sources and Evaluation of Mass-Media. Journal of Environmental Education. Vol:18, (1986-1987).

(17) Market And Opinion Research: Puplic Attitudes Towards Nuclear Powes London.1987.

١٨ – انظر سلوى امام ، مصدر سابق ، ص ٣٦٩ – ٣٧٠ .

١٩ – انظر عاطف العبد ، مصدر سابق ، ص ٣٧٠ – ٣٧٢ .

(20) V. T. Valduena: Using Traditional Media in Environment al Commuication-Amic-Singapore-1984.

(21) Edna: Opcit. P.15-12.

الإعلام وقضايا المرأة العربية
في
عصر العولمة

دور الأسرة في عصر العولمة :

إذا كانت العولمة تعنى فى جوهرها رفع الحواجز والحدود أمام الشركات والمؤسسات والشبكات الدولية الاقتصادية والإعلامية والثقافية كى تمارس أنشطتها بوسائلها الخاصة وكى تحل محل الدولة فى ميادين المال والاقتصاد والثقافة والإعلام مما يعنى تقلص السيادة القومية للدولة فى هذه المجالات بالتحديد وإذا كان التفوق التكنولوجى قد اتاح للغرب إمكانية التحكم فى صناعة المعلومات والإتصال من خلال الشركات العملاقة والمهيمنة على السوق العالمية بواسطة الثلاثى المعروف [البنك الدولى - صندوق النقد الدولى منظمة التجارة العالمية] فإن المجال الثقافى وسائر مكونات المنظومة الحضارية لا يزال يمثل الساحة الرئيسية للصراع حيث تواصل القوى الرئيسية المتحكمة فى العولمة محاولتها الدؤوبة من أجل عولمة الثقافة والتعليم والدين وسائر مكونات المنظومة الحضارية التى كانت تحتفظ بإستقلال نسبى خارج دوائر وقيم السوق العالمية .

ولقد أمكن بناء سيادة للحقل الثقافى الوطنى لفترة طويلة تمثل عمر الدولة الوطنية وسيادتها على أرضها ومواطنيها وظلت الثقافة الوطنية تستمد أسباب سيادتها وتجددها من مصدرين رئيسيين احدها اجتماعى يتمثل فى الأسرة بإعتبارها المؤسسة الاجتماعية الأولى التى تنتج الوجدان الثقافى الوطنى بواسطة شبكة القيم التى ترسخها فى وجدان الأفراد منذ نشأتهم الأولى والمصدر الثانى يتمثل فى المدرسة التى تواصل الوظائف التربوية للأسرة ولكن فى إطار الجماعة الوطنية حيث تقوم المدرسة بوظيفة إرساء أسس الثقافة الوطنية . وقد أدت التطورات السياسية والاقتصادية التى يشهدها العالم المعاصر إلى فقدان هاتين المؤسستين لأدوارهما الحاسمة فى التنشئة الاجتماعية والثقافية بسبب نشوء مصادر جديدة لإنتاج ونشر القيم فى مقدمتها الإعلام المرئى وتصاعد أدواره فى ظل ثورتى

الإتصال والمعلومات وبسبب فشل النظام التعليمى وقصور السياسات التربوية عن تلبية الحاجات المعرفية والعلمية والتربوية للمواطنين فى إطار الدولة الوطنية [١] .

لقد أدى تفكك وفشل النظام الثقافى الوطنى التقليدى فى دول الجنوب إلى إفساح الطريق لآليات العولمة الثقافية التى تسعى إلى توحيد العالم فى منظومة قيميه وفكرية واحدة تستجيب دون مقاومة لمتطلبات ومصالح السوق العالمية . فى ضوء هذا السياق يمكننا تحديد طبيعة العولمة الثقافية وقوانين حركتها فهى تنشط وتتوسع فى ظل تصاعد الثقافة المرئية أى ثقافة الصورة وفى مناخ يشهد تراجعاً للثقافة المكتوبة التى حفظت تاريخ البشرية ورافقت الحضارة الانسانية منذ أخترع السومريون الكتابة منذ ٣٦٠٠ سنة قبل الميلاد وشكلت جوهر الإتصال الجماهيرى منذ ظهور المطبعة فى منتصف القرن الخامس عشر واستمرت تنسج وترصد معالم الثورات الفكرية والحضارية على نطاق العالم حتى ظهور الأقمار الصناعية التى تجسد الثورة الخامسة فى مسيرة التكنولوچيا الإتصالية .

إذن ثقافة العولمة هى ثقافة ما بعد المكتوب فالكتابة ليست من أدوات أو آليات إنتشار العولمة والواقع أن ذلك لم يكن ممكناً إلا بسبب ما تحقق من إنجازات تكنولوچية هائلة فى مجال الإعلام السمعبصرى حيث أصبح فى وسع البث المباشر عبر الأقمار الصناعية أن ينقل المنتج الثقافى إلى كافة أنحاء العالم فى يسر وسرعة غير مسبوقة مخترقاص الحدود القومية والحواجز الجغرافية دون مشقة.

هذا وتعتمد ثقافة العولمة بصورة أساسية على وسائل الإعلام السمعبصرية التى أصبحت تغطى الكرة الأرضية عبر الأقمار الصناعية وإخترقت جميع القارات والدول والعواصم والريف والحضر لتمارس الهيمنة الثقافية فى أحدث صورها وذلك لأسباب ترتبط بالمستجدات التى طرأت على الواقع الثقافي الدولي خصوصاً

بعد إختفاء الاتحاد السوفيتي وإنحسار الصراع الايديولوجي من الساحة الدولية وحلول الإختراق محله . ويستهدف الإختراق الثقافى السيطرة على الادراك من خلال الصورة السمعبصرية سعياً للتأثير فى الوجدان والفكر والسلوك بالعمل على تنميط الذوق وقولبه السلوك فى أنماط إستهلاكية لأنواع محددة من المعلومات والسلع والترفيه تصبح مع التكرار السقف والمثل الأعلى لطموحات الانسان وتحول دون البحث عن البديل أو الرغبة فى التغيير هذا وتشكل الولايات المتحدة فى المرحلة الراهنة القاعدة الأهم والأكثر تأثيراً للمشروع الثقافى العولمى بوجهه الإحتكارى وقدراته التكنولوجية الهائلة وأدواته الإعلامية المتقدمة والتى تلعب الدور الحاسم فى نشر وترويج الثقافة الإستهلاكية ذات الطابع التجارى بهدف تشويه وتهميش الثقافات المحلية وإعادة إنتاج البنية المتخلفة بكل ما تحويه من تسطيح للوعى وتشجيع للمبادرات الفردية القائمة على الانانية والإستغلال وإنعدام لامماريات العقلانية وبث الفوضى والبيروقراطية والرشوة والفساد [٢] .

وعندما نتأمل الخريطة الثقافية الراهنة للعالم شماله وجنوبه تصادفنا حقيقتين هامتين تشير أولهما إلى إجتياح الثقافة الأمريكية للعالم المعاصر بما فيه أوربا وقد أكد وزير الثقافة فى الاتحاد الأوروبى فى بيان اصدره عام ١٩٨٨ خطر التهميش الذى تتعرض له الثقافات والأوربية فى عالم توحده ثقافياً الصور والرسائل الأمريكية التى تذاع وتنشر عبر الأقمار الصناعية أما الحقيقة الثانية فهى تشير إلى التنافس بين الثقافتين العالميتين الثقافة الانجلو - أمريكية والثقافة الفرنسية للسيطرة على العالم فى مواجهة إنتشار نمط الحياة الأمريكية .

مكانة المرأة فى عصر العولمة :

تشير الدراسات المعاصرة فى العلم الاجتماعى إلى حقيقة هامة مفادها ان القوى العامله النسائية لاتحظى بإهتمام الاقتصاديين والباحثين الاجتماعيين رغم

انها جزء أساسي من المنظومة الاقتصادية الاجتماعية للمجتمع الرأسمالى وان كان لا وضع لها داخل هذه المنظومة يختلف عن وضع الرجل فهى تقوم بأعمال حيوية دون أجر بينما الرجل لا يقوم بأى عمل إلا إذا تقاضى عنه أجراً أو دخلاً وقد نشأ هذا الوضع الخاص بالمرأة منذ مرحلة مبكرة فى التاريخ ترجع إلى مرحلة الصيد حيث كانت تقوم على تخزين وحفظ المواد الغذائية وإعداد الطعام والمكان الذى يستقرون فيه ثم قادها جمع الثمار إلى اكتشاف الزراعة والإهتمام بها ولكن طغى عليها الرجل فى هذا المجال حيث لم يتح لها التكوين البيولوچى المتعلق بالإنجاب ورعاية الأطفال نفس القدر من حرية الحركة التى كان يتمتع بها الرجل فإستطاع ان يفرض عليها الأوضاع التى تناسبه ومن هنا نشأ التقسيم الذى اصاب وظائف المرأة وجعلها تعمل فى مجالين داخل البيت وخارجه أى تصبح عرضه لمستويين من الإستغلال الأبوى والطبقى وقد لعب هذان العاملان دوراً أساسياً فى التراكم الرأسمالى منذ أولى مراحله ولا يمكن فهم آليات تطور النظام الرأسمالى دون إدراك العلاقة بين هذين البعدين الطبقى والأبوى فالواقع ان عمل المرأة خارج البيت مقابل أجر لا يختلف فى الجوهر عن عمل الرجل ربما الفارق الاساسى هو ان المرأة تخصص لها ادنى الأعمال وتلك التى تحتاج إلى الصبر والطاعة والمهارة اليدوية مثل تطريز الرسومات أو صنع السجاد أو قطف أوراق الشاى أو تجميع الصفائح الالكترونية الدقيقة وفى معظم الأحيان تتلقى اجراً أقل من الرجل ولا تصل إلى مستوى الوظائف الاشرافية إلا نادراً .

ويبرز الإختلاف بين عمل المرأة والرجل فى انها تقوم بكافة الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال أى بكل المهام التى تتعلق بضرورة الحياة لأفراد اسرتها دون أجر فيما يقتصر دور الرجل على الأعمال التى خارج البيت ويعفى تماماً من المسئوليات المنزلية رغم ان هذه النشاطات التى تؤديها المرأة دون أجر تدخل فى صميم التراكم

الاقتصادى للنظام الرأسمالى فلا يمكن ان تتصور إستمرار النشاط الانتاجى والخدمى للقوى العمل الذكورية بدون بدون هذا الجهد الذى تقوم به المرأة فى بيتها فضلاً عن دورها فى إنجاب قوة العمل وتنشئتها ورعايتها حتى تنضم إلى سوق العمل [٣] .

ومع ذلك يتجاهل علماء الاقتصاد والأحصاء هذه الأنشطة التى تقوم بها المرأة والتى تعد جزءاً لا يتجزأ من قوة العمل ذاتها ولذلك لا يتم ادراجها ضمن عائد الانتاج القومى أو حسابات الدخل القومى .

وفى عصر العولمة تتزايد أهمية الدور الذى تقوم به قوة العمل النسائية فى مضاعفة التراكم الاقتصادى لصالح القوى العالمية والمحلية فالمرأة فى نظر هذه الشركات تعد منجما جديداً يجب إستغلاله إلى آخر قطره أولاً باعتبارها تمثل قوة العمل الرخيصه غير المنظمة التى لا تحتاج إلى ضمانات صحية أو تأمينيه فهى تقبل ما لايقبله الرجل سواء فى مجالات القطاع غير الرسمى أو فى الحرف والخدمات والصناعات التكميلية أو فى المنازل .

وثانياً : بإعتبارها ربة بيت لاتزال تقوم بالأعمال المنزلية الحيوية دون أجر فضلاً عن دورها الأساسى فى الاستهلاك الذى يعد عماد السوق فى عصر العولمة . والمرأة ربة البيت التى لا تعمل خصوصاً إذا كان زوجها ميسوراً . هى المستهلكة الأولى فى الأسرة . فالمرأة فى مجتمع الشركات المتعدده الجنسية إذن مهمة كأداة للعمل الرخيص خصوصاً إذا علمنا ان ٧٠٪ من القوى العاملة فى مناطق الإنتاج الحره فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينيه مكونه من النساء وأيضاً مهمة كأداه أساسية للإستهلاك مما يضاعف مكانتها كركن أساسى فى التراكم المتزايد المبنى على عولمة السوق لصالح هؤلاء المتحكمين فى مجلس ادارة اقتصاد العالم [٤] .

الخطاب العالمى الخاص بقضايا المرأة :

تتجسد أبرز ملامح الخطاب الدولى عن قضايا المرأة فيما حوته وثيقة مؤتمر بكين للمرأة عام ١٩٩٥ حيث ركزت على عدة قضايا محورية تمثلت فيما يلى :

١ – تضمين رؤية المرأة عند إعداد مختلف السياسات التعليمية والإعلامية والاقتصادية بل والسياسات المتعلقة بدور السلم والحرب وإقترن بذلك فكرة إقتسامها للسلطة والتمثيل العادل لها داخل دوائر صنع القرار بإعتبار ان الإجراء يكفل ضمان نفاذ رؤيتها داخل دوائر صنع القرار .

٢ – تنمية الحساسية الإعلامية إزاء قضايا المرأة وذلك فى مواجهة نمطيه صورة المرأة فى الإعلام التى تكرس التقسيم التقليدى للأدوار بين المرأة والرجل مما يرسخ عدم أهليتها ويؤدى الى تهميشها .

٣ – ظاهرة تأنيث الفقر حيث تربط الوثيقة بين زيادة معدلات الفقر وبين إنتهاج عدد كبير من الدول النامية لسياسات إعادة الهيكله وظاهرة الديون الأجنبية وتزايد نفقات التسلح وتأثير ذلك على تخفيض الاتفاق على الخدمات الاجتماعية مما ادى إلى إنتقال مسئوليتها من الدوله إلى النساء وتشير الوثيقة إلى ان ربع الأسر على صعيد العالم يتولى امرها النساء . كما أوضحت ان غياب الاهتمام بدراسة الأسباب البنيوية للفقر ودراسة آثار سياسات التكيف الاقتصادى على النساء قد أدت إلى تأنيث ظاهرة الفقر فضلاً عن تفاقمها .

٤ – التعليم فى صفوف النساء وقد ابرزت الوثيقة مظاهر التقدم التى تحققت فى مجال تعليم الأناث إلا انه لا يزال ثلثى الأميين فى العالم من النساء وهناك ٦٠ مليون فتاة غير متاح لهن التعليم الابتدائى .

٥ – حقوق الطفله وتؤكد وثيقة بكين على مظاهر التمييز فى التعليم والغذاء والرعاية الصحية لصالح الذكر وخصوصاً الأسر الفقيرة فى معظم الدول النامية .

٦ – العنف ضد المرأة وتبرز وثيقة بكين ان العنف ضد المرأة ظاهرة واسعة الإنتشار بدءاً بالولايات المتحدة التي تتعرض فيها امرأة للعنف كل ١٨ دقيقة وإنتهاءاً بالهند حيث تتعرض ٥ نساء يوميا للحرق بسبب الخلافات المرتبطة بالمهور وتوضح الوثيقة ان النساء يتعرض لأشكال مختلفة من العنف البدنى أو النفسى أو الجنسى فى مختلف الطبقات الاجتماعية وفى طل أطر ثقافية وحضارية متباينه .

٧ – مشاركة المرأة فى صنع القرارات الوطنية وقد اشارت الوثيقة إلى استمرار تدنى نسبة تمثيل النساء فى البرلمانات بعد مرور عشر سنوات على مؤتمر نيروبى للمرأة إذ لا تزال المرأة تمثل نحو ١٠٪ فقط فى الهيئات المنتجة على صعيد العالم وتضيف ان الأمم المتحدة لاتمثل إستثناء لتلك القاعدة إذ لا تضم سوى ٦ سيدات من بين ١٨٤ سفيراً يمثلون الدول الأعضاء كمندوبين لها فى المنظمة الدولية . وهناك ١٠٠ دوله لا توجد بها نساء فى البرلمان هذا وقد صدق على الاتفاقية الدولية الخاصة بالقضاء على كافة صور التمايز ضد المرأة ٢٢٣ دوله عدا ١١ دوله عربية وضعت تحفظات على بعض بنود الاتفاقيه لاعتبارات دينية وثقافية . وتتمحور القضايا الخلافية فى وثيقة بكين حول ما يلى :

١ – الطابع العالمى لحقوق الانسان وفى مقدمتها حق الفتاه والمرأة .

٢ – الصحة الانجابيه .

٣ – أثر التطرف الدينى والارهاب على وضعية المرأة .

٤ – المساواة فى الميراث .

٥ – توسيع نطاق العمل أمام المنظمات غير الحكومية .

٦ – أثر سياسات إعادة الهيكله على المرأة .

٧ – الحاجة إلى بناء نظام اقتصادى واجتماعى عالمى جديد [٥] .

قضايا المرأة العربية فى عصر العولمة :

ثمة تغيرات جوهرية لا يمكن إغفالها طرأت على الواقع النسائى العربى خلال الخمسين سنه الماضية تمثلت فى العديد من الجهود الحكومية وغير الحكومية للنهوض بأوضاع المرأة العربية فى إطار التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى شهدتها المجتمعات العربية المعاصرة . اذ لا يمكن إغفال الزيادة المضطرده فى نسبة الفتيات المتعلمات ونسبة النساء العاملان فى الوطن العربى كله . غير أن هذه الزيادة الكميه الملحوظة سواء فى عدد النساء المتعلمات ليست فى حد ذاتها دليلاً على التغير الجوهرى فى الوضع الاجتماعى للمرأة أو قرينه على تحررها الشامل بصورة حقيقية فما زالت المرأة العربية تواجه كثيراً من العقبات التى تحول دون انطلاقها بكامل قدراتها ومواهبها للمشاركة فى صياغة شكل المجتمع العربى وعلاقاته .

والواقع ان العالم العربى يواجه على مشارف القرن الحادى والعشرين مجموعة من التحديات السياسية والاجتماعية والثقافية والتكنولوچية فى ظل مناخ اقليمى ودولى يشهد تحولات متسارعه ونزوعا إلى مزيد من الهيمنة الاقتصادية والسياسيه التى تركرت آثارها على المرأة العربية بشكل خاص ولعل من أبرز التحديات التى تواجه العالم العربى فى السنوات الأخيرة ذلك التطبيق القاصر فى مفهوم التنمية البشرية وتجاهل المغزى الحقيقى لهذا المفهوم وما ينص عليه من توسيع دائرة الخيارات أمام كافة أفراد المجتمع من الرجال والنساء بما ينمى طاقات الشباب من الجنسين للإسهام فى خلق الظروف الملائمة لتحقيق العداله والمساواه وفق منهج تنموى متكامل وفى مناخ ديموقراطى حقيقى وفى هذا السياق تبرز الحقيقة التى تشير إلى غياب الحوار فى كافة التشكيلات والمؤسسات

الاجتماعية والثقافية والسياسية فى الدول العربية مما يقود إلى العنف بمختلف صورة المفضيه إلى التوتر والصراع الذى يقوض تماسك الأسرة العربية منذ نهاية السبعينيات تطبيقاً لسياسات التكيف الاقتصادى الهيكلى فى كثير من البلدان العربية بما يتضمنه من تقليص لدور القطاع العام وتخفيض للانفاق الحكومى على الخدمات مضافاً إليها ما شهده عقد الثمانينيات من تفاقم فى المديونيه وتباطؤ فى النمو الاقتصادى مما ادى فى ظل غياب التعاون الاقتصادى العربى إلى آثار سلبية على الوضع الاقتصادى العربى عامة والمرأة وتمتعها بالخدمات الاجتماعية بشكل خاص .

وبالرغم من التقدم الذى شهده القطاع الزراعى فى بعض البلدان العربية إلا ان شعار الكفاية والعدل فى المجال الزراعى لم يتحقق بعد .. وترتبط تنمية القطاعين الزراعى والصناعى ارتباطاً وثيقاً بالتجارة الدولية الاعتمادها بصورة متزايداه على العالم الخارجى فى سد إحتياجاتها من الآليات والمعدات والسلعة الوسيطة ويتجلى الإعتماد المتزايد للعالم العربى على التجاره الخارجية فى تزايد الواردات من الأغذية وهيمنة المواد الزراعية الأولية على صادرات الدول العربية غير النفطيه ويضاف إلى كل ذلك إتساع الفجوة التكنولوجية القائمة بين العألم العربى والدول الصناعية المتقدمة تكنولوچيا ويضاف إلى هذا الوضع قصور السياسات العلمية وضعف التعاون العربى فى هذا المجال .

كذلك يشكل الضعف والقصور فى مجال الإحصاءات والمسوحات الخالية من التصنيف حسب نوع الجنس عائقاً أمام اكتمال أى دراسة علمية شامله لأوضاع المرأة العربية وذلك فى عصر أصبح إمتلاك المعلومات والقدره على تخزينها وتحليلها ونقلها يلعب الدور الحاسم فى تحديد قدرة الأفراد والشعوب على مواكبة

العصر ، ولكن فى ضوء التراكم المعرفى المتاح حالياً عن المرأة والمساهمة فى إتخاذ القرار والتوعيه والتربية والتعليم ومحو الأمية والتأهيل والتدريب المستمر وتوفير العمل والحد من الفقر والحماية من صور العنف المختلفة التى تتعرض لها المرأة داخل وخارج البيت وتوفير الخدمات الصحية والطبية والنفسية والبيئه السليمة وإنشاء آليات مركزية لرعاية المرأة العربية والنهوض بأحوالها في ضوء كل ذلك تبرز أمامنا المعطيات التالية :

أولاً : النساء العربيات بين الأمية والتعليم :

بالرغم من التطورت التى لحقت بتعليم النساء العربيات فى فترة إرتفاع عوائد البترول وما نتج عنها من إنشاء سوق عمل عربية **أولا** أننا لابد ان نسجل ان معدلات الأمية التى حددتها اللجنة الاقتصادية لغرب آسيا تشير إلى ان كل دول المنطقة قد نجحت فى تخفيض نسبة الأمية فيها سواء بين الرجال أو النساء بإستثناء مصر واليمن حيث إرتفعت الأمية فى صفوف نساء مصر إلى ٧١٪ عام ١٩٩٠ وإرتفت فى اليمن إلى ٩٧٪ مما يؤكد ان عمليات التحديث التى طرأت على المجتمعات العربية فى شكل إرتفاع فى معدلات وارداتها من السلع الاستهلاكية المعمره وفى شكل ارتفاع فى معدلات الاستهلاك العام والخاص لا يمكن اعتباره إلا تبديداً لامكانيات الوطن العربى لانه تحديث مؤسسى على قاعده بشرية أمية [٧].

وعندما ننتقل إلى التعليم نلاحظ ان المرأة العربية قد حققت فيه خطوات لا بأس بها سواء فى إنخراطها فى مراحل التعليم المختلفة أو فى تنوع مجالات التخصص خلال العقود الأربعة الأخيرة إلا ان ذلك لا يعنى بأى حال من الأحوال كفاله ديمقراطية التعليم بمعناها الشامل .

كما لا يعبر عن إندماج أهداف التعليم مع أهداف المجتمع ، كذلك لا يتسق مع حجم التحدى أو الإمكانيات المتاحة . إذ يلاحظ أن هذا التوسع فى تعليم

النسـاء العربيات كان توسعا كمياً فى المقام الأول دون أن يقترن ذلك بإجراءات تكفل تطويرا نوعياً للمنظومة التعليمية بما يحقق ديمقراطية التعليم بين النساء والرجال ، ويرجع ذلك إلى سيطرة قوى إجتماعية فرضت توجهاتها على النظام التعليمى حيث سعت إلى توفير التعليم للفئات المتميزة والأكثر حظاً وبنوعية أفضل بينما قيدته بالنسبة لسائر الفئات ومن بينها المرأة .

كذلك لوحظ أن العملية فى مختلف الأقطار العربية – سواء فى مضمون الكتب أو المناهج أو طرق التدريس – مازال يسيطر عليها المنظور الذكورى الذى يكرس القيم المتواثة والمفاهيم التى شاعت وإستقرت حول التفرقة بين أدوار المرأة بما يدعم فكرة النقص الأنثوى .

وإذا كان العديد من الدراسات يؤكد تأثير الفقر والثراء – سواء على مستوى الدول أو القطاعات [حضر – ريف – بادية] أو الشرائح الاجتماعية داخل البلد الواحد – على كم ونوع الفئات المتعلمة فإن الفئة التى يضحى بها فى جميع الأحوال هى البنات بإعتبار أن الذكر هو العائل فى المستقبل .

وقد أشارت هذه الدراسات إلى أن أبرز الأسباب التى أعاقت تعليم المرأة فى العالم العربى تكمن فى رسوخ البناء الاجتماعى الأبوى التقليدى الذى يتبنى قيما ثقافية عميقة الجذور ترفض أطروحة المساواة بين الجنسين وتعطى الرجل مكانة أعلى من مكانة المرأة ، ولذلك يحصل الأبناء من الذكور على إمتيازات تعليمية أكثر [كمياً ونوعاً] من تلك التى تحصل عليها الإناث . كما كشفت بعض الدراسات أنه على الرغم من إنتشار التعليم فى الوطن العربى بإعتباره مطلبا شعبيا عاما إلا أن هناك نسبة كبيرة من الأفراد فى المجتماعات لاتزال تؤمن بأن هناك طبيعة خاصة بالمرأة وأخرى بالرجل ، وأن الوضع الطبيعى للمرأة هو الزواج والبيت ، وهو التصور الذى إنعكس بصورة سلبية على النظام التعليمى [٨] .

هذا ، ويلاحظ أنه رغم حدوث تقدم ملموس فى معدلات الأجيال الشابة فى الوطن العربى إلا أنه يظل صحيح أنه مازال خارج المدرسة – على مستوى الوطن العربى – حوالى ٧٠٪ من البنات اللائى فى سن التعليم الإبتدائى ، ورغم أن هذه النسبة تتفاوت من بلد عربى إلى آخر غير أنها كفيلة بإثارة القلق لدى جميع المهتمين بقضية تحرير المرأة العربية .

المرأة العربية و العمل :

تشير الدراسات التى تناولت قضايا ومشكلات العمالة النسائية في الوطن العربى إلى أن مشاركة المرأة فى قوة العمل خلال العقدين الماضيين بدأت تتزايد بمعدلات ملحوظة ، وامتدت إلى مختلف النشاطات الاقتصادية والاجتماعية فى قطاعات التنمية إلى جانب مشاركتها فى القطاع التقليدى للزراعة . ولكن لوحظ أن هذه الزيادة الكمية لا تزال أقل بكثير من الموارد البشرية المتاحة من النساء فضلاً عن الظواهر السلبية العديدة التى صاحبت الحقبة النفطية ، وتمثلت فى تراجع قيمة العمل الإنسانى أمام الثروة الريعية . كما تراجعت القيم الإنتاجية أمام تدفق غرائز الاستهلاك . كذلك كشفت ظاهرة التعطل فى صفوف النساء العربيات المتعلمات عن عدم توافق مخرجات التعليم مع متطلبات المجتمع . وتفصيلاً لذلك تجدر الإشارة إلى خريطة توزيع المرأة العربية فى مجالات العمل المختلفة حسب القطاعات الاقتصادية : يلاحظ أن الزراعة العربية اعتمدت بالفعل على كم ملحوظ من النساء العاملات فى الزراعة وصلت إلى ١٨٪ فى مصر و ٦٧٪ فى العراق و ٦٠,٤٪ فى سوريا . أما فى مجال العمل الصناعى فقد تراجعت فى بعض الأقطار العربية مثل البحرين ومصر وسوريا ، بينما ارتفعت فى أقطار أخرى مثل الأردن واليمن ، ويلاحظ أن قطاع الخدمات مازال يستوعب نسبة عالية

من النساء العملات بما جعله في حالة إتساق كامل مع المخطط التعليمي الذى حوصرت فيه النساء العربيات فى التعليم الفنى التجارى[٩] .

وفيما يتعلق بالقوانين الخاصة بالعمال وتشغيل النساء يلاحظ أن القليل من الدول العربية التي تملك تشريعات لتنظيم العمالة النسائية وحمايتها ، وهى : مصر وسوريا والعراق وتونس والأردن ، ورغم ذلك فإن مستوى أجر الإناث بالنسبة للذكور أقل من مستوى أجر الذكور فى كثير من القطاعات الاقتصادية . فضلاً عن تردد كثير من المسئولين فى قطاعات الإدارة والإنتاج فى تعيين المرأة فى مراكز القيادة . مما جعل نسبة النساء اللاتي يشغلن مناصب قيادية لا تتناسب على الإطلق مع حجمهن فى قوة العمل بهذه الإدارات . كما أن هناك مواقع وظيفية عديدة لا تزل موصدة أمام المرأة فى بعض المجتمعات العربية .

ويلاحظ أن مجالات التدريب المهنى لاتزال محدودة إلى درجة كبيرة بالنسبة للمرأة العربية بما لا يتماشى مع الزيادة الملحوظة فى حجم لعمالة النسائية . ومما تجدر الإشارة إليه أن التدريب المهنى لتحسين الكفاية الإنتاجية للنساء فى الريف العربى لايحظى بأى إهتمام ، كما تقتصر مراكز التدريب المهنى للنساء فى المدن على بعض المهارات التقليدية المرتبطة بالتدبير المنزلى والحرف النسائية بالمفهوم الضيق مما لا يفتح المجال أمام الفتاة العربية لإكتساب مهارات جديدة تؤهلها لاقتحام سوق العمل[١٠] .

المرأة العربية والمشاركة السياسية :

فى إطار التصنيف الذى تجمع عليه الأدبيات السياسية المعاصرة ينقسم العالم العربى إلى ثلاث مجموعات أساسية ، تضم **المجموعة الأولى** كلاً من السعودية وعمان وتعتمد فى قوانينها وتشريعاتها على أحكام الشريعة الإسلامية ،

ولا توجد بها هيئات تشريعية منتخبه أو معينة ، ويقتصر نشاط المرأة العام فى هذه الدول على المشاركة فى التجمعات النسائية ذات الطابع الخيرى [رعاية الأمومة والطفولة] .

أما **المجموعة الثانية** فهى تضم كلاً من الكويت والبحرين والإمارات العربية وتحرم قوانينها صراحة المشاركة السياسية للمرأة إلا أن ذلك لم يمنع النساء فى هذه الدول من تسكيل تنظيمات ديمقراطية مثل لجنة المرأة العاملة فى الاتحاد العام لعمال الكويت التى تلعب دورا هاما فى طرح مطالب المرأة العاملة والمطالبة بحقوقها النقابية والاجتماعية والسياسية . وتتصدر مصر **المجموعة الثالثة** التى تعترف قوانينها بحق المرأة فى المشاركة السياسية ، وتضم كذلك العراق وسوريا والجزائر والسودان وتونس والأردن واليمن . وتعد مصر الدولة الأولى فى الوطن لعربى التى أعطت المرأة حقوقا مساوية للرجل فى المشاركة السياسية رغم ان قانون الانخاب قد فرق بين المرأة والرجل فى القيد فى الجداول الإنتخابية إذ جعله إجبارياً بالنسبة للرجل وتركه اختيارياً للمرأة مما ترتب عليه أن تسبة المقيدات من النساء فى الجداول الانتخابية لم تزد عن ١٢٪ من إجمالى المقيدين [١١] .

وبالنسبة للقوانين الاحوال الشخصية :

يلاحظ انه رغم أن القوانين تحرم الإكراه فى الزواج فى معظم الدول العربية إلا أن درجة الحرية التى تتمتع بها المرأة فى إختيار زوجها تختلف من مجتمع عربى إلى آخر ، وأيضا بين الفئات والطبقات الاجتماعية وبين الريف والحضر . ويتعرض العديد من النساء وخاصة فى المجتمعات العشائرية والريفية لأنواع من الضغوط الاجتماعية للقبول بإختيارات العائلة فى هذا الشأن . وقد طرأت بعض

التعديلات فى قوانين الأحوال الشخصية مما يضمن توفير حماية أكبر للمرأة أو حقوقا أوسع ، وتقتصر هذه التعديلات على أربع دول عربية هى مصر والعراق واليمن وتونس . ويلاحظ أن المرأة فى جميع الدول العربية - بإستثناء الأردن - تتمتع بنفس حقوق الرجل فيما يتعلق بإكتساب جنسيتها أو تغييرها أو الاحتفاظ بها . أما فيما يتعلق بجنسية الأبناء فتختلف الدول العربية فيما بينها ، وإن كان الاتجاه السائد التشدد فى إعطاء جنسية الأم للأبناء ، ويعزى ذلك إلى ان النسب الأبوى هو السائد فى المنطقة وبالتالى لابد أن ينسب الطفل إلى جنسية أبيه .

ولعل من أبرز صور التمييز بين الرجل والمرأة ما تنص عليه بعض قوانين الأحوال الشخصية بشأن احتفاظ الزوج بالحق المطلق فى طلاق زوجته ومراجعتها خلال العدة دون موافقتها ، وكذلك حقه فى تعدد زوجاته وفى حق الأب فى حضانة الأودلاد بعد بلوغ سن معينة دون تحقق أهليته للقيام بهذه المسئولية ، هذا إلى جانب قوانين ولوائح تفرق بين الرجل والمرأة فى حركتها وقدرتها على حرية التصرف[١٢] .

هذا ولم تتوقف المؤتمرات المحلية والاقليمية والعالمية منذ عقد المرأة فى السبعينيات حتى مؤتمر بكين [١٩٩٥] عن المطالبة بضرورة تعديل هذه التشريعات وتطويره بما يكفل ضمان تحرير المرأة العربية من مكانة المعوقات المعاصرة والمتوارثة التى تحول دون مشاركتها الكامله فى بناء المجتمعات العربية وتنميتها . إلا أن الواقع العربى لايزال يزخر بأنواع شتى من التمايز بين كانة وحقوق كل من المرأة والرجل وان كانت درجات هذا التمايز تختلف طبقاً لمستوى التطور التاريخى والاجتماعى والنسق الثقافى الخاص بكل مجتمع عربى بل وتتفاوت دخل المجتمع الواحد [حضر - ريف - بادية] وأيضا بين نساء الطبقات الاجتماعية المختلفة .

المرأة العربية والعنف :

تعانى معظم النساء العربيات فى الريف والحضر من أشكال مختلفة من العنف الذى يمارس ضدهن سواء داخل الأسرة أو فى أماكن العمل وفى الأماكن العامة مما يعد إنتهاكاً لحقوق الانسان . ويعتبر اجبار الفتيات على ترك المدرسة والأكراه فى معظم الأحيان على الزواج وتعرضهن للضرب من جانب الأهل واجبار المرأة العربية على التنازل عن حقوقها الشرعية والشخصية أو المدنيه بقوة ضغط التقاليد أو الاعراف السياسية شكلا صارخاً من أشكال العنف ضد المرأة . كما تتعرض النساء إلى العنف والإغتصاب بشكل خاص فى ظل الحروب والاحتلال وسائر الصراعات المسلحة [على الأخص اللاجئات والمهجرات والنازحات والاسيرات والسجينات والمعتقلات] بالاضافة إلى ما تتعرض اليه النساء من عنف بسبب قوانين الأحوال الشخصية فى ظل المناخ العربى العام المفتقر إلى الديموقراطية والوعى بحقوق الانسان .

[illegible] المرأة العربية :

على الرغم من تحسن المستوى الصحى للمرأة العربية حسب مؤشرات التنميةو البشرية الذى تضعه الأمم المتحدة . الا ان ذلك التحسن لايزال بعيداً عن المستوى المطلوب ويتفاوت من بلد عربى إلى آخر . وغالبية البلاد العربية ما زالت تعانى من الإنخفاض النسبى فى العمر المتوقع للمرأة عند الولادة . وذلك مقارنة بالدول المتقدمة . وتعتبر معدلات وفيات الأمهات المرتبطة بالولادة وكذلك معدلات تعرضهن للمرض مرتفعة . كما وما زالت معدلات وفيات الأطفال الرضع وإصابتهم بالمرض مرتفعة وتؤدى معدلات الخصوبة المرتفعة إلى تدهور صحة المرأة نتيجة الحمل المبكر أو المتأخر أو المتعدد والمتلاحق جداً وخاصة لدى المرأة التى تعيش

فى ظروف اقتصادية صعبة ويودى تدهور مستويات التغذية إلى زيادة عدد الأمهات والأطفال الذين يعانون من فقر الدم . ويعتبر عدم الوعى بالصحة الإنجابية ، بما فى ذلك تنظيم الأسرة وعدم كفاية الخدمات الصحية وسوء نوعيته ، من المشاكل التى لم يتم حلها بعد فى عدد من البلدان العربية . كذلك فإن بعض الدول العربية مازالت تعانى من إنخفاض لمستوى الصحى فيها بسبب عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية كالحروب والاحتلال والنزاعات أو الحصار المفروض على بعض الدول العربية .

ادوار الإعلام فى عصر العولمة :

فى إطار التسليم بالأدوار الحاسمه التى تؤثر بها كل من المنظومة التعليمية والثقافية والإعلامية فى تشكيل النسق الثقافى والقيمى السائد فى المجتمعات العربية تبرز أهمية الدور الذى تقوم به وسائل الإعلام والآليات المرتبطة بها والتى تتمثل فى قدراتها الهائلة فى التأثير المستمر والمتعدد الابعاد على مختلف الشرائح الاجتماعية المتعلمة والأمية علاوة على ما تتميز به وسائل الإعلام من طبيعة مزدوجه تساعدها على نشر وترويج الأفكار والقيم المتناقضه فى آن واحد فهى قد تساعد على تغيير القيم والعادات والمفاهيم التقليدية فتسهم بذلك فى خلق أشكال جديدة من الوعى أو تعمل على تثبيت وتعميق القيم والرؤى التقليدية فتسهم عندئذ فى تزييف وعى الأفراد بواقعهم وذواتهم وادوارهم الحقيقة . ولقد ظهرت منذ نهاية السبعينيات تيارات فكرية جديدة فى سياق التغيرات العلمية والتكنولوچية التى شهدتها دول الشمال والتى تواكبت مع المحاولات الدؤبه التى تقدم بها القوى العالمية لعولة الثقافة والتعليم والدين وسائر مكونات المنظومة الحضارية التى كانت تحتفظ باستقلال نسبى خارج دوائر وقيم السوق العالمية وقد كان لذلك كله مردوده

فى مجال الإعلام والاتصال وعلاقته بالعالم المعاصر حيث إحتدم النقاش حول الأدوار الجديدة للاعلام سواء فى مجال السياسى أو الثقافى والاجتماعى . إذ أصبح الإعلام يشغل موقعاً مركزياً فى الاستراتيچيات والسياسات التى تستهدف إعاده بناء المجتمعات المعاصره فى الشمال أو فى الجنوب وان كان ذلك أكثر وضوحاً فى المجتمعات الصناعية المتقدمة تكنولوچيا حيث يبرز دور الإعلام فى اعادة توزيع مراكز القوى فى مختلف المواقع بدءاً بالاسره والمدرسة والمصنع والمستشفى ثم مواقع العمل والترفية على مستوى الاقاليم ثم مستوى الدوله ككل وإذا كانت العولمة تسعى إلى خلق ثقافة كونيه شامله تغطى مختلف جوانب النشاط الانسانى وتتطلع إلى خلق الانسان العالمى المبرمج ذى البعد الواحد المؤمن بأيديولوچية السوق العالمية والمتوحد مع مصالحها ورموزها وشعاراتها فإن ذلك ما كان ممكناً ان يتحقق إلا بفضل الثلاثى التكنولوچى الصاعد الذى يعمل فى تناغم وتكامل غير مسبوق .

ويضم حسب ترتيب الأهمية كل من وسائل الإعلام السمعبصرى وشبكات المعلومات والطريق السريع للمعلومات والإتصال وفى ضوء ذلك أصبحت الامبراطوريات السمعبصرية [الفضائية والأرضية] هى المؤسسة التربوية والتعليمية الجديده التى حلت مكان كل من الأسرة والمدرسة والتى تقوم بدور أساسى فى تلقين النشىء والأجيال الجديدة المنظومة المعرفية المنزوعه من سياقها التاريخى والقيم السلوكية ذات النزعة الاستهلاكية حيث تقوم بتقديم معلبات ثقافية محكمة الصنع تتضمن منظومة جديدة من القيم تدور حول تشجيع النزعه الاستهلاكية وغرس قيم الانانية والفردية والروح النفعية .

وفى ضوء هذه التطورات تبرز الأشكالية الخاصة بموقف الإعلام من قضية المرأة العربية فى حقبة العولمة ويصبح السؤال المطروح هل يقوم الإعلام العربى

بدور إيجابى فى دفع قضية المرأة إلى الأمام أم يكتفى برصد واقعها الراهن بسلبياته وايجابياته أم يسعى متعمداً إلى تكريس أدوارها التقليدية متجاهلاً انجازاتها فى مجالات التعليم والعمل والابداع الفكرى والفنى . أم يحاول إستثمارها من خلال الاعلانات لترويج القيم الإستهلكية لصالح السوق العالمية والأسواق لمحلية .

ان التصدى لمعالجة الدور الذى تقوم به وسائل الإعلام فى تشكيل صورة المرأة العربية المعاصره لابد أن يندرج ضمن سياق الدور تقوم به هذه الوسائل فى تشكيل النسق القيمى والثقافى السائد فى المجتمعات العربيه وهذا بدوره يستلزم ضرورة تناول الإعلام وعلاقته بالمرأة العربية من خلال الأطر الفكرية والنظام القيمى السائد فى الوطن العربى فى سياق التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى طرأت على الواقع العربى وعلى الأخص خلال العقود الثلاثة الأخيرة فى القرن العشرين حيث يسود المجتمعات العربية نمطين بارزين من العلاقات والقيم الاجتماعية يتمثل أولهما فى النمط التقليدى الذى يقوم على توازن العصبيات المحلية حيث لا وجود حقوقى أو سياسى للمواطن الفرد سواء كان رجلاً أو امرأة خارج اطار العصبيه القائم على العائله والعشيره . ويعبر هذا النمط عن نظام تقسيم العمل الاجتماعى الذى تتميز به المجتمعات غير الصناعية ويتفاوت بين كل من البيئات البدويه والزراعية فى الوطن العربى حيث يلعب الرجل دور المنتج والمقاتل والفلاح فى علاقة مباشره مع العالم الخارجى فى حين تتكفئ المرأة داخل الأسره كعنصر منتج لانشطة منزلية غير معترف بها من الناحية الأقتصادية الصناعية .

وينفرد الرجل داخل هذا النمط بالأولوية ضمن نظام القيم السائد حيث تشكل المرأة أحد المحرمات المقدسة ، وقد رسم هذا النمط التقليدى من العلا[illegible] الجتماعية للمرأة العربية حدود فعلها الاجتماعى بحيث إنحصر دورها [illegible]

الأسـرة وتمحـورت صـورتهـا حـول المرأة الأم والأخت والزوجـة والأبنة . ويتـجـسـد ثانيهما فى النمط الأوربى الوافـد الذى بدأ يتـغلغل فى البلد العـربيـة فى نهـاية القـرن الثـامن عـشـر ، وإتخـذ أشكالاً تاريخـيـة مـتـباينة ومـتنوعـة عـبـر الاحـتكاك السيـاسى والاقتـصـادى والعلمى فى إطار محـاولات الدول الكبرى للسيطرة على الإمبراطورية العثمانية التى كان العالم العربى جزءاً منها حتى أوائل هذا القرن . وأفرز هذا الاحتكاك نظاماً قيميا وافداً انعكس على شتى المستويات السياسية والاقتـصـادية والفكرية والتربوية . كمـا حدد الصراع المستمـر بين هذين النمطين مسار كل من المرأة والرجل العربى ضمن السياق المجتمعى العام الذى خضعت له المجتمعات العربية منذ نهاية القرن التاسع عشر حيث أصبح الصراع سافراً بين نمط غربى وافد تغلغل داخل النسيج الثقافى والاجتماعى العربى وحمل معه العلم الحديث والتكنولوچيا المتقدمة فى إطار غزو سياسى اقتصادى - ثقافى شامل فى مواجهة نمط تقليدى يدافع عن مصالحه السياسية وهويته الثقافية ولا يستطيع تجاهل التفوق العلمى والتكنولوچى اللذين يتميز بهما الغرب . وقد إتخذت المواجهة بين هذين النمطين أشكالاً متعددة اختلفت بإختلاف المراحل التاريخية التى مر به العالم العربى وعبرت عن نفسـها سياسياً فى تراث حركة التحرر الوطنى العربية التى انتزعت بعض المكاسب السياسية الشكلية ، وتمثلت فى الاستقلال الوطنى ، وبقيت التبعية الاقتصادية الغربية وإن تدثرت باثواب معاصرة وإستمرت المواجهة محتدمة على الجبهة الثقافية .

وقـد إنعكس هذا الصـراع بصـورة مـبـاشـرة على قـضـيـة المرأة العـربيـة بإعتبارهـا أحد المحكات التى تتميز بشفافية خاصة داخل النسق الثقافى والقيمى السـائدو أسـفـر هذا الصراع عن بروز ثلاثة إتجـاهات رئيـسـية مـا زالت تتـعـايش وتتصارع حتى الآن فى مواجهة حادة لم تحسم فصولها بعد إزاء مختلف القضايا الحياتية المعاصرة وفي قلبها قضية المرأة فى الوطن العربى .

ويمكننا أن نرصد هذه الإتجاهات على النحو التالى :

أولاً - الاتجاه التقليدي السلفى :

يستمد شرعيته من التركة التاريخية من القهر والإستغلال المنظم للمرأة عبر العصور ، ومن التفسير السلفى الجامد للنصوص الدينية الذى ينظر المرأة على أنها مخلوق ناقص عقلاً وديناً ، ويفرض هذا الاتجاه وجوده بواسطة سلطة منظورة أو غير منظورة وعبر مجموعة من النواهى التى تستند إلى العرف والتقاليد والأديان . ويستفيد هذا الاتجاه من الأوضاع الراهنة فى المجتمعات العربية التى تعانى من نفكك المنظومة القيمية وعدم التوازن الاجتماعى والاقتصادى وغياب الديمقراطية بفعل ضغوط النظم الحاكمة فى إطار تبعيتها واستسلامها السياسى والاقتصادى للقوى الدولية المعاصره ويستمد هذا الاتجاه أستمراريته من خضوع وقبول وسلبية القطاع الأكبر من النساء العربيات المتعلمات والأميات سواء فى الحضر أو الريف . ويعبر عن نفسه فى بعض الكتابات والصور الإعلامية التى تحصر أدوار المرأة فى مسئولياتها المنزلية ، وتلغى الحظ الفاصل بين حقوقها وإرادتها ككائن مستقل ، وبين تبعيتها لسلطة الرجل فى الحقوق والمسئوليات داخل وخارج المنزل[١٣] .

ثانياً - الإتجاه الاجتماعى المتحرر :

ويستند إلى الدعوات الفكرية التى تبناها جيل الرواد فى الوطن العربى مثل رفاعة الطهطاوى وقاسم أمين والطاهر حداد وخير الدين التونسى والكواكبى وغيرهم مطالبين بسفور المرأة وتحررها فى إطار حركة الإحياء القومى التى تمثلت فى المحاولات الطليعية لجيل الرواد من المثقفين العرب الذى بشروا بقيم جديدة نتيجة احتكاكهم بالعالم الغربى بعد فترة إنكماش حضارى طويلة خلال الحقبة العثمانية حيث سيطرت على الفكر العربى الاسلامى قوالب جامدة . وقد ساعد

على نمو وإزدهار هذا الإتجاه التغيرات الاجتماعية التى طرأت على أوضاع المرأة العربية بفضل إنتشار التعليم وخروج المرأة للعمل ، وذلك فى إطار ثورات التحرر الوطنى التى هزت المجتمعات العربية خلال فترة السيطرة الاوربية وصولا الى مرحلة الاستقلال ، السيطرة الأوربية وصولا إلى مرحلة الاستقلال ، ويعبر هذا الاتجاه عن نفسه فى التيارات المعاصرة التى تنادى بضرورة إدماج المرأة فى التنمية أى إشركها فى كافة الأنشطة لمجتمعية السياسية والثقافية [١٤] .

ثالثاً : الاتجاه لانسوى لتحرير المرأة :

وينقسم هذ الاتجاه إلى تيارين ، **أولهما** التيار التقليدى شبه المتغرب الذى يستتند إلى الرصيد الذى حققته المرأة العربية فى مجال لتعليم والعمل ، ويتشبه بالحركات النسوية الغربية التى تحصر نضال لمرأة من أجل التحرر فى أطر معزولة تعكس رؤية إحادية فى قضية تحرر المرأة ، ويضم هذ التيار معظم التنظيمات النسائية العربية التى كرست هامشية النضال النسائى فى العالم العربى . وحاول هذا التيار التوفيق بين الأطر النسائية الوافدة من الغرب وبين قيم المجتمع التقليدى التى يفرضها النسق الثقافى السائد فى المجتمعات العربية .

أما **التيار لثانى** فهو يتبنى الرؤية النسوية الغربية فى تحرير المرأة من خلال تحطيم النظام الأبوى الذى ميز نمط العلاقات بين الجنسين سواء داخل الأسرة أو فى المجتمع بكافة مؤسساته وأنساقه السائدة . ويضم هذا التيار شريحة محدودة من النساء العربيات ذوات الثقافة الغربية ، وتكمن إشكالية هذا التيار فى أنه لا يربط بين تحرر المرأة وتحرر المجتمع ، بل يؤكد على فردية وأحادية النضال النسائى [١٥].

هذا وقد إنعكست الإتجاهات الثلاثة بتياراتها المختلفة على معالجات

ومواقف وسائل الإعلام من القضايا النسائية فى العالم العربى ، وأنتجت لنا صورا إعلامية عن المرأة تجسد مختلف التناقضات وصور لتفاوت الاجتماعى والثقافى التى تشكل الواقع الراهن للمرأة العربية .

المرأة العربية والإعلام :

سيتم التركيز فى هذا المحور على رصد أبرز النتائج التى توصلت اليه العديد من الدراسات لخاصة بالمرأة ولإعلام التى أجريت فى مختلف إنحاء العالم العربى خلال العقود الأربعة الماضية مستهدفين تحديد ملامح الصورة الإعلامية للمرأة لتى روجت لها وسائل الإعلام العربية والتى يمكن تناولها من خلال ما يلى :-

أولاً : رصد وتحليل السياسات الاعلامية العربية الراهنة تجاه المرأة ويتم ذلك من خلال تناول بعدين رئيسيين :-

أ - المعالجات الإعلامية وتتضمن تحليلاً لمضامين [القضايا - الأوردار - الفئات الاجتماعية - القيم] التى ركزت عليه وسائل الإعلام المطبوع والمرئى والمسموع مع الإشارة الى نوعية هذه المعالجات .

ب - الأداء الإعلامى والإتجاهات الفكرية للإعلاميات العربية إزاء قضية المرأة .

ثانياً : المنظور الفكرى والثقافى للقيادات الإعلامية تجاه قضية المرأة فى الوطن العربى .

ثالثاً : القضايا النسائية المهمشه والمستبعده فى الإعلام العربى وتفصيلا لذلك نشير الى الجوانب المذكوره على النحو التالى :-

اولاً : المعالجات الإعلامية

اهتمت وسائل الإعلام العربية المطبوعه والمسموعه والمرئية بتخصيص مساحات ثابته تتسم بالإستمراريه لمعالجة مشكلات وقضايا المرأة العربية . وقد

تمثل هذا الاهتمام الإعلامى فى شكل أبواب ثابته أو صفحات للمرأة فى الصحف اليوميه والأسبوعية علاوة على المجلات النسائية المتخصصه مثال [حواء نصف الدنيا فى مصر وأسرتى زهرة الخليج فى الكويت والامارات العربية والجزائرية فى الجزائر والأسره فى السعوديه .... الخ] .

وكذلك خصصت وسائل الإعلام المرئيه والمسموعه عدة برامج نسائية يوميه وأسبوعيه . كما اهتمت وسائل الإعلام العربية بإستخدام مختلف الأنظمة الإعلاميه والتى تتمثل صحفياً فى الأخبار والتحقيقات والأحاديث والصور الشخصية والموضوعية والتعليقات والتقارير الصحفية كذلك تنوعت المواد النسائيه فى الإذاعة والتليفزيون مابين الدراما والأخبار والاحاديث . ويتفاوت هذا الاهتمام من وسيلة اعلامية الى أخرى ومن بلد عربى الى آخر . غير أن هناك سمات عامه مشتركة يمكن إستخلاصها من خلال عمليات الرصد الجرئية التى قامت بها الدراسات التى أجريت عن معالجة وسائل الإعلام لقضايا المرأة العربية. ويمكن القول أن هناك سياسة إعلاميه مشتركة أو شبه موحده تلتزم بها كافة وسائل الإعلام العربية إزاء قضايا المرأة وتعبر عن نفسها من خلال المعالجات المتنوعه التى تتمحور حول مجموعة ركائز قيمية وفكرية يمكن إستخلاصها على النحو التالى :-

أولاً : تدور أغلب المضامين الإعلاميه الموجهة لمرأة والتى تنشرها الصحف العربية ووسائل الإعلام المرئية والمسموعه حول الإهتمامات التقليديه للمرأة العربية كزوجه وأم وربة بيت أى لا تتجاوز أمور الطهى والمطبخ والأزياء والتجميل والموضه ثم رعاية الأطفال والزوج وتشير بعض البحوث الى أن ٨٠٪ من موضوعات برامج المرأة فى التليفزيون تتناول موضوعات الطهى والحياكه والموضه وتربية الأطفال وفن الديكور[١٦].

وتؤكد الدراسات التى أجريت عن المجلات النسائية المتخصصة فى العالم العربى أنها تخصص ٧٥٪ من صفحاتها للقضايا التقليديه للمرأة سواء تلك التى تتعلق بالجوانب الجمالية والمظهرية [الأزياء - المكياج] أو المشاكل العاطفية للقارئات ثم العلاقات الاسرية وموضوعات التربية .

ولا شك أن هذا التوجه يعكس قناعه المسئولين عن الصحافة النسائيه فى أن القضيه الأولى بالنسبة للمرأة العربية هو تنمية إهتمامها بأنوثتها وإغفال قدراتها الأخرى كإنسانه وكمواطنة مما يساعد على ترسيخ الطابع التقليدى لصورة الذات لدى المرأة . [١٧] .

ثانياً : تتفق وسائل الإعلام العربية فى التركيز على الأدوار التقليدية للمرأة كزوجه وأم وربة بيت بينما لا تنال الأدوار الأخرى للمرأة فى مواقع الإنتاج والمشاركه الاجتماعية والثقافية والسياسية والاعمال الابداعية الا إهتماماً هامشيا . ولكن ذلك لا يعنى وجود بعض الإستثناءات التى تمثلت فى قليل من الصحف العربية التى اهتمت بابراز المشكلات التى تعانى منها المرأة فى مجال العمل وفى إطار التشريعات والقوانين السائدة وركزت على أهمية دمج المرأة فى خطط التنمية كما لا يمكن إغفال المحتوى الثورى الذى تتضمنه المجلات بعض النسائية التى تصدر فى إطار حركات التحرر الوطنى العربية [*] [١٨] .

هذا وتركز السينما العربية والدراما التليفزيونيه على ثلاثة أدوار تقليدية للمرأة العربية تنحصر فى الزوجة الخاضعة للزوج والمعتمده عليه والحريصة على الاحتفاظ به بأى ثمن والأم المعطاءه الراعية لابنائها والمنحازه للذكور منهم والابنه المطيعة لوالديها [١٩] .

[*] من ابرز الأمثلة ٨ مارس فى الغرب والمرأة السودانيه [الحرب الشيوعى السودانى] ومجلة فلسطينيه [الجبهه الشعبية] والجزائريه [الجزائر] ومجلة [إثمار المصرية] و مجلة [نساء اليمن - اليمن الجنوبى] . و مجلة [المرأة العراقية] - بغداد .

ثالثاً : تشير الدراسات الى تركيز وسائل الإعلام العربية على قطاعات محدودة من النساء العربيات تتمثل فى الشرائح العليا من الطبقة الوسطى من سكان المدن وتتجاهل فى مقابلها نساء الريف والبوادى والقطاعات النسائية الشعبية من سكان المدن . فقد أظهرت إحدى الدراسات الحديثة الغياب شبه الكامل للإهتمام بقضايا المرأة المصرية فى الريف اذ لم تتجاوز نسبة هذا الإهتمام فى الصحف اليومية عن ٢,٣٪ من اجمالى الاهتمام بكل قضايا المرأة المصرية بكافة قطاعاتها . كذلك كشف التحليل عن إهتمام المجلات الاسبوعية بقضايا وهموم المرأة المصرية فى الحضر بنسبة ٩٧,٥٪ من إجمالى الاهتمام بقطاعات المرأة المصرية . ولم يرد الاهتمام بالمرأة الريفيه عن ٢,٥٪ [٢٠] .

وفى الحالات التى عولجت فيها قضايا المرأة الريفية تم ذلك بصوره بعيده عن واقعها الحقيقى وفى إطار الجرائم وأزمة الشغالات والتغطية السطحية لانشطة بعض الرموز النسائية المنتميه للحزب الحاكم . كما كان الإهتمام بالمرأة البدوية يكاد يكون معدوما [٢١] .

كذلك لم يتجاوز نصيب المرأة الريفية من إهتمام برامج الإعلام المرئى والمسموع ٤٠٪ من مجموعة المواد التى قدمت خلال حقبتى السبعينات والثمانينات فى الراديو [٢٢] تشير إحدى الدراسات الى أن الصحافة الخليجية تتوجه أساساً الى نساء المدن وتتجاهل قضايا نساء البادية [٢٣] .

ويتكرر نفس الإتجاه لدى الصحافة المغربية والسوريه وان كان هناك إستثناءات محدوده تتمثل فى بعض الصحف النسائية الأردنية والعراقيه التى تبدى بعض الإهتمام بقضايا المرأة الريفية [٢٤] .

كما تولى وسائل الإعلام العربية إهتماما مبالغ فيه لبعض المهن النسائية على على حساب المهن الأخرى مثال إهتمامها بالفنانات والرياضيات وسيدات

الأعمال ونساء السلك الدبلوماسى على حساب المعالمات والطبيبات والعلمات والباحثات والمحاميات والعاملات والفلاحات . وتشير الدراسات أيضا الى تركيز وسائل الإعلام العربية على مراحل عمرية معينه لدى المرأة التى تتراوح ما بين ٢٠ عاماً–٤٠ عاماً أى مرحلتى الشباب والنضج وتهمل فى الأغلب المراحل الأخرى وعلى الأخص مرحلتى الكهوله والشخيوخة مما يشير الى رسوخ الرؤيه التقليديه عن المرأة بتركيز الاهتمام عليها فى فترة الحضوية واهمالها بعد تجاوز هذه المرحلة وأيضا قبلها فالملاحظ ان الفتيات صغيرات السن لا يشغلن أدنى إهتمام لدى وسائل الإعلام العربية [٢٥] .

كذلك أوضحت الدراسات التى أجريت عن الإعلام المرئى والمسموع ان الدراما التليفزيونيه تركز على فئات المرأة فى السن من ٢٠ – ٣٠ عاما بنسبة تصل إلى ٥٤٪ من اجمالى الفئات النسائية وأيضا تركز برامج المرأة فى الراديو المصرى على مخاطبة مراحل عمرية معينه وتهمل المسنات [٢٦] .

ولا يقتصر هذا التوجه الاحادى من جانب وسائل الإعلام العربية على الفئات النسائية السابق ذكرها بل ينصب إهتمامها الرئيسى على رصد ومتابعة أنشطة الشرائح العليا من نساء الطبقات الاجتماعية المتميزه والثريه فى العالم العربى سواء تمثل ذلك فى أنشطة شبه إنتاجية أو خدمية أو ترويحية أو إحتفالية .

ولعل من أبرز التداعيات السلبيه التى أفرزتها الحقبه النفطية تراجع العديد من القيم الإيجابية الأصيله مثل قيمة العمل والكفاءه وتعظيم الجهد البشرى والغيريه والإنتماء للوطن أمام قيم الثروه الريعيه والإستهلاك والرفاهيه والبذخ وتقليد ومحاكاه الأنماط الغربية المظهرية وقد إنعكس ذلك بوضوح على كافة الممارسات الإعلاميه فى العالم العربى وتجسد كأوضح ما يكون فى صفحات وبرامج المرأة فى الصحف ووسائل الإعلام المرئى والمسموع وعلى الأخص فى

الاعلانات حيث برز الاهتمام الإعلامى بالترويج للقيم الإستهلاكيه فى مجال الاعلانات عن السلع المستورده مثل الأثاث المنزلى والأزياء والعطور والأطعمه . وإذا كان لهذا الوضع مبرراته الشكليه بالنسبة لدول الخليج فانه غير مبرر بالنسبة للدول العربية الأخرى وعلى الأخص مصر التى تتميز بأنتاجها الوطنى فى مختلف القطاعات الإنتاجية والإستهلاكيه فضلاً عن الشوط الذى قطعته المرأة المصرية فى مجالات التعليم والعمل والمشاركه السياسيه والابداع .

نوعية المعالجات الإعلاميه :

كشف الدراسات عن تعدد وتنوع القوالب الإعلاميه التى تستخدمها وسائل الإعلام العربية فى تناولها لقضايا المرأة الا أنه لوحظ مايلى :-

فى الاطار الصحفى :

يلاحظ الإكتفاء بسرد المعلومات من خلال التغطية الخبريه المجرده والخاليه من المعالجه التفسيريه وذلك فيما يتعلق بقضايا المرأة والأسرة أو قضايا المرأة والتنمية فى الصحف اليوميه . أما بالنسبة للإهتمامات التقليدية للمرأة فقد غلب على معالجتها أشكال مواد الخدمات وإستخدام الحديث الصحفى ويلاحظ قلة الإستعانه بمواد الرأى [الاعمده الصحفيه - المقالات الموقعه ... الخ] فضلاً عن ضآلة الإستعانه برسائل القراء . مما يكشف عدم حرص الصحف العربية على إستخدام القوالب الإعلاميه التى تتيح تعدد الاراء ووجهات النظر المختلفه حول قضايا المرأة علاوة على عدم إتاحة الفرصه أمام جمهور القارئات للتعبير والمشاركه بالرأى فى المشكلات والقضايا النسائية المطروحه . كذلك لوحظ غلبة الطابع المحايد عند طرح بعض القضايا الخلافيه الخاصة بالمرأة .

رابعاً : تشير الدراسات الى أن الإعلام العربى يقدم المرأة على أنها مخلوق ناقص يفتقد القدرة على التفكير العقلانى فى مقابل التأكيد على أنها مخلوق عاطفى حساس هش وأنها تتوقع دوما العون والمساندة والقياده من جانب الرجل بالإضافة الى تصويرها على أنها أداه للجذب والإمتاع الجنسى وخصوصاً فى الاعلانات التى تبالغ فى استخدام المرأة كرمز للجنس حتى وان لم يكن لها علاقة بالسلع المعلن عنها [٣٧] .

وإنطلاقا من هذا المفهوم الذى يتبناه الإعلام العربى مهدراً الجوانب الانسانيه والتاريخ الطويل لكفاح المرأة كإنسانه وشريكة للرجل فى صنع الحضارة العربية الإسلامية تركز وسائل الإعلام على مجموعة من القيم التراثية التى تؤكد على مشروعية التمايز الاجتماعى والثقافى بين الجنسين بإعتباره من الامور الطبيعية التى لا تقبل الجدل . ويؤكد ذلك العديد من الشواهد التى تتمثل فى الصور السلبيه التى تنشرها وتعرضها وسائل الإعلام عن المرأة ككائن انثوى جنسى يتسم بالانانيه والتردد والسلبيه وتستغل وسائل الإعلام هذا المفهوم فى إستخدام المرأة كأداه اعلانيه وكجمهور إستهلاكى لذلك تتوجه اليها أغلب الرسائل الإعلاميه والاعلانيه التى تؤكد على القيم المظهرية والشكليه والإستهلاكيه فى مقابل إغفال قيم المساواه والقيم الانتاجيه وقيم المشاركة فى صنع القرار السياسى وقيم الابداع فى الفكر والفن والبحث العلمى .

وإستمرارا لنفس النهج الفكرى تدعم وسائل الإعلام العربى إغفالها وتجاهلها للواقع المعاصر للمرأة العربيه فى إطار الذاتيه الثقافيه التى تتميز بها المنطقة العربيه فتطرح صوره المرأة الغربية كنموذج وكمثل أعلى على المرأة العربيه ان تحتذى به وتقلده فعلى سبيل المثال حينما ارأدت أحدى الصحف المصريه اليوميه ان تقدم نموذجاً للصلابة والاراده والنجاح قدمت روزا كنيدى والدة الرئيس

الأمريكي جون كنيدى وذلك رغم وجود عشرات بل مئات الآلاف من النساء العربيات والمصريات اللائى يتميزن بالصلابه والاراده والنجاح فى مواجهة العوائق العديدة التى تحاصرهن[٢٨] . أو الإكتفاء بعرض وجهة نظر واحده وإغفال وجهات النظر الأخرى . ويغلب على الأخبار النسائيه المنشوره فى الصحف طابع المجامله خصوصاً ما يتعلق بالتهانى أو متابعة أنشطة الشخصيات النسائية البارزه وبالنسبه لمواد الرأى يلاحظ إعتمادها على شتى أنواع البراهين التقليدية مثل العرف الاجتماعي والبراهين الدينيه والبراهين البراجماتيه وقلة الإستعانه بالبراهين العقلية.أما فى الإطار المرئى والمسموع يلاحظ غلبة القوالب الإعلاميه الوصفيه وتجنب القضايا الخلاقيه والإستعانه بمجموعات معروفه من المفكرين والمشرعين الرسميين لغرض وجهة النظر التقليدية وعدم السماح لجمهور المشاهدات والمستمعات بالمشاركه الا فى أضيق الحدود وبما يؤكد ترسيخ القيم والرؤى التقليديه التى تتبناها وسائل الإعلام المرئى والمسموع فى العالم العربى [٢٩] .

هذا ويلاحظ بصفة عامه قلة التحقيقات الميدانية التى تتناول أوضاع المرأة العربيه . كما لوحظ الاعتماد على الترجمة من المجلات والصحف الأجنبيه . وبقدر ما تعكس هذه الظاهره مدى غرلة الإعلاميات العربيات عن واقعهن المجتمعى وعن المشكلات الحقيقية التى تعانى منها المرأة العربية فإنها وهذا هو الأخطر تؤدى الى قيامهن من حيث لا يردن ولا يدرين بدور الوسائط الناقله للقيم والسلوكيات الأجنبيه دون تعمق أو إستيعاب نقدى .

أولاً : [ب] الاداء الإعلامى والاتجاهات الفكرية للإعلاميات العربيات تجاه قضية المرأة [*] .

تشير الدراسات القليله التى أجريت عن القائمات بالإتصال فى الإعلام العربى المطبوع والمرئى والمسموع الى مجموعة من الحقائق نوجزها على النحو التالى :-

[*] يقتصر الحديث على القائمات بالإتصال فى إطار التجربه الإعلاميه المصريه .

١ - أن أغلب القائمين بالإتصال فى مجال إعلام المرأة من النساء سواء المحررات فى الصحف أو مقدمات البرامج النسائيه فى الراديو والتليفزيون وجميعيهن حاصلات على مؤهلات جامعيه وينتمون الى الشرائح الوسطى والصغرى من الطبقة الوسطى ومن سكان المدن [العاصمة على وجه التحديد] .

٢ - إعترف تغالبيتهن [حوالى ٧٥٪ من العينات المدروسة] أنهن التحقن بالعمل الإعلامى عن طريق العلاقات الشخصية بينما لم تزد نسبة اللوائى تقدمن للعمل الإعلامى دون واسطه عن ٢٥٪ - وتبرز هنا خطورة التحاقهن للعمل باقسام المرأة دون إقتناع أو تأهيل للقيام بهذه المسئوليه التى تتطلب ثقافة موسوعيه بقضية المرأة ومشكلاتها فضلاً عن الحماس والايمان بها كقضية مجتمعيه ذات أولويه خاصة .

٣ - ذكرت القائمات بالإتصال ان صحافة المرأة يجب أن تركز على القضايا التاليه :-

أ - الدعوه الى محو أمية المرأة الريفية .

ب - تنظيم الاسرة .

ج - التوسع فى مشروعات تشغيل المرأة الريفية .

د - التربية السليمه للأبناء .

هـ - التوعيه الصحية .

و - تدريب القيادات النسائية .

ن - التوعيه السياسيه .

ى - ترشيد الإستهلاك .

وقد أظهرت الدراسات وجود فجوة بين ما تنشره وتذيعه وسائل الإعلام العربية عن المرأة وبين قائمة الاولويات التى طرحتها الصحفيات المصريات . مما

يكشف عن وجود تناقض واضح قد يرجع فى بعض أسبابه الى السياسات الإعلاميه التى تميل الى تهميش الصفحات والبرامج النسائية وقد يرجع الى عدم إدراك القائمات بالإتصال للدور الذى يجب أن يقمن به لدفع قضية المرأة على المستوى الإعلامى من خلال إمتلاك التصور الصحيح للأولويات والعمل على طرحها إعلاميا بروح دؤوبة وحرص على إدخالها ضمن قائمة الأولويات الإعلاميه .

٤ – معظم القائمات بالإتصال فى الصحف لم تتح لهن فرصة السفر الى الريف وذلك عكس الإعلاميات فى التليفزيون والراديو اذ تعددت مرات زيارتهن الى الريف المصرى .

٥ – تتبنى الإعلاميات المصريات توجهات تقليديه إزاء قضية المرأة ويبدى أغلبهن تحيزاً واضحاً للمرأة الحضريه المثقفه كما لا يخفين إنبهارهن بالمرأة الغربية والحريات التى تتمتع بها ولا يملكن تصوراً خاصاً بأولويات قضايا المرأة على المستوى المجتمعى كما لا يعرفن على وجه التحديد الجمهور النسائى الذى يتوجهن اليه سواء من حيث سماته أو خصائصه أو إحتياجاته الفعلية .

٦ – أشارت أغلب القائمات بالإتصال الى عدم إدراك وإقتناع القيادات الإعلاميه بأهمية أقسام المرأة [٣٠] .

٧ – تفضل القائمات بالإتصال إقتصار الصحافة النسائية على معالجة مشكلات المرأة فى المدينه إذ لا تربطهن فى الواقع أية علاقة موضوعية بنساء الريف فكيف يكتبن عنهن وهن معزولات تماماً عما يدور فى الريف بنسائه ورجاله .

٨ – أشارت الإعلاميات الى بعض المحظورات التى لا يستطن الإقتراب منها مثل الكتابه عن قانون الأحوال الشخصية أو الخيانات الزوجية أو الزواج العرفى بين طلاب وطالبات الجامعات .... الخ .

ثانيا : المنظور الفكرى والثقافى للقيادات الإعلاميه تجاه قضايا المرأة :

رغم إنعدام الدراسات التى تتناول السمات والخصائص الثقافيه والمهنيه للقيادات الإعلاميه فى الوطن العربى الا أن الدراسات القليلة التى أجريت عن القائين بالإتصال فى مجال إعلام المرأة قد أشارت الى إجماع الإعلاميات العربيات على إرجاع كافة العوائق المهنيه التي يعانين منها الى موقف القيادات الإعلاميه وعدم إقتناعهم بأهمية صفحات وبرامج المرأة . ولذلك تتعرض المساحات المخصصه للمرأة الى التحجيم بل والالغاء أحياناً عندما تطرأ ظروف إستثنائيه مثل زيادة الاعلانات أو خطبة سياسيه لأحد الرؤساء . كذلك تعانى البرامج النسائية فى التليفزيون والراديو من عدم الإستقرار سواء فى المساحة الزمنيه المخصصة لها أو محاصرتها فى موضوعات تقليدية بل وتتعرض أحياناً الى الالغاء فى بعض الدورات الاذاعيه .

هذا ويلاحظ أن الأسلوب الذى يتم به إختيار الإعلاميات العاملات فى صفحات وبرامج المرأة يعكس الرؤيه الهامشيه التى ينظر بها المسئولون الإعلاميون الى قضايا المرأة . اذ يعتبرون اقسام المرأة لا تزيد عن كونها اداه لإعادة إنتاج القيم والسلوكيات التقليديه الخاصة بالمرأة ولا يمكن ان ترقى الى مستوى الأقسام الإعلاميه الأخرى مثل الأقسام السياسيه والجريمه والرياضة والاجتماعيات والفن .

لذلك أصبحت هذه الاقسام مستودعاً للكثيرات من المغضوب عليهن أو المفتقرات الى الموهبه والكفاءه من أصحاب الواسطه ، يضاف الى ما سبق أن أغلب القيادات الإعلاميه فى العالم العربى ينتمون الى الشرائح الوسطى والدنيا من الطبقة الوسطى ومؤهلون جامعياً ويعتبرون ان الدائرة السياسية تحتل المكانه

والأفضليه الاولى فى الإهتمام الإعلامى وتأتى بعدها بل وتسير فى فلكها سائر الدوائر الأخرى الاقتصاديه والثقافيه والاجتماعيه وفى ذيل هذه القائمه تأتى قضايا المرأة والطفولة . كذلك يعتقدون كما تؤكد ذلك ممارساتهم المهنيه ان العاصمة بأحداثها وشخصياتها واهتماماتها تشغل بؤره الاهتمام الإعلامى . واذا لم يكن هناك بد من متابعة ما يحدث فى الريف فإن ذلك يتم فى أضيق نطاق [الصفحات الداخليه والبرامج القصيرة] الا اذا وقعت أحداث جسام فى الريف تفرض عليهم تسليط الأضواء الإعلاميه لبعض الوقت . ولا شك ان هناك بعض الإستثناءات القليله التى تؤمن بضرورة إدماج المرأة فى خطط التنمية الشامله وتعكس رؤى متقدمه تجاه المرأة العامله وتطالب بضرورة محو أمية النساء فى الريف والباديه وتطالب أحياناً بضرورة تعديل قوانين الأحوال الشخصية لصالح الأسره العربيه ولكنها أصوات قليلة لا تؤثر بالقدر الكافى فى تغيير الإتجاهات السائده . وتتأرجح أغلب القيادات الإعلاميه بين الرؤيه السلفيه التقليديه للمرأة وبين الانبهار بالسلوكيات المظهريه للمرأة الغربيه مما يعكس إزدواجيه ثقافيه تنعكس على المواقف والممارسات المهنيه سواء تجاه الإعلاميات أو إتجاه المضامين النسائية التى تنشرها وتذيعها وسائل الإعلام .

ثالثا : القضايا النسائية المهمشه والمستبعده فى الإعلام العربى :

تشير الدراسات الى تركيز وسائل الإعلام العربيه على قضايا نسائية دون أخرى وفئات نسائية تنتمى الى طبقات ومهن دون غيرها . كما تسلط وسائل الإعلام جل اهتمامها على نساء المدن المحصورات فى دائرة الضوء سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً . وتتجاهل فى مقابل ذلك الكثير من القضايا الأساسيه المتعلقة بالمرأة العربيه وأدوارها .

وتفصيلا لذلك :-

١ – تتجاهل وسائل الإعلام العربية بصورة عامه الموضوعات التى تعكس التطور الذى طرأ على وضعية ومكانة المرأة العربيه من خلال الإنجازات التى حققتها عبر نصف القرن الأخير فى التعليم والعمل والمشاركه الثقافيه والسياسية والابداع .

٢ – هناك إهمال لقضية المشاركه السياسية والعمل النقابى من جانب المرأة العربيه الا فى إستثناءات محدوده تبرز فى معالجات بعض وسائل الإعلام العربية فى مصر العراق وفلسطين والجزائر وسوريا .

٣– تبدى وسائل الإعلام العربيه اهتماماً محدوداً بقضية محو الأميه لدى النساء العربيات رغم إرتفاع معدلاتها بصوره ملحوظه خصوصاً فى الريف والبوادى .

٤ – يتجاهل الإعلام العربى مشكلات وهموم الغالبيه العظمى من النساء العربيات فى الريف والأحياء الشعبية والبوادى . اذا كانت الحجة التى يسوقونها فى هذا المجال هى إنتشار الأميه بين نساء الريف وصعوبة إطلاعهم على الصحف . فإن الدراسات التى أجريت عن الإعلام المرئى والمسموع تدحض هذه الحجة . اذ أسفرت عن نتائج مماثلة تتلخص فى التجاهل شبه الكامل لمشكلات وقضايا المرأة الريفيه والبدويه رغم إنتشار الراديو والتليفزيون فى مختلف انحاء الريف والباديه العربيه مما يعنى انتقاء عقبه الأميه فى هذه الحاله .

٥ – تتجاهل وسائل الإعلام العربيه الجماهير النسائية فى العالم العربى فلا تخصص الا فى النادر بريد للقارئات أو المستمعات كما لا تحاول تنظيم حملات إعلاميه للتوعيه الصحة أو البيئية أو السياسيه للقطاعات النسائية المحرومه من هذه الخدمات .

٦ – تتحاشى وسائل الإعلام العربيه الإقتراب من بعض القضايا النسائية الخلاقيه مثل قوانين الأحوال الشخصيه والأسباب الاجتماعيه للجرائم النسائيه واشتغال المرأة ببعض المهن مثال : قاضية أو نقيبة لاحدى النقابات المهنيه أو العماليه ....الخ . أو المطالبه بتسهيلات وخدمات تخفف العبء عن المرأة العامله أو حقوق المعوقات والمسنات أو حماية اليتيمات واللقيطات وخادمات المنازل .... الخ .

٧ – تتجاهل وسائل الإعلام العربيه النساء الفقيرات فى المدن والريف ولا تتعرض لمناقشة أسباب الجرائم النسائية وخصوصاً الانحرافات الأخلاقيه التى غالباً ما تحدث لأسباب اقتصاديه وضغوط اجتماعيه تتعرض لها نساء الطبقات الفقيره بصفه خاصه .

إستخلاصات أساسية :

من خلال المقارنه بين الاتجاهات الفكريه السائدة فى المجتمعات العربية إزاء قضية المرأة وبين الواقع الفعلى للمرأة العربية فى مجالات التعليم والعمل والمشاركه السياسيه والابداع وبين معالجات وسائل الإعلام لقضايا المرأة ومشكلاتها فى اطار السياسات الإعلاميه السائده . من خلال كل ما سبق يمكن استخلاص ما يلى :-

١ – تخلف الإعلام العربى عن مواكبة الانجازات التى حققتها المرأة العربيه على أرض الواقع اذ تشكل المتعلمات نسبة تزيد عن ٥٠٪ فى بعض المجتمعات العربيه ولا تقل عن ٣٥٪ فى أغلب المجتمعات العربيه . وتشكل المرأة العربيه ما بين ١٠٪ – ٤٠٪ من قوة العمل الانتاجى فى معظم البلاد العربيه كذلك فى مجالات الابداع الفنى والأدبى والبحث العلمى . أما فى المشاركه السياسيه فهناك محاولات دؤوبه من جانب النساء العربيات لتشكيل تنظيمات مستقلة لخوض معركة

العمل السياسي ولا شك ان العقبات التى تصادفهن تشكل جزءا من أزمة الديموقراطية وسيطرة النظم الأوتوقراطيه فى العالم ككل .

ويبدو واضحاً تقاعس الإعلام العربى عن مساندة المرأة العربيه فى المطالبه بحقوقها سواء فى المشاركه السياسية . ويبرز ذلك واضحاً من خلال تكريسه للتوجهات التقليديه التى تحصر المرأة فى أدوارها المتوارثه كأم معطاءه وزوجه منقاده وابنه مطيعه ومن خلال تحريضه المستمر لمحاكاة وتقليد النماذج النسائية الأوربية والأمريكية .

٢ - التحيز الطبقى والاجتماعى من جانب وسائل الإعلام العربيه لنساء المدن على حساب نساء الريف ولصوره المرأه الأنثى الجميله الأنيقه على حساب الصور الأخرى للمرأة كمنتجه ومشاركه فى التنميه وفى صنع القرار السياسى وكعامله وأديبه وفنانه وكمواطنه تتساوى مع الرجل فى الحقوق والمسئوليات وقد يكون هذا التحيز مفهوما ومبررا اذا افترضنا ان وسائل الإعلام العربيه تتوجه أصلاً الى جمهور تتحدد إهتماماته بدائرة مصالحه ولكن اذا كانت هذه الوسائل تزعم أنها تحاول شق قنوات إعلاميه متنوعه تشمل مختلف القطاعات الجماهيريه لذلك فإنها ملزمه ازاء جمهورها من القراء والمستمعين والمشاهدين فى المدن ان تطلعهم على أنماط الحياه ومشاكل وهموم النساء من الطبقات الأخرى وليس من مهام الإعلام العربى تكريس عزلة الطبقات العليا والنخب السياسيه والثقافيه داخل ابراج عاجيه سواء كانوا رجالا أم نساءاً .

٣ - سيادة نمط الإتصال الأحادى العلوى فى الإعلام النسائى تاكيرا لما هو سائد فى الإعلام العربى ككل الذى يتجه من الحكام الى المحكومين ومن النخبه الى القاعده ومن المتعلمين الى الأميين ومن سكان المدن الى سكان الريف ويقوم

بدور أساسى فى عمليات الضبط الاجتماعى وحماية الأوضاع السياسيه والاجتماعيه القائمة .ومن الواضح أن هذه النظره تستند الى فلسفه لا تحترم عقلية الجماهير ولا تحرص على تلبية احتياجاتها الإعلاميه والإتصاليه . وتعد هذه القضيه من أهم التحديات التى تواجه الحكومات العربيه فى مجال الإعلام والإتصال وذلك بسبب إرتباطها بالنظريه العامه للسلطة التى تحدد السياسات وتتحكم فى الممارسات الإعلاميه فى الوطن العربى . وغنى عن القول أن الإعلام العربى يدين بالتبعيه شبه الكاملة للنظريات الغربيه فى الإعلام مضافاً اليها السمات الخاصة بالواقع الاجتماعى والسياس فى الوطن العربى الذى يتمثل فى سيطرة النظم الاستبداديه والفلسفات السلفيه والنظرة الاستعلائيه للجمهور بسبب إنتشار الأميه والجمود الاجتماعى .

ولا شك أن سيادة هذا النمط الإتصالى الأحادى القادم من أعلى والذى يستبعد الحوار والمشاركه الجماهيريه كفيل بأن يفسر لنا أسباب تجاهل وسائل الإعلام العربيه للجمهور النسائى كجزء من تجاهل الجمهور العام ومحاولة حصره فى دور المتلقى السلبى للرسائل الإعلاميه وهذا يثير بدوره إشكالية الحقوق الإتصاليه للجماهير النسائى فى العالم العربى . فالمشاركه النسائيه فى العمليات الإعلاميه الخاصه بالمرأة تكفل تحقيق التفاعل بين القائمين بالإتصال والجمهور النسائى المتلقى بما يضمن لوسائل الإعلام التعرف على جمهورها وخصائصه وإحتياجاته الثقافيه والإتصاليه وبما يساعد فى المدى الطويل على كسر إحتكار القيادات الإعلاميه لسلطة صنع واتخاذ القرارات الإعلاميه .

٤ – إفتقار الإعلاميات العربيات الى الثقافه المجتمعيه المعاصره بصفه عامة وما يتعلق بقضية المرأة بصفه خاصة . ويؤكد ذلك الدراسات التى أجريت عن

القائمات بالإتصال والتى أبرزت التناقض الواضح بين صورة المرأة كما تقدمها وسائل الإعلام العربيه وبين الصوره المرتسمه فى اذهان الإعلاميات اللائى يتولين كتابة ونشر واذاعة المواد الإعلاميه التى تتشكل منها صورة المرأة بسلبياتها وإيجابياتها . ولا شك أن ذلك يرجع الى مجموعة من الأسباب فى مقدمتها الأسلوب الذى يتم به إختيار الجهاز الإعلامى من الصحفيات والاذاعيات المشتغلات فى الإعلام النسائي . اذ تبين أن ٢٥٪ فقط يتم إختيارهم بناء على الكفاءه والإهتمام بقضايا المرأة بينما يتم اختيار ٥٠٪ بناء على الوساطه والعلاقات الشخصيه والنسبه الباقيه هى ٢٥٪ يتم فرضهن على صفحات وبرامج المرأة طبقا لظروف كل وسيله إعلاميه . هذا علاوة على إنعدام الفرص للتدريب والاحتكاك بالعالم الخارجى من خال المؤتمرات وذلك بالنسبه للإعلاميات عموماً والصفيات تحديداً .

٥ – تتحكم الإنتماءات الفكريه والثقافيه للقيادات الإعلاميه فى الممارسات الإعلاميه فى مجال إعلام المرأة . وقد لوحظ أن هذه القيادات لا تملك تصوراً محدداً إزاء قضايا المرأة فضلاً عن تارجحهم بين الإتجاهات التقليديه السلفيه التى تؤمن بالموروثات التاريخيه وفكرة النقص الأنثوى وسيطرة النمط الأبوى وبين الإتجاهات المتغربه الوافده . وقليل منهم يتبنى الأتجاه الاجتماعى المتحرر إزاء قضية المرأة . وينعكس هذا الخليط الفكرى فى صورة تناقضات يعانى منها الإعلام النسائى فى العالم العربى بصورة ملحوظه .

٦ – غياب الجمهور النسائى وإحتياجاته عن قائمة الأولويات الإعلاميه اذ لوحظ أن الإعلاميات العربيات لا يمتلكن أى تصور محدد عن الجمهور النسائى الذى يتوجهن اليه برسائلهن الإعلاميه ويؤكد ذلك ما جاء على لسان القائمات

بالإتصال وكذلك نتائج الدراسات التى أجريت لتحليل المضامين الإعلاميه الخاصة بالمرأة اذ أوضحت غياب قطاعات كبيرة من الجمهور النسائي عن دائرة الإهتمام الإعلامى وخصوصاً المرأة الريفيه والبدويه والمنتميه الى القطاعات الشعبيه . مما يشير الى أن الإعلاميات يتخاطبن فقط مع الفئات النسائيه التى تتواجد داخل الدائرة الاجتماعيه والطبقيه للإعلاميات وأيضا اللواتى تتسلط عليهن اضواء المجتمع فى العواصم العربية والمركز الحضرية وحتى هؤلاء لم نجرى عنهن أية دراسات لتحديد سماتهن وخصائصهن ومشاكلهن الحقيقية . ويرجع ذلك الى موقف المؤسسات الإعلاميه العربية عموماً من قضية الجمهور وحقوقه الإتصاليه . فلم يحدث أن قامت أى مؤسسه إعلاميه عربية بإجراء داسات للتعرف على الجمهور بصفة عامه وعلى الجمهو النسائى تحديداً . بل يتم ذلك فى الأغلب بناء على التخمين والانطباعات الذاتيه وتصور زائف يسود لدى الإعلاميين مفاده ان ما يفكرون فيه يتطابق مع الاحتياجات والقضايا والهموم الحقيقيه للجماهير مما يعكس نوعا من الوصايه الفكرية غير المنظوره يمارسها الإعلاميون على الجماهير ويترتب عليها حرمان الجماهير من حقوقهم الإتصاليه التى نصت عليها المواثيق والدساتير المحليه والعلميه .

واذا كان المضمون والباحثون فى قضايا حقوق قد توصلوا الى تحديد أبرز مقومات الحق فى الإتصال على النحو التالى : [٣١]

١ – الحق فى المشاركه .

٢ – الحق فى الإعلام .

٣ – الحق فى تلقى المعلومات .

٤ – الحق فى الإنتفاع بموارد الإتصال .

فان تحقيق هذه المقومات يستلزم ضرورة توافر موارد الإتصال اللازمه للوفاء بإحتياجات الإتصال الانسانى لكافة الشرائح الاجتماعيه والجماعات الثقافيه . كما يقتضى ضمان حق المشاركة والإنتفاع بوسائل الإعلام الحاليه للسواد الأعظم من الناس . فهل هذا متحقق بالنسبة للجمهور النسائى كجزء من الجمهور العام ؟ والى أى مدى يمكن أن يتحقق ذلك فى ظل الجهل التام بطبيعة هذا الجمهور واحتياجاته الإتصاليه ؟ فضلاً عن سيطرة النمط المركزى السلطوى الاحادى الإتجاه وإتساع دائرة المحرمات والممنوعات فى الإعلام العربى .

وفى ضوء هذه الإستخلاصات تبرز مجموعه من الضروات نجملها على النحو التالى :-

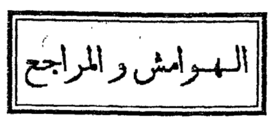
أولاً : ضرورة قيام وسائل الإتصال الجماهيرى [الصحافة – الراديو – التليفزيون] بإجراء إستطلاعات دورية منظمه للتعرف على إتجاهات الجمهور وإحتياجاته . وفى إطار ذلك تتحدد مسئولية القائمين على الإعلام النسائى بايلاء إهتمام خاص للتعرف على خريطة الجماهير النسائيه وتحديد سماتها الواقعيه ومشاكلها الفعليه وإحتياجاتها الحقيقية ومتابعة التطورات السلبية والإيجابيه التى تطرأ على هذه الخريطة بفعل التغيرات والأحداث المجتمعيه مع مراعاة الاستعانه بنتائج هذه الإستطلاعات فى رسم وتحديد التوجهات العامه للسياسه الإعلاميه فى مجال الإعلام النسائى .

ثانياً : كسر الحلقة التى تفصل بين الممارسين الإعلامين فى مجال إعلام المرأة والأكاديميين فى مجال العلوم الاجتماعيه وعلى الأخص علوم الإعلام والإتصال وخلق جسر من التواصل لتبادل الخبرات المعرفيه والمهنيه سعياً للتوصل الى صيغه تساعد على النهوض بالإعلام النسائى وتصحيح مساره بما يكفل قيام

وسائل الإعلام العربيه بدورها الاجتماعى والثقافى إزاء قضية المرأة والتمايز بين الجنسين .

ثالثاً : ضرورة التوسع فى عقد الدورات التدريبيه وحلقات النقاش للإعلاميات والإعلاميين وعلى الأخص القيادات الإعلاميه حول قضايا المرأة والتمايز بين الجنسين فى المجتمعات العربيه .

رابعاً : إهتمام القيادات الأكاديميه فى مجال البحث الاجتماعى بتأسيس وتأصيل الفرع الخاص بعلم اجتماع المرأة والتمايز بين الجنسين . بحيث يصبح قادراً على تزويد سائر العلوم الاجتماعيه وفى قلبها علوم الإعلام والإتصال بالبحوث والدراسات الأساسيه الخاصة بالمرأة العربيه وقضاياها .



الهوامش والمراجع

١ – أنظر سمير أمين : مناخ العصر ، ندوة التطورات والتحولات المجتمعيه فى الوطن العربى ، مركز البحوث العربيه والجمعية العربية لعلم الاجتماع ، القاهرة .

2- H. Schiller: Mass-Communication and American Empire, Beacon press1977.,Yves Eudes:la Conquete des esprits-Paris1982.

3- Maria Meis:Patriarchy And Capaitalit Accumulation.Zed Books-London-1993.

٤ – أنظر شريف حتاته : المرأة والعولة وتقسيم العمل الدولى ، ندوة التطورات العلميه والتحولات المجتمعيه فى الوطن العربى ، مركز البحوث العربية القاهرة ، مارس ، ١٩٩٧ .

٥ – أنظر إيناس طه : مؤتمر المرأة فى بكين الخصوصيه والعاليه ، كراسات استراتيجية ، الأهرام ، ١٩٩٥ .

٦ – أنظر خطة العمل العربية للنهوض بالمرأة حتى عام ٢٠٠٥ ، الاجتماع العربى الاقليمى التحضيرى لمؤتمر بكين ، عمان الأردن ، نوفمبر ، ١٩٩٤ .

٧ – انظر أمينة شفيق : تأثير الحقبة النفطية على أوضاع المرأة العربية ورقة عمل مقدمه إلى [ندوة المرأة العربية فى اطار الحقبة النفطية] منظمة التضامن الافريقى الأسيوى ، القاهرة ١٩٨٦.

٨ – زينب شاهين : المرأة وأزمة التعليم ، جريدة الأهرام ، القاهرة ٢٩ مارس ١٩٩٤ ، ص ٨ .

٩ – أنظر أمينة شفيق مصدر سابق ص ٨ .

١٠ – أنظر عواطف عبد الرحمن : صورة المرأة العربية فى وسائل الاعلام فى كتاب [دراسات فى الصحافة العربية المعاصرة] دار الفارابى ، بيروت ١٩٨٩ ، ص ٥٢ .

١١ – انظر تقرير المجلس الاقتصادى والاجتماعى ، الأمم المتحدة عن تطور أوضاع المرأة العربية فى منطقة غربى آسيا خلال العقد العالمى للمرأة ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ٥٢ .

١٢ – انظر عبد العظيم أنيس : مؤشرات بقياس أحوال المرأة فى الوطن العربى ، دراسة غير منشورة مقدمة لمنظمة الأليسكوا ، فبراير ، ١٩٨٢ .

١٣ – انظر [أ] هشام شرابى ، القدس ، منشورات صلاح الدين ص ١١٢ ، ١٢٤ .

[ب] هدى رزق : المرأه والتغيير الاجتماعى ، ملاحظات منهجيه ندوة المرأة العربية المعاصرة ، جامعة قار يونس ، ليبيا ، ١٩٨٩ .

١٤ – أنظر [أ] عواطف عبد الرحمن : صورة المرأة العربية فى وسائل الإعلام فى كتاب دراسات فى الصحافة المعاصرة ، مصدر سابق ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

[ب] فهميه شرف الدين : المرأة والتغيير ، ملاحظات أوليه ، ندوة المرأة العربية المعاصرة ، قار يونس ، ليبيا ١٩٨٩ ، مصدر سابق .

١٥ – انظر تقرير المجلس الاقتصادى الاجتماعى ، الأمم لمتحدة عن تطور أوضاع المرأة العربية فى منطقة غربى أسيا ، بغداد ، مصدر سابق ص ٤٦ ، ٤٧ .

١٦ – انظر كل من :

– جيهان الهامى : الصحافة المصرية وقضايا المرأة العربية خلال العقد العالمى للمرأة [١٩٧٥ ، ١٩٨٥] ، رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ١٩٨٩ .

- عليه السيسي : مجلة حواء ، دراسة نظرية وتحليلية ١٩٥٧ ، ١٩٧٠ رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية الاعلام ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٥ .

١٧ - انظر محمد طلال : صورة المرأة في الاعلام العربي ، لجنة المرأة العربية ، جدول أعمال الدورتين ١٠، ١١ ، عمان ، جامعة الدول العربية ، ١٩٨٤ .

١٨ - انظر ناهد رمزي : المسئولية الاجتماعية لوسائل الإتصال وتغيير الوضع الاجتماعي للمرأة في المجتمع العربي ، مجلة شئون عربية ، العدد ٣١ سبتمبر ١٩٨٣ ، نقلاً عن ليلى عبد المجيد ، موقع المرأة العربية على خريطة السياسات الإعلاميه ، مجلة الدراسات الإعلاميه ، العدد ٦٠ ، سبتمبر ١٩٩٠ ، ص ٧١ .

١٩ - انظر كل من : محمد طلال : مصدر سابق

- منى الحديدي : دراسة تحليليه لصورة المرأة في الفيلم المصري رسالة دكتوراه غير منشوره ، كلية الاعلام ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧ .

٢٠ - انظر د. ليلى عبد المجيد : التقرير الاعلامي ، دراسة جماعية عن تاثير المرأة والاعلام على التنمية في الريف المصري ، مصد سابق .

٢١ - انظر عليه السيسي : مصدر سابق ، ليلى عبد المجيد ، هامش رقم [١٤] .

٢٢ - ماجي الحلواني : برامج المرأة في الراديو المصري ، مجلة الفن الاذاعي ، العددان ١٠٣ ، ١٠٤ ، اكتوبر، ١٩٨٤ ، يناير ١٩٨٥ .

٢٣ - عواطف عبد الرحمن : صورة المرأة الخليجيه في صحافة الخليج العربي ، المؤتمر الاقليمي الثاني للمرأة في الخليج والجزيزه ، الكويت ، مارس ، ١٩٨١.

٢٤ - انظر محمد طلال ، مصدر سابق .

٢٥ - انظر ليلى عبد المجيد وعليه السيسي ، مصدران سابقان .

٢٦ - انظر كل من :

Soha Abdel Kader:Opcit.

- عاطف العبد وعدلي رضا : برامج المرأة في الراديو والتليفزيون د . ن ١٩٨٨ نقلاً عن ليلى عبد المجيد ، هامش رقم [١٤] مصدر سابق .

٢٧- انظر ثورة الفلاح : نظره الاعلام العربي الى عصر المرأة ، المؤتمر الاقليمي الثاني للمرأة في الخليج والجزيرة العربية ، الكويت ، مارس ، ١٩٨١ .

٢٨ - انظر عواطف عبد الرحمن وآخرون : بحث تاثير المرأة والاعلام على التنمية في الريف المصري ، التقرير الاعلامي ، مصدر سابق .

٢٩ - المصدر السابق [ليلى عبد المجيد ، التقرير الاعلامي] .

٣٠ - انظر عواطف عبد الرحمن : صورة المرأة في الصحافة المصرية في كتاب دراسات في الصحافه المصرية والعربية ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨١ .

- نجوى كامل : القائمات بالاتصال في الاعلام المصري في اطار دراسة تاثير الاعلام والمرأة على قضايا التنمية في الريف المصري ، مصدر سابق .

٣١ - عواطف عبد الرحمن : الحق في الإتصال بين الجمهور والقائمين بالإتصال مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مايو ، ١٩٩٤ .

الاعلام وتحديات الهندسه

الـــوراثيـــــة

فى القرن الحادى والعشــرين

الإعلام وتحديات العولمة

فى القرن الحادى والعشرين

الثورة البيولوجية الإنجازات والتحديات :

رغم حداثة ثورة الهندسة الحيوية الا أنها قدمت أساليب جديدة فى مجالات مختلفة ففى الزراعة مثلاً ادخلت طرق زراعة الخلايا بدلاً من الأسلوب التقليدى وكان من نتاجها ظهور المحاصيل الزراعية المقاومة للجفاف والملوحة والحشرات ولعل اكثر أسهامات البيوتكنولوچى إبتكار ادوية ولقاحات جديدة ترتكز على الحامض النووى DNA [دى – ان – ايه] وتشهد إبحاث الهندسة الوراثية فى الزراعة والطب والبيئة طفره هائله فى الوقت الراهن إذ لم يعد الامر مقصوراً على إنتاج محاصيل مقاومة للفطريات والبكتريا والحشرات بل أمكن الأستغناء تماماً عن المبيدات التى تحدث أضرارا فادحة للأنسان والبيئة وإستطاع علماء الوراثة أنتاج محاصيل عاليه القيمة من ناحية البروتين . أما فى الطب فقد نجحت الابحاث فى القضاء على مايقرب من ٥ آلاف مرض وراثى منها أنيميا البحر الأبيض كما أنقذت مرضى السكر بإختراع الأنسولين البشرى وعوامل التجلط . وقد تضافر الطب والزراعة فى إنتاج انواع من الفاكهة الحاملة للأمصال والتى تستخدم كبديل للتطعيم .

ولعل من ابرز منتجزات ثورة الهندسة الوراثية مشروع الچينوم البشرى أو مشروع الطاقم الوراثى البشرى الذى يجرى أتمامه حالياً فى الدول المتقدمة ويهدف الى معرفة التركيب الجزئى الكامل للجهاز الوراثى البشرى مما سيؤدى الى القضاء على أنشطه شركات التأمين فإذا عرف التركيب الوراثى لطالبى

التأمين ستقوم شركات التأمين برفع قيمة التأمين أو رفضه لمن يثبت لديهم أنهم معرضين للأصابه بأمراض خطيرة .

ولاشك أن البحوث فى مجال بيولوجية الجزئيات وعلم الوراثه سوف تسهم فى خلق المزيد من التراكم المعرفى عن عمليات برمجه الكائنات الحيه والتمييز بينها وأصلاحها وتجديدها وأضمحلالها . وقد احرز علم الخرائط الچينية تقدماً ملحوظاً منذ بداية التسعينيات وذلك بفضل الجهود المشتركة بين علماء البيولوچيا والمعلوماتية [البيوتكنولوچى وتكنولوچيا المعلومات] .

وكان من أهم ثماره التى أبرزتها وسائل الإعلام العالمية والمحلية الخريطة الچينية لكل فرد فى الولايات المتحدة حيث سيتاح لكل مواطن أمريكى عندما يتم الأنتهاء من هذه الخريطة عام ٢٠٠٣ أن يعرف التفاصيل الكاملة عن كل مايمس الجوانب الصحية من ناحية التطور والنمو والتشخيص والعلاج بناء على تحديد السمات الوراثية ، كذلك أهتمت وسائل الإعلام بشرح أبعاد المشروع الذى يستهدف إستخدام أجهزة الكمبيوتر المتطورة فى تحديد شخصيات الجناه وإعداد صور كاملة لهم من خلال فك الشفرة الوراثية لهؤلاء الجناه وقد تمكنت بريطانيا منذ عامين من أعداد أول قاعدة بيانات ألكترونية كاملة لكل المجرمين المعروفين فى كل أنحاء الجزر البريطانية ، وقد صار هناك مايعرف بأسم البصمة الچينية إلى جانب بصمات الأصابع والأصوات .

[الأمراض الوراثية] :

لقد غزا علم البيولوچيا الجزيئية كل مجالات البحث الطبى وحدث تقدم سريع فى السنوات الأخيرة فى التعرف على الأمراض الوراثية وفهم اسبابها ونادراً مايمر أسبوع دون التعرف على الجينات المسئوله عن مرض أو آخر من الامراض الوراثية أى أصبح من الممكن حالياً التعرف على الجينات المسئوله عن الأمراض الوراثية الأكثر أنتشاراً على جديلة الـ DNA الطويلة . كما أصبح من الممكن التعرف من بين مجموعة العوامل الوراثية على الچينات التى تجعل بعض الناس أكثر قابلية لأمراض معينه ولكن اتضح ان هذه الأكتشافات المبهره لها أيضاً جوانبها السلبية .

هذا وقد ترتب على أكتشاف العديد من الچينات المسئولة عن الأمراض الوراثية ظهور انواع جديدة من العلاج تعرف بعلاج الچينات . وأصبح هناك العديد من أساليب العلاج الچينى التى يمكن تطبيقها على الأمراض الوراثية لدى الانسان وقد تم الحصول على بعض النتائج المبشرة بالفعل خصوصاً فى علاج بعض أنواع السرطان ومرض الأيدز كما تحققت بعض الأنجازات المرموقة فى المجال ولعل أبرزها مايتعلق بالتشخيص قبل الولادة وتكنولوچيا الأنجاب .

فقد احدثت تكنولوچيا الـ DNA ثورة فى التشخيص المعملى للأمراض الوراثية الدقيقة التى لاترى بالميكروسكوب وحيث جرى حاليا التعرف على ٧٥٠ جينما للأمراض مما وسع من مجال التشخيص قبل الولادة للأمراض الوراثية وإكتشاف حاملى الچينات المتغيرة الذين عادة مايكون هم أنفسهم أصحاء ولكن لديهم احتمالات أكبر لأنجاب أطفال مصابين . وهنا تثار قضية ما إذا كان يجب

اجهاض الحمل فى حالة إذا كان الجنين مصاباً خصوصاً وأن الأجهاض لايزال غير مقبول فى كثير من المجتمعات لأسباب أخلاقية أو دينية . وتتضح أهمية العوامل الأقتصادية والأجتماعية والدينية فى نجاح أو فشل برامج الفحص الجماعى للسكان بحثا عن حاملى الأمراض الوراثية . ففى بعض بلدان البحر الأبيض التى تنتشر فيها أنيميا البحر الأبيض بمستوى عال يصل إلى واحد من كل سبعة تعاونت الكنيسة مع المسئولين عن الصحة ونفس الشئ حدث فى القضاء على انيميا الخلايا المنجلية فى كوبا . ومع ذلك فإن محاولات الفحص الجماعى لحاملى انيميا الخلايا المنجلية بين السكان السود فى الولايات المتحدة والذين يصل عددهم واحد من كل عشرة من هذه الفئة هذه المحاولات فشلت وهناك عده أسباب تتعلق بالظروف الحياتية المتدنية وعجز الغالبية العظمى من السود عن تحمل تكاليف الأختبارات الوراثية ولذلك عندما أنتشر الفحص الجماعى لحاملى الأمراض شعر الكثيرون من أبناء المجتمع الأسود الأمريكى بأن ذلك يعد وسيلة أخرى للتمييز وهذا يؤكد ان الخلفية السياسية والأجتماعية تلعب دوراً هاماً فى قبول خدمات الصحة الوراثية .

مثلاً فى الهند وبنجلاديش وباكستان حيث تصل نسبة وفيات الاطفال إلى ٣٠٪ و ٤٠٪ من الأطفال غير المحصنيين تبرز العوائق المعروفة والتى تتمثل فى أنتشار الفقر والأمية علاوة على وضع المرأة المتدنى وإنتشار عادة تفضيل الاطفال الذكور والتى لها اساس ومبنى فى الهندسية والتى ادت الى إساءة إستخدام التشخيص قبل الولادة .

كما يلاحظ فى الدول الأسلامية إختلاف المذاهب الدينية والخلفيات الثقافية والعرفية فى تفسيراتها للقرآن فيما يتعلق بتكنولوجيا الأنجاب فهم يتقبلون الأساليب التشخصية وإستشارات الأمراض الوراثية وبعض وسائل منع الحمل

تبعا لعدد الاطفال الموجودين فى العائلة وحسبسهم والهدف من وجودهم ولكن التعقيم والاجهاض غير مقبولين فى العادة . وتقدم اليابان نموذجاً طريفاً يوضح أهمية الموروث الثقافى [الدين والتقاليد] فى تهميش الجوانب الأيجابية للتقدم التكنولوچى أذ يلاحظ أن الصحة الوراثية العلمية فى اليابان غير متطورة لاسباب تتعلق بمشاعر الخجل والذنب عند أكتشاف وجود أنسان معوق فى الأسرة مما يعوق التوسع فى إجراء دراسات عن الأمراض الوراثية كذلك يلاحظ أن وجود جنين غير طبيعى لايعد سبباً مقبولاً للاجهاض لدى اليابانيين ونستخلص من الأمثلة السابقة جملة تتخلص فى أن استجابة الجمهور للأكتشافات العلمية الجديدة فى حقل الصحة الوراثية يرتبط بمدى حصول أفراد هذا الجمهور على حقوقهم المعيشية فى العمل والسكن والتعليم والعلاج والمشاركة السياسية . فالمواطن المحروم من حقوقه الأساسية لايستطيع ولا يرغب فى التعامل مع التكنولوچيا البيولوچية مها بلغت فوئداها .

قضية استنساخ البشر :

لقد نجح فريق من العلماء في اسكتلنده فى استنساخ نعجه وقبل ذلك استنسخ الامريكيون قرداً وكما هو متوقع تطلع الجميع إلى استنساخ بشر على أساس أن هذا هو التطور الطبيعى فى مسيرة الثورة البيولوچية وبحوث الهندسة الحيوية التى بدأت بالحياة النباتية ثم انتقلت الى الحياة الحيوانية لتصل الى استنساخ القرود والنعاج . ولقد أثار هذا الحدث ردود فعل عالمية متفاوته تراوحت بين مواقف الأدانه والتحريم من جانب أغلب الزعامات الدينية المعاصرة مثل بابا روما الذى أدان عملية الاستنساخ وقضى بتجريمها كما أوقف الرئيس كلينتون تمويل تجارب استنساخ البشر من الميزانية الفيدرالية وكذلك فعلت أنجلترا

وأصدرت الارجنتين قانوناً لمنع استنساخ البشر وطلب رئيس جمهورية فرنسا إتخاذ الاجراءات التى تضمن عدم إساءة إستخدام هذا التطور البيولوجى الكبير وتطبيقة على الانسان . بينما تحدث كثير من الفقهاء المسلمين عن شرعية الاستنساخ ولم يختلفوا على تحريمه بالنسبة للأنسان مستندين الى أن الأنسان فى الرؤية الأسلامية ليس منفصلا عن الكون ولكنه لبيسه فى قلبه بل هو جزء من منظومة شامله وان فكرة أستنساخ الحيوانات والبشر سوف تؤدى إلى الأخلال بتوازن الكون وتكامل الكائنات . وأن التحدى الذى يواجه الأنسان الآن وهو مقبل على قرن الثورة البيولوجية هو كيف يمكن ان يحقق أقصى فائدة من منجزات تلك الثورة لصالح إغناء الكون دون الإخلال بنواميس ذلك الكون وتوازناته .

هذا وقد فجرت قضية الاستنساخ العديد من التساؤلات والمخاوف فى الأوساط العلمية والبحثية دارت معظمها حول الأخطار المحتملة للاستنساخ وتناقص نتائجها مع ماأستقرت عليه الأديان والأخلاق والنظم القانونية والمصالح البشرية العامة . ولعل أبرز ماخرج فى هذا الصدد ومايتعلق بأعمال انشاء بنوك للخلايا الممتازه وايجاد الآف من النسخ البشرية دون آباء قانونين أو شرعيين وإحتمال استنساخ افراد مشوهين خصوصاً حين يتسع مجال الاستنساخ وحين تجرى عمليه الاستنساخ فى الدول النامية وتصبح تجاره رائجة بلا ضوابط قانونية أو علمية وكذلك افتقاد الشرعية والدينية للنسخ المتولده حيث لايمكن إعتبارهم ابناء شرعيين لأحد مما يجعلهم بلا أقارب وليس لهم أنساب واضحه مما يحرمهم من الميراث والعزوه الاجتماعية .

ومن النتائج السلبية المحتمله تشقيق المجتمع إلى جنسين ، جنس طبيعى وجنس نسخ مما سيؤدى إلى أثاره الخلاف حول أهلية النسخ ويؤدى إلى خلق تفرقه عنصرية تضاف الى أشكال التمايز والتفرقة المتوارثة والتى لايزال يعانى عنها العالم حتى اليوم .

وربما يدفع النجاح فى الحصول على " اولاد ممتازين " الاغلبية الساحقة من البشر إلى هجر النظام الطبيعى للتناسل وأحلال نظام الاستنساخ محله وفى هذه الحالة لا أحد سيستطيع أن يرصد الآثار السلبية المدمرة بالنسبة للنظم الاجتماعية والثقافات والأديان السائدة . هذا ويلاحظ أن هناك ثمه أجماع من جانب علماء الوراثة على أن مايحدثه الاستنساخ لا يحسب فى دائرة التطور والتقدم ولايرقى بالكائنات لأن الإنجاز الذى يتحقق هو عبارة عن طبعات متشابهة متطابقة مع الأصل بينما يتم التطور الحقيقى من خلال الأنجاب الطبيعى فى إطار الصراع بين الاجناس والطبيعة كذلك فان نظرية الانتخاب الطبيعى تثبت ان البقاء للاصلح وان ذلك لايتحقق ألا عبر الصراع وهو ما يحكم نظرية الثورة التى تنشد التغيير وتتمخض عن شكل أرقى سواء فى المجتمع أو الناس بينما الاستنساخ يتم كعمليه صناعية وبدرجة عاليه من التقنية . واذا كنت الهندسة الوراثية تضيف جينا للكائن الحى الا ان الاستنساخ عكس ذلك تماما يكرر النسخة ولذلك لايقدم إضافة نوعية على سلم التطور العلمى فى حقل الهندسة الوراثية .

التحديات :

هذا وقد إتضح أن هذه الأكتشافات المبهرة فى مجال التحكم الوراثى والبيوتكنولوجيا لها أيضاً جوانبها السلبية وإشكاليتها التى تنتظر حلولاً خلاقه غير تقليدية مثال مايثيره الطب التنبئوى من مشكلاتهم تتعلق بمدى جدوى إبلاغ الناس بأن لديهم استعداداً لمرض ما بينما مازلنا لا نستطيع ان نقدم لهم اى علاج وقائى وهل من مصلحة المريض معرفة الحقيقة فى الحالات التى تتعلق بإكتشاف الجين الخاص بمرض ؟؟؟ أو الزهايمر أو السرطان أو من الأفضل اخفاء الحقيقة والأبقاء عليها سراً طالما أنهم لايملكون العلاج فى الوقت الراهن ، والواقع أن

الطب التنبئوى بحالته الراهنة لايمكن بأى حال من الأحوال إلا أن يكون بمثابه عنصر مدمر للأنسان ومن الأفضل عدم تعميمه حتى يتمكن العلماء من اكتشاف الآليه التى يتحول من خلالها الجين من وهله السكون إلى مرض حقيقى له أعراضه وانعكاساته على صحة الأنسان عندئذ سيتمكن العلماء من أكتشاف العلاج المناسب لمحاصرته . ويحتاج بلوغ هذه الغاية الى وقت وابحاث طويله وإذا كان العلاج بالچينات يعتبر أهم ملامح ثوره القرن القادم . فقد أدى الى ذلك الى نشوب حرب رهيبة وحامية بين شركات الادوية ومعامل التحليل فى الغرب حيث اندفعت فى سباق محموم من أجل إجراء الأختبارات الجينية وخاصة تلك التى تتعلق بسرطان القولون والثدى والتى تعتبر من الأمراض الشائعة فى أوربا وأمريكا وإنتاج العلاجات اللازمة للكثير من الأمراض الوراثية وبالفعل توصلت إلى كثير من العلاجات وان كانت لاتعلن عنها إلا فى الوقت المناسب لها من حيث الربح خصوصاً وان هذه الشركات انفقت الملايين على أنتاج هذه الأدوية والعلاجات . وإذا كانت المؤسسات الوراثية هى أول المستفيدين من الاختبارات الچينية فإن المستفيد الثانى هو شركات التأمين فى الولايات المتحدة مثلاً تلجأ شركات التأمين إلى استخدام التحاليل الچينية كجزء من الفحوص الطبية التى تجريها على العميل قبل حصوله على بوليصة التأمين الأمر الذى أدى إلى حرمان اشخاص يتمتعون بصحة جيدة من الحصول على تأمين على الحياة أو حتى على سيارة لمجرد ان الاختبارات قد كشفت عن وجود چين يثبت إستعدادهم للإصابة بهذا المرض أو ذاك ولذلك أضطرت الأدارة الأمريكية الى إصدار قانون بمنع الأخذ بهذه الإختبارات لمدة ٥ أعوام بدءاً من عام ١٩٩٤ . ولكن هذا لايعنى إستمرار هذا الموقف الأنسانى الى الأبد بل من المؤكد ان شركات التأمين ستضع هذه الاختبارات ضمن الشروط الأساسية لمنح بوليصه التأمين على الحياة .

من التحديات التى تواجه علماء الوراثه الآثار المترتبة على إنجاز مشروع الطاقم الوراثى البشرى أو مايسمى بالچينوم إذ من المؤكد أنه سوف يتسبب فى خلق نوعاً من التفرقة العنصرية فى سوق العمل بدلاً من طلب الشخصية ستطلب البطاقة الوراثية التى ستحدد إمكانية تشغيل الأفراد من عدمة .

اخلاقيات البيولوجيا :

لقد طرحت الإنجازات العملية التى تحققت فى مجال الهندسة الوراثية من الاشكاليات والمخاطر والتحديات الأخلاقية والإجتماعية ، وإذا كان علماء الوراثة قد إنجزوا الكثير فى مجال البحوث الحيوية إلا أن التاريخ قد علمنا ان المعيار الحقيقى لقيمة وجدوى أى إبتكار علمي جديد يتحدد بمدى الفائدة العامه التى قد يعود بها هذا الأكتشاف على المجتمع وهل سيساهم فى الحفاظ على الإستمراريه الحضارية لهذا المجتمع أم سيؤدى الى تفككه ودماره ويتحدد الفيصل فى ذلك بمدى تاثير هذه الأنجازات العملية على نوعية الحياة والأسرة ومجموع السكان وتحقيق العدالة وتكامل شخصية الفرد وكرامته يضاف الى ذلك إدراك مدى أحتمالات أستغلال هذه الأنجازات مستغلاً من جانب أى فئة متسلطة تسعى الى أستغلال التقدم العلمي بما يؤدى الى خلق نمط من الحياة مفرغ تماماً من الأنسان ومستمر كليه لخدمة الفئوية الضعيفة على حساب الصالح العام .

وشغلهم التفكير فيها بدرجة تفوق الأهتمام بالمشاكل الأجتماعية والأخلاقية التى قد تترتب على ماتقدنه إيديهم وقد رفض الكثير من خبراء بيولوچيا التناسل المشاركة فى المحاولات التى تبذل لزراعة چين تم تخليقه معملياً والسبب الأساسى هو المخاوف الصحية ، كما اتفقت كلمة علماء بيولوچيا الأنشطار فى العالم عام ١٩٧٤ على قرار تاريخى فريد صدر بعد عملية مكثفة تزعمها أحد العلماء بجامعة ستانفورد وينص هذا القرار على وقف تجارب معينة على چينات الوراثة وأتجاه

الصحة العامة وذلك بعد ان أدت تجاربهم لأنجاب جين جديد من المسوخ البشرية المشوهة وهى التجارب التى فتحت الطريق أمام ما عرف فيما بعد بالهندسة الوراثية ، وهندسة الچينات التى بلغت من التقدم حداً دفع البعض للتفكير فى أستغلالها فى تعديل السلوك البشرى ، ونشرت المجلات العلمية المتخصصة [نيتشر فى بريطانيا وساينس فى أمريكا] نص القرار - روعى فى صياغته أن يكون ملزماً لجميع علماء العالم، ويلاحظ ان العلماء قد أصبحوا الآن على دراية أوسع ووعى أعمق بالمسائل الأخلاقية فيما يجرونه من تجارب عما كان عليه الوضع منذ عشرة أعوام خصوصاً بعد ان كشفت المناقشات حول التجارب على البشر ضرورة مراعاه عنصر ثالث غير حرية البحث والطموح الذاتى للعلماء وأعنى به الصالح العام وحقوق الجماهير فى معرفة مايجرى باسمهم ولصالحهم من تجارب وعلى رأسها مشروعات إعاده صياغة وتشكيل البشر وإن كان سلاح الصالح العام أو المنفعة الجماهيرية سلاحاً ذا حدين إذ يمكن استغلاله من جانب الأطباء كثغره ينفذون من خلالها لتحقيق طموحاتهم العلمية .

ويبدو أن معظم العلماء المنخرطين فى مشاريع تعديل وتشكيل السلوك البشرى لا يساورهم القلق من الأضرار الاجتماعية التى قد تترتب على اعمالهم ، وقد حدد احد علماء البيولوچيا فى هارفارد نسبة المدركين من العلماء لحجم المشاكل الاجتماعية والاخلاقية التى قد يخلقها العلم فوجدانها لا تتعدى نسبة١٪ .

ويشير الواقع الى ضآله عدد الدول التى سنت لنفسها حتى الآن تشريعات فى مجال أخلاقيات البيولوچيا ، كما لا توجد وثيقة قانونية ذات طابع عالمى لحماية الچين البشرى بمختلف مكوناته وعناصره .

ولكن يمكن إستخلاص بعض المبادئ التى تنطبق على علم الوراثة البشرية من ثنايا النصوص التى تضمنتها الوثائق الدولية فى هذا الصدد وعلى الأخص

الإعلان العالمى لحقوق الانسان والعهدين الدوليين المتعلقين بحقوق الانسان ويمكن اجمالها فيما يلى :

١- إحترام كرامة الأنسان وقيمته .

٢- الحق فى المساواة أمام القانون .

٣- حماية حقوق الافراد المعرضين للاخطار .

٤- الحق فى عدم الخضوع لتجارب طبية أو عملية .

٥-الحق فى الحماية من التدخل التعسفى فى الحياة الخاصة أو الحياة الاسرية

٦- الحق فى التمتع بفوائد التقدم العلمى وتطبيقاته فى مجال الصحة البدنية والعقلية .

٧- الحق فى حرية البحث العلمى .

والمعروف أن علماء الوراثة أتفقوا فى مؤتمر اصليمور [١٩٧٩] على وقف التجارب الخاصة بدمج الچينات الوراثية لخلق كائنات حية مبتكرة ولكنهم سرعان ما الغوا قرار الحظر بعد أن توصلوا إلى وضع ضوابط يمكن أن تسهم فى إحتواء أخطار التجارب كما لوحظ أن التعليمات التى أصدرها المعهد القومى الأمريكى بشأن خلط چينات الوراثة لأنتاج أشكال جديدة من الحياة لاتشمل الأبحاث التى تشرف عليها وتمولها وزارة الدفاع الأمريكية أو غيرها من الإدارات الحكومية ، كما أنها غير ملزمه بالنسبة للأبحاث التى تجريها شركات إنتاج الأدوية أو حتى شركة جنرال الكتريك وغيرها من المؤسسات .

وقد نشرت مجلة ساينس الأمريكية العديد من النداءات التى وجهها بعض علماء البيولوچيا إلى الكونجرس مطالبين إخضاع كافه أشكال التجارب فى مجال هندسة الچينات للأشراف .

ورغم ان المجلس الدولى للجمعيات العلمية ويضم ٦٦ دوله قد شكل لجنة دولية للاشراف على التجارب التى تجرى على جينات الوراثه الا ان الإجراءات الوقائية التى تقوم بها هذه اللجنة لاتزال فى حاجة إلى توضيح وترسيخ ويقتصر دورها حالياً على مجرد التوجية المعنوى القائم على قوة الإقتناع .

وقد تزايد إحساس المجتمع الدولى فى الآونة الأخيرة وبمناسبة مرور خمسين عاماً على صدور الإعلان العالمى لحقوق الانسان بضرورة إصدار إعلان بشأن حماية الجين البشرى إستناداً إلى مواثيق الحقوق والحريات المعترف بها عالمياً .

ولاشك ان أتساع آفاق التقدم أمام البحوث العلمية فى مجال الجين البشرى يطرح الوجه الأخر لهذه القضية الهامة ألا وهو الأخطار المحتملة والمؤكدة المترتبة على بحوث الوراثة ويصنفها علماء الوراثة فى ثلاثة مجموعات من الاخطار .

أولهما : خطر المساس بسلامة الجنس البشرى .

وثانيهما : خطر ظهور ممارسات للمساواه بين شعوب العالم سواء فى الكرامة أو التحقيق .

وثالثهما : خطر إحتكار الدول المتقدمة علمياً وتكنولوجياً لنتائج البحوث البيولوچية وحرمان الدول النامية منها .

لقد أكدت المواثيق الدولية على ضرورة كفالة البحث العلمى وحقوق المشتغلين بهذا النشاط الذى يعد شكلاً من أشكال التعبير عن كرامة الأنسان إلا أنه فى ضوء النجاحات القياسية التى حققها علماء الهندسة الوراثية بدءاً بتخليق الاجنة وحتى إطاله أعمار المسنين أرتفعت الأصوات تنادى بالبحث عن اساليب جديدة للحفاظ على أدمية الانسان وكرامته التى تتعرض للإنتهاك بسبب البحوث التى تتناول الجين البشرى مثال البحوث التى تهدف الى خلق هجين يجمع بين الأنسان

والحيوان ولذلك لايمكن لحرية البحث العلمي ان تكون مطلقة ولابد من تقييدها عند الضرورة وعلى الأخص مسألة الجينات التي لاتتحمل أن تترك للجماعة وحدها ، والواقع أن معظم البحوث التى أجريت فى مجال علم الوراثة البشرية قد حققت نجاحاً بفضل ماصاحبها من شعور بالابهار لدى الأفراد يفوق قدراتهم على الخيال بل ويفوق قدراتهم على إدراك المخاطر المترتبة على هذه الأبحاث طويلة المدى التى يتقرر إجراؤها وهنا تبرز مسئولية العلماء والباحثين تجاه المجتمع لما قد يترتب على محاولاتهم من أثار سلبيه بعيده المدى فى حياة الأفراد . إن حزمه المبادئ الثلاثية التى اطلقها اليونسكو والتى تتمثل فى ضرورة مراعاه كرامة الكائن البشرى وحرية البحث العلمي والتضامن البشرى الذى يتيح لجميع الشعوب فى شمال العالم وجنوبه الإستفادة والإنتفاع بنتائج البحوث فى علم الوراثة على قدم المساواة لاشك ان مراعاة الالتزام بتطبيق مبادئ هذه الحزمة الثلاثية كفيل بإقامة بناء عالمى متوازن لحماية الجين البشرى .

ولقد قدم اليونيسكو عدة إسهامات جادة لتوضيح مفهوم الجين البشرى وكيفية حمايته بأعتباره الركيزة البيولوجية لذاتية الجنس البشرى إذا يمثل رصيداً يتعين على البشرية أن تحافظ عليه للاجيال المقبله فالمطلوب هو حماية الجين البشرى من المعالجات التى تنتهك كرامته والتاكيد على ان أول تراث مشترك للإنسانية هو الجنس البشرى ذاته وهو تراث خليق بأن يصان . هذا وقد تضمنت وثيقة اليونيسكو الخاصة بحماية الجين البشرى مجموعة المبادى التى تدين النزعة الإختزالية في مجال علم الوراثة البشرية وتؤكد ان حمايه الجين البشرى لا تهدف الى تقديس هذا الجين فهو بطبيعته خاضع لقانون الصيرورة والتغير وانها تسعى في الاساس الى تجسير الفجوة بين البحوث التى تجرى فى مجال الجين البشرى وبين حقوق الكائن البشرى وحرياته .

وتؤكد الشواهد المعاصرة فى مجال بحوث الهندسة الوراثية أن الأشكالية الأساسية التى تعوق تطبيق الرؤية التى يتبناها اليونسكو تكمن فى التناقض القائم بين مطالبة الدولة بضمان حرية الابحاث العلمية وفى نفس الوقت توقع قيامها بدور رئيسى فى تنظيم نتائج هذه الابحاث وهذا الوضع يتجسد بصورة خاصة فى مجال التكنولوچيا الحيوية . فالواقع أن تنظيم أبحاث التكنولوچيا الحيوية ونشر نتائجها يعد مسئولية مشتركة بين الدولة والجماعة العلمية خصوصاً وأن العلماء ذاتهم لا يتحكمون فى إستخدمات إكتشافاتهم ، كما أن الأبحاث البيوتكنولوچية مكلفة جداً وتحتاج إلى ضرورة قيام الدولة بهذا العبء مما يؤدى بالضرورة إلى إلتزام الدولة بإشراك نفسها فى مجال البحث العلمي البحت أكثر من المجالات الأخرى . ومما يجدر ذكره أن هناك رؤيتان بخصوص الدور الذى يجب أن تلعبه الدولة فى تشجيع وتنظيم البحث العلمى وترى الرؤية الأولى أن البحث العلمى لا يمكن ان يتقدم إلا إذا كان حراً بلاقيود ولذلك لايجب أن تتدخل الدولة بأى شكل فى البحوث العلمية وبنفس المنطق لايجب ان تسعى الدولة للتحكم فى نتائج الأكتشافات العملية ، مما يعنى أن الدولة يجب أن تترك مسئولية البحث العلمى للعلماء فلا تتدخل فى تحديد إتجاه البحوث وبالتالى لاتتدخل فى نشر النتائج إستناداً إلى أن العلماء هم أفضل من يحكم على أى النتائج يجب أن تعلن للجمهور بحكم أنهم هم الذين يملكون هذه النتائج والإكتشافات كذلك من حق الشركات التجارية أن تستثمر نتائج هذه البحوث بما يكفل لها تحقيق أكبر قدر من الأرباح وهذا يثير قضية استقلال البحث العلمى عن السياسة العامة للدولة .

وتشير التجارب المعاصرة إلى أن استقلال البحث العلمى قد تحقق بنسب متفاوته فى الدول المختلفة ولكن هذا الاستقلال النسبى كان مقصوراً فقط على النواحى الفنية والأجرائية أما الجوانب الأستراتيچية التى تتمثل فى وضع الأچندة القومية

للبحث العلمى فهى ترتبط بصورة عضوية بالسياسة العامة للدول سواء فى ظل النظم التى تأخذ بالتخطيط الشامل أو تلك – التى تلتزم بنظام السوق . فالدولة هى التى تحدد أى المجالات العلمية أولى بالرعاية والبحث وبالتالى تخصص لها الأعتمادات اللازمة والكوادر المؤهلة وهذا هو جوهر الرؤية الثانية التى ترى أن على الدولة مسئولية الحفاظ على تماسك المجتمع وضمان المساواة للجميع أمام القانون ولذلك فهى مكلفة بأن تنشط فى أى مجال يمكن أن يشكل تهديداً للأفراد أو يؤثر على توازن المجتمع كذلك فإن الدولة مطالبه بالتعاون مع الجماعة العلمية لوضع إستراتيجية مشتركة لتنظيم البحث العلمى وضمان الإستخدامات الاخلاقية لنتائج البحوث علاوة على تحديد أفضل السبل لتوعية الجماهير بهذه النتائج وهنا تبرز ضرورة إشراك الهيئات المدنية والمنظمات غير الحكومية والنقابات المهنية كى تتولى مع أعضاء الجماعة العلمية مسئولية وضع ميثاق شرف لتنظيم عمليات التوعية من خلال النشر الصحفى والبث الإذاعى والتليفزيونى فضلاً عن المؤتمرات والندوات العلمية والمعارض وسائر وسائل الإتصال الجماهيرى [المسرح – السينما – الملصقات .... إلخ] .

الإعلام وقضايا العلم والتكنولوجيا :

تشير الدراسات والبحوث الى أن نقطة الإنطلاق فى الهتمام الإعلام بقضايا العلم والتكنولوجيا كجزء من القضايا البيئية قد بدأت ثم تنامت وتسعت بعد مؤتمر ستوكهولم الذى يعد البداية العالمية للوعى البيئى خصوصاً وانه أكد على حق الإنسان فى الإعلام البيئى ضمن الإعلان الدولى عن حقوق الإنسان البيئية الذى أصدره عام ١٩٧٢ . وقد لعب برنامج الأمم المتحدة للبيئة الذى يعد من أبرز ثمار هذا المؤتمر دوراً بارزاً فى تزايد الاهتمام الإعلامى بقضايا البيئة منذ نهاية

السبعينيات وطوال حقبة الثمانينات حتى بلغ ذروته العلمية فى مؤتمر الأرض فى البرازيل عام ١٩٩٢ .. هذا وقد أضطلعت الجماعات العلمية والمنظمات غير الحكومة بدور رئيسى فى النهوض بحركة الوعى البيئى حيث قدم علماء البيئة إسهامات بارزة في مجالات الزراعة والصحة العامة والبيوتكنولوچياونبهوا مبكراً إلى الأخطار البيئية الناجمه عن سوء إستخدام الموارد وكثافة إستخدام التكنولوچيا والأخطار المترتبة على الوراثه . وقد أسهم التفاعل بين هؤلاء العلماء والمنظمات غير الحكومية ووسائل الإعلام فى خلق وعى جماهيرى متزايد بقضايا البيئة وفى قبلها القضايا البيولوچية والهندسة الوراثية مما أسهم بدوره فى تشكيل جماعات ضغط من العلماء والإعلاميين دفعت الحكومات إلى اتخاذ مواقف مسئولة إزاء هذه المشكلات الحيوية خصوصاً فى الدول المتقدمة صناعياً وتكنولوچيا [الولايات المتحدة أوروبا واليابات] .

وقبل أن نتطرق إلى تناول مسئوليات الإعلام تجاه قضايا الثورة البيولوچية وأخلاقياتها يجدر بنا أن نحيط بصورة موجزة بأهم الحقائق المعاصرة الى تؤثر سلباً وإيجاباً على كافة الممارسات العلمية والإعلامية معاً .

أولاً : تتركز مصادر الثروة والسلطة التكنولوچية والعلمية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والإعلامية فى عدد قليل من الدول تقع فى شمال العالم وتعرف بإسم مجموعات الدول السبع المتقدمة صناعياً وتكنولوچيا وتضم كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا واليابان وايطاليا وكندا . وتسيطر هذه المجموعة التى لايزيد عدد سكانها عن ٨٠٠ مليون على باقى سكان المعمورة [٥ , ٤ مليار نسمة] الذين يقطنون فى آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية والعالم العربى وجنوب أوروبا .

ثانياً : أن العالم لايزال يعيش فى ظل نظام اقتصادى وسياسى واجتماعى وحضارى تعمل آلياته تلقائياً لصالح المركز الذى يتكون من عدد محدود من الدول الغربية ويفرض سياساته على الأطراف أى دول الجنوب من خلال أساليب متنوعة تتفاوت مابين القوة العسكرية التى تستخدم فى العدوان المباشر أو التهديد به وأشكال الهيمنة الاقتصادية التى تشمل مجالات الصناعة والتكنولوچيا ورؤوس الأموال وأنماط السيطرة الإعلامية التى تتمثل فى وكالات الأنباء الغربية والأقمار الصناعية ووكالات الإعلان وتكنولوچيا الاتصال وبنوك المعلومات .

ثالثاً : سيطرة ٥٠٠ شركة عابرة للقارات على ٨٠٪ من التجارة العالمية و٧٥٪ من الأستثمارات العالمية وتتحكم فى نقل التكنولوچيا وتحتكر مصانع الدواء العالمية وتسيطر على العلاجات والاختبارات ونتائج البحوث الوراثية . ولقد حرصت هذه الشركات على إنشاء مكاتب للعلاقات العامة تنتشر فى كافة أنحاء العالم وتعمل بدأب ومثابرة على إستقطاب الإعلاميين والعمل على تحويلهم إلى أدوات دعائية لها للترويج للسلع الدوائية والإختبارات الجينية التى تنفق عليها هذه الشركات أموالاً طائلة وتأمل فى إستعادتها اضعافاً مضاعفة من خلال الترويج التجارى والإعلامى .

رابعاً : يشهد العالم فى الوقت الراهن ثمار التقدم التكنولوچى الهائل الذى تحقق فى مجالى الإتصال والمعلومات والذى تخطت آثاره الحدود الجغرافية والسياسية والقانونية للدول مما أدى الى حدوث تحول أساسى فى طبيعة الأدوار والوظائف التى تقوم بها وسائل الإعلام المقروء والمرئى والمسموع فى ظل إنتشار الأقمار الصناعية والكوابل وأشعة الليزر خصوصاً بعد ظهور شبكة الاتصالات الدولية المعروفة باسم الانترنت التى تتصل بما يقرب من ٢٠ مليون حاسب

إلكترونى تقوم بخدمة نحو ١٠٠ مليون مستخدم عبر ١٥٠ دولة ثم ظهور الطريق السريع للإتصال والمعلومات الذى جسد التزاوج بين ثورتى الإتصال والمعلومات .

خامساً : يسعى النظام العالمى الجديد إلى تحقيق العولة الاقتصادية [وحدة السوق العالمية] من خلال الأدوار التى يقوم بها الإعلام المعاصر لتوحيد أنماط الاستهلاك وأساليب الحياة وهى مهمة لا تتم بصورة تلقائية أو عفوية بل تشتمل على بعد أحادى يتمثل فى عدم التكافؤ فى الإمكانيات ومعدلات التطور بين المرسل الذى يقبع فى الشمال والمتلقى فى الجنوب ويربط بينهما الخط الرئيسى الذى يحدد حركة تدفق المعلومات والانباء ويبدأ دائما من الشمال حيث الإحتكارات العالمية للإعلام والمعلومات وينتهى فى الجنوب . وحصاد هذه العلاقة غير المتكافئة بين الشمال والجنوب فى مجال الإعلام والمعلومات لايقتصر على تنميط الأذواق والثقافة وتوحيد أنماط الإستهلاك والحياة التى هى بدورها مصالح غريبة وإنما أيضاً يدخل كأحد مكونات التجارة العالمية حيث تساهم تجارة المعلومات بنصيب كبير فى التجارة العالمية .

الإعلام والتوعية العلمية :

تعانى المجتمعات المعاصرة من انتشار الأمية العلمية بنسب متفاوتة بين كافة المستويات من النخب السياسية والثقافية والمتعلمين من سكان الريف والحضر خصوصاً فى الجنوب حيث تتعدد مستويات الأمية بدءاً بالأمية الأبجدية التى تضم قطاعات واسعة من سكان الريف تصل نسبة ٨٠٪ فى كثير من دول القارات الثلاث [آسيا وأفريقيا وأمريكا والجنوبية] وتشمل الأمية السياسية والثقافية والعلمية وتنعكس آثارها السلبية على مجمل النشاط المجتمعى لشعوب هذه الدول وإسهاماتها فى تشكيل الخريطة العالمية المعاصرة .

ورغم أن البشرية تعيش منذ سنوات عديدة الموجة الحضارية الثالثة التى تتمثل فى الثورة العلمية والتكنولوچية وتجلياتها فى مجالى المعلومات والإتصال والثورة البيولوچية غير أن الأمية العلمية تبرز كتجسيد واضح للفجوة التى تزداد اتساعاً بين مجتمع العلماء وبين سائر فئات الجمهور بما فيها القادة السياسيين والبرلمانيين والإعلاميين .

وهناك بعض الدراسات التى أجريت فى بعض الدول المتقدمة صناعياً وتكنولوچياً مثل بريطانيا وأمريكا لاختيار مستوى المعرفة العلمية الأولية لدى شرائح مختلفة من الجمهور . وقد كشفت هذه الدراسات عن أن ٢٦٪ من البريطانيين و ٤٣٪ من الامريكيين كانوا يعلمون أن الالكترون أصغر من الذرة . وحوالى ٣٠٪ من البريطانيين و ٢٥٪ من الأمريكيين كانوا يعتقدون أن مضادات الحيوية تقتل الفيروسات كما تقتل البكتيريا .

ولاشك أن هذه النسب تتضاعف فيما لو أجريت الدراسات على المجتمعات الأخرى التى تعانى من تحديات البقاء والإستمرارية الحياتية علاوة على الأمية المركبة مما يجعل من الصعوبة ادخالها فى دائرة المعرفة العلمية أصلاً ناهيك عن قياس أو إختيار مستوى هذه المعرفة لدى شعوبها ؛ وأعنى بها مجتمعات الجنوب التى تعانى من سلسلة محكمة الحلقات تضم الفقر والجهل والأمراض المزمنة والمستعصية .

وتشير الدلائل إلى إستحالة نشر الأفكار العلمية بكل تعقيداتها وإشكالياتها بين مختلف قطاعات الجمهور المتعلم وحتى بين النخب المثقفة والمتخصصة لأنه حتى العلماء ذاتهم لايملكون هذه الثقافة العلمية ذات الطابع الموسوعى فالعالم البيولوچى المتخصص فى الخلية لايفهم طبيعة الجزئ والمتخصص فى المعادن ليس من المحتمل أن يكون لديه أكثر من فهم محدود عن الچينات ولا أحد تقريباً يفهم العالم الغامض للرياضيات سوى المتخصصين فحسب ولذلك تؤكد الدراسات

المسحية التى أجريت لقياس مستوى الوعى العلمى والوعى البيئى لدى الجمهور العام أنه عندما تتناول الأفكار العلمية مسائل وقضايا تتعلق باهتمامات الناس فانهم يبدون قدرة ملحوظة على سرعة الاستيعاب والمشاركة والاقتناع بجدوى هذه المعلومات وقابليتها للترجمة الى سلوكيات ، وقد يذكرنا ذلك بما قاله ألبرت اينشتاين عام ١٩٣١ [إن الاهتمام بالانسان ذاته وبمصيره يجب أن يشكل دائما الأهتمام الرئيسى للجهود العلمية حتى تكون مساعينا نعمة على الأنسان وليست نقمة] . وتشير الشواهد إلى أن هناك عدة أطراف تتحمل مسئولية تفشى الأمية العلمية تتصدرها القيادة السياسية المحلية والأقليمية والدولية التى تبنت سياسات تعليمية وبحثية حصرت المعرفة العلمية فى نطاق محدود من التخصصات الضيقة أما الطرف الثانى المسئول عن إستمرار هذه الأمية العلمية فهم العلماء ذاتهم الذين تخندقوا داخل تخصصاتهم وخلقوا فجوة معرفية بينهم وبين التخصصات الأخرى سواء فى العلوم الطبيعية أو الاجتماعية والأنسانية وبينهم بين الجمهور العام من ناحية أخرى .

أما الطرف الثالث المسئول فهو وسائل الإعلام التى تقع مسئولية كبرى فى تنشيط المعرفة العلمية وتوصيلها إلى مختلف الشرائح والمستويات الجماهيرية من خلال الإعلام المقروء والمرئى والمسموع .

والواقع أنه لاتوجد وصفة جاهزة لذلك ولكن يمكن استخلاص بعض الملامح والشروط التى يجب أن تراعيها وسائل الإعلام عند التعامل مع قضية نشر المعرفة العلمية بين الجماهير ويمكن أيجازها على النحو التالى :

أولاً : إعطاء صورة كاملة تتسم بالوضوح والأتساق والشمول لمختلف القضايا العلمية والتكنولوجية فالرؤية الكلية هى الوحيدة القادرة على تمكين الجمهور من تكوين وجهة نظر وتحديد موقف تجاه القضايا والتحديات العلمية التى يزخر بهاعالمنا المعاصر .

ثانياً : ضرورة الألتزام بالرؤية المستقبلية والتفكير فى الحقوق الأنسانية للأجيال القادمة ومساعدة الجمهور على تجاوز النظرة الآتية الضيقة ودفعه إلى أستشراف الآفاق البعيدة المدى .

ثالثاً : عدم اغفال التأصيل التاريخى للظواهر والأكتشافات العلمية كى يترسخ فى العقل العام لدى الجمهور الوعى بأن هناك ماضياً هو الذى صنع حاضرنا من خلال أفعالنا وسلوكياتنا وأن تغيير أسلوب حياتنا يتوقف إلى حد كبير على إدراك الخبرة التى نتعلمها من التاريخ .

وإذا كان هناك ثمة برنامج للتوعية العلمية من خلال الإعلام فالعناصر الرئيسية التى يتضمنها هذا البرنامج يجب أن تراعى :

أولاً : المستويات المختلفة للجمهور المستهدف على إتساعه وتنوع شرائحه .

ثانياً : الإعتماد على كوادر إعلامية مؤهلة ومدربة أى مسلحة بخلفيه علمية موسوعية ومدربة على إستخدام الآليات الإعلامية يتمكن ومقدره خاصه فى تنشيط المعلومات والأفكار العلمية وحسن إختيار القوالب والمداخل الاعلامية الملائمة لتوصيلها إلى الجمهورية .

ثالثاً : التركيز على الابعاد المحلية للقضايا العلمية ومراعاة ارتباطها باهتمامات الجمهور المستهدف مع مراعاة ربط القضايا العلمية ذات الطابع العالمى بالخصوصيات المحلية ضماناً لأستقطاب الاهتمام الجماهيرى تجاهها .

السياسات الإعلامية تجاه قضايا الثورة البيولوجية وتحدياتها

تؤكد كافة الدراسات التى أجريت للتعرف على مستوى الوعى البيئى السائد فى دول الشمال الصناعى على أن وسائل الإعلام المقروء والمسموع تلعب دوراً

مركزياً فى تشكيل الوعى البيئى والتوعية العلمية للجمهور العام . ويتفاوت الدور الذى تقوم به كل وسيلة اعلامية مقروءة كانت أو مرئية ومسموعة . وقد أوضحت استطلاعات الرأى التى أجريت فى هذا الصدد على أن التليفزيون يتقدم سائر وسائل الإعلام كمصدر رئيسى للمعلومات البيئية والعلمية للجمهور العام فى الريف والحضر ، بينما شغلت الصحافة المرئية الأولى بالنسبة للنخب المثقفة والقيادات والخبراء ، ولاشك ان إرتفاع معدلات الامية وإنتشار العوز الأقتصادى والجمود الاجتماعى فى أغلب دول الجنوب يؤثر بصورة سلبية على مستوى فاعلية وسائل الإعلام فى تشكيل الوعى البيئى بصورة عامة والتوعية العلمية على وجه الخصوص فى مصر على سبيل المثال يعتبر التليفزيون والصحف المصدران الرئيسيان للمعلومات البيئية وقضايا العلم والتكنولوچيا سواء بالنسبة للجمهور العام أو الصفوة فى المدن الرئيسية والمراكز الحضرية ، أما فى الريف يسود الراديو والتليفزيون ، وفى المناطق النائية يعتبر الراديو هو المصدر الرئيسى للمعلومات والأخبار ، وتشير الشواهد المحلية والعالمية إلى أن نجاح أو فشل وسائل الإعلام فى توعية الجماهير وتعديل سلوكياتها تجاه القضايا العلمية والبيئية يتوقف على بعض المتغيرات الفاعلة التى ترتبط بالمناخ العلمى السائد فى المجتمع بصورة عامة وبيئة العمل الإعلامى على وجه الخصوص ، ويمكن إيجازها على النحو التالى :

١- سياسة الدولة تجاه البحث العلمى .

٢- المعالجات الإعلامية لقضايا الهندسية الوراثية وتتضمن :

أ - نماذج الإهتمام الإعلامى بالقضايا البيولوچية .

ب - مستوى الوعى العلمى لدى القيادات الإعلامية .

ج - مدى توفر الكوادر العلمية الإعلامية .

د- موقف الجمهور من القضايا العلمية والبيولوچية .

أولاً : سياسة الدولة تجاه البحث العلمي :

تتعدد الاجهزة التى تتولى مسئولية البحث العلمى فى مصر وتتوزع على الجامعات ومراكز البحوث و أكاديمية البحث العلمى وتخضع لعدة وزارات نذكر منها البحث العلمى ، والتعليم العالى ، والزراعة ، والشئون الاجتماعية .

ونظراً لحيوية وخطورة الدور الذى يقوم به قطاع البحوث الوراثية وإرتفاع تكلفه البحوث ، فإن الدولة مطالبة بالتدخل فيه أكثر من سائر فروع البحث العلمى على ان يتم ذلك من خلال التنسيق والتعاون الكامل بين الجماعة العلمية وأجهزة التعليم والإعلام لإعداد إستراتجية عامة للبحث العلمى فى مصر تحدد الاولويات والبرامج التنفيذية ومراحل انجازها وتأهيل وتدريب الكوادر العلمية ، وفى سياق هذه الاستراتيجية لابد أن يكون لمصر رؤية واضحة وان تحدد ماذا تريد من الهندسة الوراثية وماذا يمكن أن تقدم لنا هذه التكنولوجيا من حلول للمشاكل التى تواجه المجتمع المصرى .

ثانياً : المعالجات الإعلامية للقضايا البيولوجية :

تشير الدراسات الى وجود نموذجين رئيسيين يسيطران على الخريطة الإهتمام الإعلامى فى شمال العالم وجنوبه ، ويعتمد النموذج الأول على المعالجات المثيرة ونمط التغطية الإعلامية الذى يميل الى التهويل والمعالجة السطحية المبتورة علاوة على إنتهاء الإهتمام الإعلامى بإنتهاء الحدث سواء كان إكتشافاً علمياً أو كارثة بيولوجية ، ولا شك أن هذه المعالجات المبتورة والمتعجلة لاتقدم المعرفة فى سياقها الصحيح ، مما يؤدى الى التضليل علاوة على تشوية الوعى لدى الجمهور . ويرى أنصار هذا النموذج الذى مازال يسيطر على ضفتى العالم شماله وجنوبه ان الإهتمام بقضايا العلم والتكنولوجيا لايزيد عن كونه إستجابه لما تفرضه إحتياجات السوق الإعلامية .

ويركز هذا النموذج على الوظائف التسويقية للإعلام دونما النظر الى وظيفتة التربوية أو التثقيفية ، حيث تخضع المعالجات الإعلامية لقضايا البيئة وتأثيرها على الچينوم البشرى وتجليات الهندسية الوراثية لآليات المنافسة التى تفرضها السوق الإعلامية الغربية ولعل أبرز مثال فى هذا الصدد الترويج الذى قامت به وسائل الإعلام الغربية والعربية لعمليات أبناء الأنابيب وعمليات الحمل خارج الرحم والتناسل اللاتزاوجي وعمليات تهجين الانسان بالحيوان ونشاط بنوك المنويات والتدخل فى تعديل شخصية الفرد إلى النمط المطلوب والتأثير فى قدرات الفرد الذهنية وبالذات وقت إتخاذ القرارات ، وكل ما يتعلق بأشكال وصور التدخل العلمى والتحكم البيولوچى وتعديل الخصائص الوراثية للإفراد وقد تحالفت وكالات الاعلان الدولية وشركات الأدوية العملاقة لتمويل معظم الحملات الإعلامية والاعلانية التى روجت للإختبارات الوراثية والإبتكارات البيولوچية متغافلة عن عمد الأشارة الى السلبيات والمخاطر المصاحبة لهذه الإكتشافات وتعارض بعضها مع الأسس الاخلاقية للمهن الطبية التى يجدر الألتزام بها من واقع قسم إبيقراط .

أما النموذج الثانى للأهتمام الإعلامى بقضايا الچنيات والثورة البيولوچية فهو يعتمد على النظرة المتكاملة لهذه القضايا وسواء فى علاقتها العضوية بالقضايا المجتمعية الاخرى [الدينية والاقتصادية والثقافية والسياسية] أو فيما تتميز به ، هذه القضايا من سمات الإستمرارية وعدم الإنقطاع مما يستلزم معالجات إعلامية تتسم بالشمول والمتابعة الهادئة المتعمقة والرؤية النقدية ذات الطابع التربوى مع تجنب التهويل والمبالغة . ويطرح هذا النموذج نمطين من أنماط المعالجة الإعلامية للقضايا البيولوچية هما : النمط التعليمى والنمط النقدى ، ويرتكز النمط التعليمى على رؤية ترى ان نشر المعلومات الصحيحة عن قضايا الهندسية البيولوچية وتطبيقاتها فى مجال الزرراعة والطب ليس كافيا ، بل لابد من توعية الجمهور بالأبعاد والضوابط العلمية والتأثيرات الاجتماعية والدينية

والاقتصادية والتشريعية ، أما النمط التربوى النقدى فهو يضيف الى النمط السابق إهتمام بمحاولة إشراك الجمهور فى تقييم الموضوعات الحيوية بحيث يسهم المتلقى فى تعديل وتطوير هذه الموضوعات ونشر الوعى بأخلاقيات الأداء المهنى سواء فى مجال البحث العلمى او الممارسة الصحفية من خلال التنظيمات الاهلية والروابط والجماعات المدنية . ويتميز النمط النقدى فى معالجة قضايا البيئة وفى قلبها قضايا الهندسة الوراثية واشكالياتها بقدرة اصحابه من الإعلاميين على تقديم رؤية نقدية لكشف كافة أشكال التضليل الإعلامى والانتهاكات الاخلاقية والمهنية التى يمارسها أنصار النموذج الأول ومواجهتها بصورة علمية متمكنة وهم يشكلون رغم قلتهم خط الدفاع الرئيسى فى مواجهة إدعاءات ومبالغات أصحاب المصالح التجارية والصناعية وتحالفاتهم غير المقدسة فى مجالات الطب وصناعة الادوية ومعامل والتحليل والإختبارات الجنية وفى مواجهة هؤلاء الذين لايكفون عن بذل المحاولات الدؤوبة لافساد الإعلاميين الذين يؤثرون مصالحهم الفردية الضيقة على كافة الاعتبارات الاخلاقية سواء فى ادائهم المهنى اوإنسياقهم خلف الرشاوى المقنعة والإغراءات المادية من جانب المستثمرين وأصحاب المصالح والذين يحاولون تجميل وجه سياساتهم ومشروعاتهم الضارة بالبيئة والانسان وذلك لتبرير ثرواتهم الطائلة وغير المشروعة .

ويحرص اصحاب الاتجاه النقدى التربوى فى معالجاتهم الإعلامية للقضايا البيولوجية على الانطلاق من المستوى الواقعى لوعى الجماهير بقضايا البيئة والعلم والتكنولوجيا الحيوية وربط المعالجات بالمصالح الاقتصادية والاجتماعية والقيم الدينية والثقافية للجماهير كأفراد وجماعات مع العمل على ابراز علاقة التأثير والتأثر والتفاعل الجدلى بين الإكتشافات الجديدة وآفاقها وتأثيرها على التركيب الوراثى للسلالات النباتية والحيوانية فى مجالات الزراعة وأيضا فى مجالات التشخيص والعلاج الطبى مع أبراز حدود هذه الإكتشافات سواء فى

مجال الامراض الوراثية والاختبارات الچينية او الخصائص الوراثية للشعوب أو المعالجات الچينية وعلوم الاعصاب وعلم الوراثة .

وإذا كان التحدى الرئيسى الذى يواجه أنصار هذا النموذج يأتى من سيطرة النمط الاول القائم على الإثارة والتغطية المشوهة المنافية لكافة الإعتبارات الاخلاقية والذى يلحق اضرارا بالغة بالوعى البيئى والعلمى فان التحدى الاكبر يأتى من جانب العلماء ، أو أنه على الرغم من التصاعد المطرد فى الاهتمام بتقنين مبادئ أخلاقيات البيولوچيا فى البحوث البيولوچية وتطبيقاتها الطبية والزراعية الا انه لايتوفر حتى الأن روية واضحة فى هذا الشأن على المستوى العربى وان كان هناك بعض الجهود التى اقتصرت على التناول الجزئى لهذه القضية . كذلك لاتزال أغلب الدول تفتقر الى رؤية تحدد الضوابط الأخلاقية للأنشطة البيولوچية بجانبيها البحثى والتطبيقى فى المجالات الطبية والزراعية .هذا وتكتمل هذه الحلقة السلبية بعامل آخر يتمثل فى قصر نفس وسائل الإعلام التى لاتقف طويلا امام مشكلة أو قضية بيولوجية تحتاج الى جهد إستثنائى لمتابعتها وتوضيحها . وينعكس ذلك بصورة سلبية على الإهتمام الجماهيرى الذى يظل يلهث خلف أى حدث جديد تحتضنه وسائل الإعلاميون أن يتاح له فرصة تكوين موقف متكامل تسنده المعرفة العلمية والآراء المختلفة حول أى قضية بيولوچية أو وراثية .

ورغم كل هذا الإهتمام الإعلامى الذى أصبحت تحظى به القضايا البيولوچية إلا ان الخبرة المحلية والعالمية تشير الى مجموعة من السلبيات تتمثل فيما يلى :

١- أحادية النظرة بالتركيز على الجوانب المبهرة والمثيرة فى معالجة الإكتشافات ونتائج البحوث فى مجال الچينات الهندسية الوراثية .

٢- الإقتصار على التغطية الجزئية وقلة التحقيقات العلمية والموثقة والتى تعتمد على الطرح المبسط دون اخلال بالحقائق العلمية .

٣- الخلط بين الموضوعات الاعلانية المدفوعة الاجر والموضوعات الإعلامية .

٤- الإهتمام بالابعاد العالمية للبحوث البيولوچية دون مراعاة للظروف والسياقات المحلية .

ولا شك ان هذه السلبيات وسواها تعكس المعوقات العديدة التى تحول دون قيام وسائل الإعلام برسالتها فى التوعية العلمية ومن أبرز هذه المعوقات :

١- عدم وضوح مفهوم الثورة البيولوچية وأبعادها وتطبيقاتها فى مجالات الطب والزراعة فى أذهان الإعلاميين بسبب رفتقارهم الى التأهيل العلمى المتخصص والثقافة البيئية المتكاملة ، علاوة على قلة الدورات التدريبية التى يشاركون فيها لتطوير امكانياتهم المهنية .

٢- إنعدام وقلة المصادر المعرفية الدائمة والمتجددة والتى تتسم بالوضوح والسلاسة فى عرض القضايا البيولوچية .

٣- الدور السلبى الذى يقوم به أصحاب المصالح التجارية والصناعات الدوائية فى إسكات الصحفيين والإعلاميين عن طريق الاعلانات وغيرها من الاساليب المقنعة .

٤- غياب إستطلاعات الرأى التى تحدد مستويات الوعى البيئى لدى الشرائح المختلفة للجمهور العام والنوعى والتى تساعد فى رسم السياسة الاعلانية الخاصة بقضايا العلم والتكنولوچيا وتتيح للقائمين بالاتصال حسن إختيار المضامين والاساليب الإعلامية الملائمة لتوصيل لرسالة العلمية الى جمهورها .

٥- الإعتماد على المعلومات البيئية المترجمة والتى يشوبها عدم الوضوح والتفكك المعرفى والمنطقى مما يسهم فى تعقيد وتشوية القضايا العلمية فى أذهان الجماهير.

٦- غياب التنسيق بين كافة الاطراف المعنية بالإعلام البيئى والعلمى فى مصر وفى مقدمتها وسائل الإعلام المقروء والمرئى والمسموع من ناحية وبين الباحثين والعلماء فى مجال الچينات والهندسة الوراثية وبين الإعلاميين فى هذا المجال وبين هولاء جميعا وبين شركات صناعة الادوية ومعامل الإختبارات الوراثية مما يؤدى الى بعثره الجهود وتكرارها وإنغلاق دائرة علم الوراثة والبيوتكنولوچيا على فئات محدودة من المتخصصين وأصحاب المصالح .

هذا ويضاف الى المعوقات السابقة بعض الصعوبات التى تواجه الإعلاميين وتؤثر بصورة حاسمة في تحديد مستوى ونوعية المنتج الإعلامى عن القضايا العلمية وعلى الإخص قضايا الثورة البيولوچية وتنحصر فيما يلى :

١- السياسة الإعلامية لكل من الصحف والإعلام المرئى والمسموع والتى تحددها عوامل كثيرة تتصدرها العلاقة بالسلطة السياسية ودوائر صنع القرار وتوجيهات القائمين عليها وشبكة المصالح التى تربطهم بأصحاب النفوذ الاقتصادى والسياسى ونوع الجمهور الذى تتوجه اليه كل وسيلة إعلامية مقروءة أو مرئية أو مسموعة فى الريف والحضر .

٢- المستوى العلمى والمهنى للاعلاميين وللصحفيين المشتغلين بقضايا البيئة والعلم والتكنولوچيا وقد اكدت الشواهد العديدة المستقاه من البحوث والدراسات والخبرة الشخصية ومن إعترافات الإعلاميين والصحفيين انفسهم الحقيقة المؤسفة وهى إفتقارهم الى الحلقة العلمية المتخصصة التى تؤهلهم لفهم الكثير من خفايا المشكلات والتحديات الاخلاقية التى تواجه الإكتشافات الحديثة فى مجال علم الوراثة والبيوتكنولوچيا .

٣- تخلف الاداء المهنى للإعلاميين بسبب غياب ما يسمى بثقافة الاداء المهنى وخضوعهم لما يسمى بالبيروقراطية الإعلامية والصحفية التى تعوق أدائهم المهنى وتحول دون إستفادتهم بالخبرات العالمية المعاصرة من خلال المؤتمرات والدورات التدريبية والإحتكاك بالخارج .

٤- غياب دراسات الجمهور وقد اتضح ان وسائل الإعلام المصرية لاتهتم بتخصيص ميزانيات لإجراء البحوث الضروية لإستطلاعات الرأى والتعرف على مستوى الوعى العلمى والبيئى لدى الجمهور . والواقع ان غالبية الصحفيين المشتغلين بقضايا البيئة والعلم والتكنولوچيا يتوجهون الى جمهور لايعلمون شيئاً عن مستوى وعيه أو المامه بالقضايا العلمية والبيئية المثارة محلياً ودولياً .

٥- غياب قائمة الأولويات العلمية لدى الإعلاميين المشتغلين بقضايا العلم والتكنولوچيا والبيئة ، مما يوقعهم فى الخلط وعدم التمييز بين الإيجابيات والمخاطر التى تنطوى عليها الإكتشافات الجديدة فى إطار منظومة القيم الثقافية والدينية السائدة علاوة على الآثار الاجتماعية والقانونية والاقتصادية المترتبة على هذه الاكتشافات .

ما العمل :

فى النهاية ، وفى ضوء المؤشرات السالفة الذكر لابد ان يثار السؤال التالى : ماذا يحتاج الإعلام كى يقوم بدور مؤثر وفعال من أجل بلورة وجهة نظر مصرية وعربية حول الاخلاقيات فى مجال الانشطة البيولوچية البحثية والتطبيقية ؟

اعتقد ان هناك شقين للإجابة على هذا السؤال : يتضمن الشق الأول الجوانب الاستراتيچية والمعرفية فيما ، يركز الشق الثانى على الجوانب البشرية .

فيما يتعلق بالشق الاول نرى ان هناك مجموعة من القضايا التى تشكل ما يمكن ان يسمى ميثاق شرف يلتزم به كافة المشتغلين فى مجالات البحث العلمى فى مجال علم الوراثة وتطبيقاته الطبية والزراعية والبيئية ويتمحور حول المبادئ التى أقرتها اللجنة الدولية لاخلاقيات البيولوچيا فى إطار مشروع الإعلام العالمى لحماية الجين البشرى وتتضمن قائمة من المبادئ التوجيهية نذكر منها :

١- ضمان حرية إجراء البحوث على المجين البشرى مع التاكيد على تفوق

كرامة الانسان وحريته على حرية البحث العلمى وضمان حق جميع الأفراد فى الانتفاع بنتائج هذه البحوث .

٢- التأكيد على مبدأ القبول المسبق والحر والواعى للانسان لاجراء البحوث التى تستهدف تعديل سلوكه أو التدخل فى چيناته .

٣- التأكيد على مبدأ سرية المعلومات الوراثية الخاصة ومنع وصولها الى الغير مع رفض أى تمييز قائم على السمات الوراثية .

ولاشك ان التزام الجماعة العلمية بهذا الميثاق يستلزم ما يلى :

أ- ضرورة توفير مناخ ملائم للتنسيق بين الاهداف الاجتماعية لتحسين مستوى ونوعية الحياة البشرية على مدى نصف القرن القادم وبين السياسات العلمية والسياسات الاجتماعية والاقتصادية للنهوض بأوضاع الناس ومستوياتهم على ان يتم ذلك بصورة شاملة ولا يقتصر على مجال علمى دون الآخر أو فئة اجتماعية دون الاخرى .

ب - تشكيل لجان قومية فى كل دولة للاشراف على أبحاث الهندسة الوراثية وذلك بعد ان دخلت تجارب تخليق البشر صناعياً مرحلة بالغة الحساسية والحرج .

ج - ضرورة توفير مصادر معلومات عصرية ومتطورة وواضحة ومبسطة عن المشكلات والقضايا البيولوچية و أخلاقياتها وتزويد الإعلاميين بها .

د- إعداد حلقات نقاشية ودورات تدريبية تضم الإعلاميين والعلماء فى مجالات الوراثة والبيوتكنولوچيا للسعى سوياً من أجل التوصل الى إختيار أنسب الاساليب الإعلامية لمعالجة القضايا البيولوچية وتوعية الرأى العام بأخلاقياتها ومخاطرها .

و - السعى لإقامة شركات إعلامية - تعليمية عن قضايا الهندسة الوراثية وإشكالياتها ومواثيقها الاخلاقية .

هـ - إستخدام اسلوب الحملات الصحفية والإعلامية لمعالجة القضايا الحيوية فى مجال البيولوچيا والتحكم الوراثى خصوصاً تلك القضايا ذات البعد التنمرى التى تحتاج الى التراكم المعرفى والمتابعة المتراصلة .



اعتمدت المصادر والمراجع التالية :

أولا : وثائق اليونيسكو :

١- تقرير المدير العام بشأن إعداد وثيقة دولية لحماية الجين البشرى ، المؤتمر العام ، الدورة الثامنة والعشرون ، باريس ، ١٩٩٥ .

٢- قانون للحياة ، اخلاقيات الهندسة الوراثية ، عدد خاص من رسالة ، سبتمبر ، ١٩٩٤ .

٣- تنمية الوعى البيئى ، عدد خاص من مجلة الطبيعة والموارد ، اليونسكو ، المجلد ٢٨ العدد الثانى ، ١٩٩٢ .

٤- أشكال من المشهد الطبيعى ، الحوار بين الناس والمكان ، رسالة اليونسكو ، مايو ، ١٩٩٧ .

٥- البعد المكانى ، عدد خاص من رسالة اليونيسكو ، يناير ، ١٩٩٢ .

٦- الجسد والذات ، عدد خاص من رسالة اليونيسكو ، ابريل ١٩٩٧ .

7- Leila El- Hamamsy and Others : Bio Ethics and Human Popluation Paris , Genetics Research In Proceedings of the third session , IBC UNESCO Sep 1995.pp.36-66

8- Report On Human Gene Therapy . IBC of UNESCO .Sept.1995

ثانيا : الكتب والدراسات والمقالات :

١- فانس بكارد : أنهم يصنعون البشر ، ترجمه زينات صباغ ، سلسلة الألف كتاب الثانى ١٦٩ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ .

٢- روبرت أورتشتين ، وبول ايرليش : عقل جديد لعالم جديد ، ترجمة أحمد مستجير ، منشورات المجتمع الثقافى ، أبو ظبى ، ١٩٩٤ .

٣- محمد السيد سعيد : الإعلام وثقافة المجتمع المدنى ، المؤتمر الثانى للمنظمات الأهلية العربية ، القاهرة ، مايو ، ١٩٩٧ .

٤- نجوى كامل : وسائل الإعلام وتأثيرها فى تشكيل الوعى وتعديل الإتجاهات والسلوك إزاء قضية التغيرات المناخية ، كلية الإعلام ، القاهرة ، ١٩٩٧ .

٥- عواطف عبدالرحمن : قضايا البيئة بين الصحافة والرأى العام ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، سبتمبر ، ١٩٩٥ .

٦- ديفيد لوبريتون : انثرولوچيا الإستخدامات الطبية للجسم البشرى ، مجلة ديوچين اليونسكو ، العدد ١٦٧ ، ١١١ - د.ت .

٧- المهدى المنجرة : انصهار العلم والثقافة، مفتاح القرن الحادى والعشرين ، ندوة فانكوفر بكندا ، سبتمبر ، ١٩٨٩ .

٨- عبدالعليم محمد : الإعلام وترخيد العلم ، جريدة الأهرام ، ١٠ يناير ، ١٩٩٧ .

٩- محمد فتحى : الخيانة والعنف والإدمان ، هل هى نتائج حتمية لچينات دراسة ، مجلة المصور ، ٢١ فبراير ، ١٩٩٧.

١٠- فهمى هويدى : انهم يعبثون بالنواميس ، جريدة الأهرام ، ٢٥ مارس ، ١٩٩٧ .

١١- أحمد عبدالصمد : قضية استنساخ البشر ، جريدة الشعب ، ١٨ مارس ، ١٩٩٧ .

١٢- ربيع أبو الخير : النعجة دوللى وعلماء مصر ، مجلة المصور ، ٢٨ فبراير ، ١٩٩٧ .

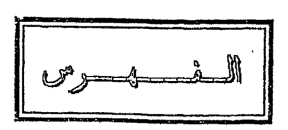
١٣- صلاح الدين حافظ : وثيقة دولية وخلافات دينية واخلاقية ، مجلة الدراسات الإعلامية ، عدد خاص عن المؤتمر الدولى للسكان والتنمية ، سبتمبر ، ١٩٩٤ .

صدر للمؤلف

١ – مقدمة فى الصحافة الإفريقية ، القاهرة ، دار الفكر العربى [الطبعة الأولى ١٩٨٠– الطبعة الثانية ١٩٨٥]
٢ – الصحافة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ – ١٩٥٤ ، القاهرة دار الثقافة الجديدة ، ١٩٨٠ .
٣ – دراسات فى الصحافة المصرية والعربية ، العربى للنشر والتوزيع ، ١٩٨١ .
٤ – مصر وفلسطين [الطبعتان الأولى والثانية] ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة ، ١٩٨٠ – ١٩٨٥ ، والطبعة الثالثة : دار العرب ، القاهرة ١٩٩٠ .
٥ – صورة إفريقيا فى الصحافة العربية ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، [الطبعة الثانية] ١٩٨٥ .
٦ – الصحافة العربية فى الجزائر ١٩٥٤ – ١٩٦٢ ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية ، [الطبعة الأولى] ١٩٧٨ – [الطبعة الثانية] الشركة الوطنية بالجزائر ، ١٩٨٧ .
٧ – تحليل المضمون فى الدراسات الإعلامية [بالاشتراك مع آخرين] ، القاهرة، العربى للنشر والتوزيع،١٩٨٣ .
٨ – قضايا التبعية الإعلامية والثقافية فى العالم الثالث ، الكويت ، سلسلة عالم الثالث ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والآداب ، ١٩٨٤ . والطبعة الثانية – دار الفكر العربى ١٩٩٠ .
٩ – إشكالية الإعلام التنموى فى الوطن العربى ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٥ .
١٠ – إسرائيل وإفريقيا ١٩٤٨ – ١٩٨٤ [بالاشتراك مع حلمى شعراوى] ، القاهرة ، دار الفكر العربى، ١٩٨٦.
١١ – دراسات فى الصحافة المصرية المعاصرة ، القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٨٦ .
١٢ – المدرسة الاشتراكية فى الصحافة [الحقبة البينية ١٨٩٦ – ١٩٢٣] ، القاهرة ، مركز البحوث العربية [الطبعة الثانية] ١٩٨٩ .
١٣ – دراسات فى الصحافة المصرية والعربية – قضايا معاصرة ، القاهرة دار العربى ، ١٩٨٩.
١٤ – الصحافة العربية فى مصر والسودان والصومال – مشترك الاليكسو – تونس – ١٩٩٢ .
١٥ – القائم بالاتصال فى الصحافة المصرية – مشترك – كلية الاعلام – جامعة القاهرة – ١٩٩١ .
١٦ – هموم الصحافة والصحفيين فى مصر – القاهرة – دار الفكر العربى ١٩٩٤ .
١٧ – الاعلام وقضايا البيئة فى الوطن العربى – مشترك – كلية الاعلام – جامعة القاهرة – ١٩٩٤ .
١٨ – الاعلام العربى والاختراق الصهيونى – دار الفكر العربى ١٩٩٥ .
١٩ – الصحافة العربية وتحديات العصر – الكويت – عالم الفكر – ١٩٩٥ [مشترك] .
٢٠ – قضايا إعلامية معاصرة فى الوطن العربى – القاهرة – دار الفكر العربى ١٩٩٧ .
٢١ – المرأة المصرية والاعلام فى الريف والحضر – [مشترك] دار العربى – القاهرة ١٩٩٩ .

تحت الطبع :

١ – الاتجاهات النقدية فى بحوث الاعلام .
٢ – المسكوت عنه فى قرية جنوبية .



★ المقدمة ٥

★ الفصل الأول :

– الإعلام المعاصر وتحديات العولمة ١١

★ الفصل الثانى :

– الإعلام واشكالية الوفاق العربى ٤٩

★ الفصل الثالث :

– صورة الغرب فى الصحافة المصرية ٩٧

★ الفصل الرابع :

– قضايا البيئة بين الصحافة و الرأى العام ١٤٣

★ الفصل الخامس :

– الإعلام وقضايا المرأة العربية فى عصر العولمة.................... ١٦٧

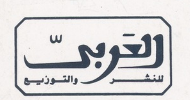
★ الفصل السادس :

– الإعلام وتحديات الهندسة الوراثية

فى القرن الحادى والعشرين ٢١٣

رقم الايداع ٥٤٨٩ / ٩٩

I.S.B.N.
977-319-011-0



٦٠ شارع القصر العينى (١١٤٥١) القاهرة
ت: ٣٥٥٤٥٢٩-٥٩٤١٩٤٣
ت فاكس: (٢٠٢) ٣٥٤٧٥٦٦
E-Mail:alarabi5@intouch. com